سلسلة الرسائل الصوفية - الرسالة الأولى

الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف

للأستاذ الأجل
سيدي أحمد بن مصطفى العلوي
رضي الله عنه

تحقيق وتعليق
عبد الله محمد عكور
كان الله له

تقديم الدكتور
أمين يوسف عودة
جامعة آل البيت - الأردن

عالم الكتب الحديث
Modern Book's World

الناصر معروف

في الذب عن مجد التصوف

سلسلة الرسائل الصوفية - الرسالة الأولى

الناصر معروف

في الذب عن مجد التصوف

للأستاذ الأجل

سيدي أحمد بن مصطفى العلوي

رضي الله عنه

تحقيق وتعليق

عبد الله محمد عكور

كان الله له

تقديم الدكتور

أمين يوسف عودة

جامعة آل البيت- الأردن

عالم الكتب الحديث
Modern Books' World
إربد- الأردن
٢٠١١

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م

٢١٩

الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف/ أحمد مصطفى الطوي، تحقيق: عبدالله محمد عكور.- إربد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ٢٠١١.

( ) ص

ر. إ.: (٢٤٩٤ / ٧ / ٢٠١٠)

الواصفات:/ التصوف الإسلامي//نظريات التصوف/

•يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ليست جميع الكتب التي تنشرها الدار تتبناها وتعبّر عن وجهة نظرها وإنما تعكس آراء ووجهة نظر مؤلفيها.

ISBN ٩٧٨-٩٩٥٧-٧٠-٤٣٠-٨

Copyright ©
All rights reserved

عالم الكتب الحديث
Modern Book World
للنشر والتوزيع

الفرع الأول

إربد- شارع الجامعة- بجانب البنك الإسلامي

تلفون: (٢٧٢٧٢٢٧٢- ٠٠٩٦٢) خلوي: ٠٧٩/ ٥٢٦٤٣٦٣ فاكس: ٢٧٢٦٩٩٠٩- ٠٠٩٦٢

صندوق البريد: (٣٤٦٩) - الرمزي البريدي: (٢١١١٠)

البريد الإلكتروني almalktob@yahoo.com
almalktob@hotmail.com
almalktob@gmail.com

الموقع الإلكتروني: www.almalkotob.com

الفرع الثاني

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع

الأردن- العبدلي- عمان- تلفون: ٠٧٩/ ٥٢٦٤٣٦٣

مكتب بيروت

روضة الخير- بناية بزي- هاتف: ٠٠٩٦١ ١ ٤٧١٣٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٤٧٥٩٠٥

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١
حياة المؤلف	١١
تصوفه	١٢
تأسيسه للطريقة العلوية	١٣
سند طريقه	١٤
اتصال المحقق بهذا النسب الشريف	١٦
طريقته في الإرشاد	١٦
أثر هذه الزوايا	١٩
مؤلفاته	٢٠
تلاميذه وخلفاؤه	٢٣
تقاريظ الكتاب	٢٦
تقريظ العلامة توفيق الأيوبي	٢٨
تقريظ العلامة محمد هاشم الخطيب	٢٩
تقريظ العلامة زين العابدين التونسي	٣٣
تقريظ العلامة محمد خالد الأنصاري	٣٤
تقريظ العلامة محمد المأمون الأرزنجاني	٣٥
تقريظ العلامة جميل الشطي	٣٧
تقريظ العلامة محمود ياسين	٤١
تقريظ العلامة احمد الجبان	٤٧
مقدمة المؤلف	٥٣
المسائل التي اعتمدها المنكر في تبديع الصوفية	٥٨
المسألة الأولى	٥٩

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الموضوع	الصفحة
المسألة الثانية	٦٢
المسألة الثالثة	٦٥
العبارة الأولى للإمام مالك	٦٦
العبارة الثانية للإمام الشافعي	٦٧
العبارة الثالثة لأبي سليمان	٧٠
العبارة الرابعة ليونس بن عبد الأعلى	٧١
العبارة الخامسة لسفيان الثوري	٧٢
العبارة السادسة لوكيع	٧٢
العبارة السابعة ليحي بن يحي	٧٤
وصـــل	٧٨
الفصل الأخير ما نقل عن الأئمة	٨٠
أقوال العلماء في التصوف	٨٢
الحسن البصري	٨٢
سفيان الثوري	٨٣
الإمام مالك	٨٤
الإمام أبو حنيفة	٨٨
الإمام الشافعي	٩٠
الإمام احمد	٩٢
ابن خلدون	٩٦
الشيخ زروق	٩٧
أبو اسحاق الشاطبي	٩٩
أبو حامد الغزالي	١٠٠
الإمام القشيري	١٠٢
العز بن عبد السلام	١٠٤
ابن الحاج	١٠٥

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الموضوع	الصفحة
العلامة الصاوي	١٠٦
ابراهيم اللقاني	١٠٧
ابراهيم الباجوري	١٠٧
الأخضري	١٠٨
الدمنهوري	١٠٨
أبو علي الجرجاني	١٠٩
أبو القاسم النصراباذي	١١٠
ابن زكري	١١٠
عبد القادر الأبيري	١١١
الأمير عبد القادر الجزائري	١١٢
ابن السبكي	١١٣
الكندي	١١٤
الجلال المحلي	١١٦
ابن صدر الدين	١١٦
الكافي	١١٧
احمد الدردير	١١٨
ابن رشد	١١٩
محمد الأنصاري	١١٩
أبو منصور الماتريدي	١٢٠
الشيخ احمد بن رسلان الشافعي	١٢١
الفشني	١٢٢
الشيخ العطار	١٢٣
عبد الهادي بن رضوان	١٢٥
السنوسي	١٢٧
الفيروز آبادي	١٢٨

الموضوع	الصفحة
عبد القادر الفاسي	١٢٨
محمد بيرم	١٢٩
محمد عليش	١٣١
الشبرخيتي	١٣١
ابن البنا السرقسطي	١٣٢
الإمام الشعراني	١٣٣
بدر الدين الزركشي	١٣٤
إمام الحرمين	١٢٩
الإمام النووي	١٢٩
العلامة المسنوي	١٣٠
ابن العربي المعافري	١٣١
ابن القيم	١٣٣
ابن تيمية	١٣٧
محمد عبده	١٤٤
محمد رشيد رضا	١٥٢
محمد فريد وجدي	١٥٥
مصطفى صادق الرافعي	١٥٦
السلطان الحنفي	١٥٦
الشرنوبي	١٥٧
محمد الأخضر	١٥٨
المراجع	١٧١
من آثار المحقق	١٧٨

حلفَ الزمانُ لَيأتينّ بمثله حنثتْ يمينُك يا زمانُ فكفّرِ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تقديم

بقلم الدكتور أمين يوسف عودة

جامعة آل البيت/ الأردن

الحمد لله ربّ العالمين، اللهم صلّ على سيدنا محمّد صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنّا، وعلى الآل والصحب الكرام.

فالتصوّف ركن من أركان الدين الإسلاميّ، وهو ركن الإحسان الثالث بعد ركني الإسلام والإيمان. ويختصّ بتحقيق هذا الركن أهل الله تعالى وخاصّته، ذوو الهمم القويّة العالية، والقلوب السليمة الصافية، أولئك الذين يرتقون بإيمانهم ويقينهم من مراتب التقليد والتوريث، إلى مراتب اليقين والإيمان عن شهود وذوق وعيان، وهو المراد الحقيقي من الدين وعباداته وشرائعه.

وفضلا عن ذلك، يمثل التصوّف وجه الإسلام التربويّ والسلوكيّ والأخلاقيّ والروحيّ والمعرفيّ، انطلاقًا من تعاليم القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة، وأحوال الرسول الأعظم، صلّى الله عليه وآله وسلّم، وصحابته الكرام، رضوان الله عليهم، والتابعين من بعدهم بإحسان إلى يوم الدين. وإذا أردنا أن نجمل مفهوم التصوّف في كلمات، أجملناه في ثلاث هي: التخلّي والتحلّي والتجلّي؛ فالتخلّي هو أن يتخلّى المرء عن الأخلاق الدنيّة، والتحلّي أن يتحلّى بالأخلاق السنية، والتلبّس بسلوك التخلّي والتحلّي تلبّسًا حقيقيًّا هو ما يشكّل حقيقة التقوى وفحواها. وأمّا التجلّي فهو المعارف التي يتجلّى بها الحقّ تعالى لعباده المحبّين المخلَصين ذوي القلوب السليمة، ويمنّ بها عليهم جزاء صدقهم في

التوجّه والطلب، وإخلاصهم في العبادة والنّصَب، فلا يتركهم لأنفسهم، وإنّما يتولاهم بالتربية والتزكية والتعليم، والتحقّق بالحقائق الإيمانية والإحسانية والمعاني القرآنية والنبوية على مراد الله تعالى، لا على منازعات الظنّ والتخمين والهوى، وهي خلاصة المعرفة بالله تعالى من عين اليقين وحقّه، التي هي ثمرة التقوى وحقيقتها. يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. ويقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾ [الأنفال: ٢٩] أي فرقانًا يفرق به بين الحقّ الباطل، وهو النور والهداية.

على أنّ التصوّف ابتُلي بآفات، منها ما هو من داخله، ومنها ما هو من خارجه. فأمّا التي من داخله فهو فيما يمارسه بعض المنتسبين إلى التصوّف، وهم في الحقيقة ليسوا من أهله، فهؤلاء مدّعون وبطّالون وكذبة. وثمّة من ينتسب إليهم بخلوص نيّة، وصدق توجّه، لكنّه قد يصادف شيئًا من البدع التي تمارسها بعض الطرق الصوفية، فيجري في مجراها ويسير في ركابها، وهو يظنّ أنّها من الدين وهي ليست كذلك. وليس على الله بعزيز أن يمنّ على هؤلاء بنور هدايته، فينقلهم من مظانّ البدع إلى موطن الاتّباع والحقّ والهدى؛ لخلوص نواياهم وصدق توجهاتهم. وأمّا التي من خارجه، فقوم عميت بصائرهم عن إدراك الحقّ الأبلج ومعرفة أهله، ورأوا في التصوّف الذي هو الركن الإحساني من الدين، بدعة ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، وأخذوا يطعنون على التصوّف وأهله الأتقياء الأنقياء، ويصوّرونه بعقولهم القاصرة المنحرفة على أنّه بدعة، ويستدلّون باستدلالات سقيمة ملتوية على ما يتوهّمون

أنه ليس من الدين باسم الدين، وهم يدركون أو لا يدركون أنهم يطعنون بركن شديد متأصّل في جوهر الدين الإسلامي، وهو الركن الذي يجعله حيًّا صورة ومعنًى وروحًا في العقول والجوارح والقلوب، وهو الركن المؤهّل لأن يغيّر النفوس الأمّارة بالسوء إلى نفوس لوّامة، ثمّ إلى نفوس راضية مرضيّة ملهمة، تنطق بالحقّ وتعمل به، وتشيع الفضيلة والأخلاق المرضية في المجتمع، وتخرج الأناسيّ من ظلمات النفوس الشهوانيّة، وعبوديات الصور الكونيّة، إلى نورانيّة الحقّ المتجلّي في الوجود، والتعبّد لله تعالى الواحد المعبود.

ولمّا استشرى أمر هؤلاء الذين طمس الله على بصائرهم ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] وتطايرت فتنهم في الشرق والغرب، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا- كان لزامًا على أولياء الله تعالى المستمسكين بكتاب الله الكريم وسنّة نبيّه صلوات الله تعالى وسلامه عليه وآله والعاملين بهما، أن يبادروا إلى الوقوف في وجه هذه القوّة العاتية التي تهدف، واعية أو غير واعية، إلى النيل من ركن سامٍ من أركان الدين الذي هو ركن الإحسان، الذي تجلّى سلوكًا في ما اصطُلح عليه بالتصوّف منذ مطلع القرن الثاني الهجريّ.

وقد قام نفر من أجلّة العلماء الغيورين على الدين، ببيان تهافت آراء هذه العصبة التي تعصّبت لآرائها تعصّبًا أعماها عن رؤية الحقّ الصريح الواضح في آراء غيرهم. وعندما يصرّ المرء على أن يصمّ أذنيه عن سماع الحقّ إذا كان عند غيره، ويكفّ بصره عن رؤيته، عندئذٍ يكون تعصّبه تعصّبًا للنفس والهوى، لا تعصّبًا للحقّ والهدى. ولو أنّا فرضنا

فيهم الترفّع عن الأهواء ومكائد النفوس الخفيّة، وأنّ ما يرونه من رأي يصدر عن سعي صادق لإصابة الحقّ، فلِمَ هذا التعصّب المقيت للرأي!؟ ولم الإصرار على أنّه هو الرأي الصواب، وأنّ غيره ما دام مخالفًا لهم فهو خطأ !؟ أليس في هذا ادّعاء بامتلاك الصواب المطلق، ولا يكون ذلك إلا لله تعالى!؟ وليتهم اطّلعوا على حال الإمام المحقّق الفخر الرازي، وقد رئي مرّة وهو يبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: مسألة أعْتَقِدُ صحّتها بالدليل والبرهان منذ ثلاثين سنة، والآن ظهر لي بالدليل النظريّ والبرهان أنّها خطأ، وما يدريني أنّ الذي ظهر لي الآن ربّما يظهر لي بعد سنين أنّه خطأ، وما أنا على ثقة من نفسي، هل أموت على الخطأ أو على الصواب؟

من بين العلماء المربّين الذين سارعوا إلى إظهار حقائق التصوّف المستقاة من القرآن الكريم والسنّة النبويّة الشريفة، والتعبّد لله تعالى من مراتب الإحسان ومقاماته، والردّ ببيان علمي هادئ ورصين وبليغ على دعاوى التبديع والتشنيع التي رُمي بها أولياء الله، الأستاذ الشيخ الجليل الحاجّ أحمد بن مصطفى العلويّ المستغانميّ، رضي الله تعالى عنه، في رسالتين مباركتين مهمّتين، الأولى بعنوان: ألناصر معروف في الذبّ عن مجد التصوّف وهي في الأصل مقالات نُشرت في صحيفة البلاغ الجزائرية بإمضاء ألناصر معروف ردًّا على المدرّس بالحرم النبويّ الشريف في حينه، وكان كتب بمجلّة الشهاب، العدد (١٧٤) كتابات تنكر التصوّف من أصله، وتحطّ من قدر أهله. والرسالة الأخرى بعنوان: ألقول المعروف في الردّ على من أنكر التصوّف كتبها ردًّا على الشيخ عثمان بن المكي المدرس بمدينة تونس آنذاك، وكان هذا كتب رسالة بعنوان: ألمرآة لإظهار

الضلالاتْ رمى فيها أولياء الحقّ ومذهب الصوفيّة بالضلالات زورًا وبهتانًا.

ورسالة الأستاذ العلويّ الثانية تنحو نحو الرسالة الأولى في الدفاع عن التصوّف الحقّ وأهله الأخيار، وبيان أصالته في الإسلام، وضرورة سلوكه وممارسته؛ لأنّه من متمّمات الدين، وهو المكمّل لفقه الجوارح. ولعلّ خير كلمة عبّرت عن تعاضد فقه الجوارح وفقه القلوب الذي هو التصوّف، الكلمة التي تنسب إلى الإمام مالك رضي الله عنه: "من تفقّه ولم يتصوّف فقد تفسّق، ومن تصوّف ولم يتفقّه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقّقْ". وعلى المعنى نفسه دندن الشافعي، رضي الله عنه، في قوله:

فقيهًا صوفيًّا فكُنْ وليس واحدًا ... فإنّي وحقّ الله إيّاك أنصَحُ
فذلك قاسٍ ولم يذقْ قلبُه تُقًى ... وهذا جهولٌ كيف ذو الجهلِ يَصْلُحُ

ومن الموضوعات التي عرض لها الأستاذ العلويّ في هذه الرسالة، بعد أن أوضح غير قليل من المقدّمات الضرورية المتعلّقة بها: سند التلقين الصوفي، والجهر بالذكر والاجتماع عليه، وأولياء الطريق الصوفيّ، والبدعة وأحكامها، والردّ على القول بأنّ مذهب التصوّف بطالة، والسماع، والذكر، والاحتفال بالمولد النبويّ الشريف، وسوى ذلك من موضوعات ينبغي لكلّ مسلم حريص على سلامة دينه، وصحّة معتقده أن يطّلع عليها، ويتّخذ الموقف الحقّ منها.

وممّا يثلج صدر الناظر في هاتين الرسالتين، أنّ الأستاذ الأجلّ العلويّ، وقف على الموضوعات الرئيسة التي هي مناط النزاع أخذًا وردًّا بين الفريقين، وقفة مستأنية مستبصرة، حاور فيها الخصم حوارًا علميًّا

رصينًا، وساق أقوال فحول علماء السلف المتقدّمين والمتأخّرين في حقيقة التصوّف والصوفيّة، وانتهى إلى إبطال دعاوى المنتقدين، وإلى بيان الخلل الظاهر في مناهجهم وحججهم وطرائق استدلالهم ونتائجهم.

ومن وفرة الحظّ السعيد، أن هيّأ الله تعالى لهاتين الرسالتين المباركتين، الأخ المكرّم الشيخ عبد الله محمد العكور، الذي قام بتحقيقهما وإخراجهما وفق مناهج التحقيق المتداولة، فقدّم للرسالتين بمقدّمات ضافية، بيّن فيها ظروف تأليف الرسالتين، وتحدّث عنهما مخطوطتين، وعرض لحياة المؤلّف وتصوّفه وعلومه ومؤلّفاته وتأسيسه الطريقة العلويّة، وبيّن نشاط الشيخ ونشاط المنتسبين إلى طريقته في الدعوة إلى الله تعالى، ونشر العلم الشرعيّ، وخدمة المسلمين، ومناهضة الاستعمار الفرنسيّ. وقام بتصحيح ما اكتنف بعض كلمات المتن من التصحيف والتحريف، وشرح ما يستوجب الشرح من مفردات ومصطلحات، وترجم للأعلام، وخرّج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة. فجزاه الله تعالى خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين عامّة، وعن أهل النسبة خاصّة. وأسأله تعالى أن يهدينا جميعًا إلى الوقوف على الحقّ والصواب، وأن يؤتينا الحكمة وفصل الخطاب. والحمد لله أولا وآخرًا، وصلّى الله تعالى على سيدنا محمّد وعلى الآل والأصحاب والأحباب، صلاة تُرضيه ويَرضى بها عنّا ربُّنا الكريم الوهّاب.

د. أمين يوسف عودة

الثلاثاء ١٤ رمضان المبارك ١٤٣١هـ

الموافق ٢٤/ ٨/ ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله المنعم على بعض عباده ببراعة البيان، والفاتح لأوليائه خزائن علمه المكنون فاستمدوا منها أسطع برهان، والمانح علماء هذه الأمة ما يكل عنه الوصف من تسطير اليراع وفصاحة اللسان.

أحمده جلّت قدرته، وأصلي وأسلم على سيدنا ومولانا محمد حجة الله على خلقه، وأثنّي بالصلاة والسلام على آله الذين جعلهم الله تعالى أمناً لهذه الأمة على مر الزمان، وأثلث بالصلاة والتسليم على الباقيات الصالحات من الأمة المحمدية بدءاً بالأصحاب الكرام وانتهاء بالخاصة من الأولياء والعلماء العاملين لآخر الدهر، سبحانك اللهم خير معلم، لا علم لنا إلا ما علمتنا، فعلمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا من فضلك علما، ولا سهل إلا ما جعلته سهلا، فإنك إن شئت تجعل الحزن سهلا.

وبعد؛ فإنه من جميل المنن وسوابغ النعم التي أتحفني بها الله جلّت قدرته أن وفقني لخدمة كتاب فريد في نوعه، غريب في بيانه، متسام في أدبه وعلومه، خاصة وأن هذا الكتاب سطره بنان مجدد القرن الماضي، ورئيس كليات التصوف، وحامل لواء الجهاد في إفريقيا ضد المستعمر المغتصب، كتاب إن أردتَ الأدب في اللغة تجده بأوفر نصيب، وإن أردتَ الأدب في الخُلُق فقد تسنمتَ ذروته، وإن أردت العلم نقلك إلى عبابه، كتاب يشف عن شخصية كاتبه، كيف لا وهو أستاذ كليات التصوف في العالم للقرن الماضي، بحقٍ أقول: إن حضرة الأستاذ احمد العلوي كان المجدد للقرن الرابع عشر الهجري، قد جمع الله له شرف النسبتين لسيد الوجود، فلا يُدركه إلا من جمع الله له مثل ما جُمع له.

والكتاب الذي نحن بصدده يشكل الحلقة الأولى من السلسلة التي عملت على إخراجها، من خلال تحقيقاتي لكتب شيخ شيوخنا الولي الكبير من حاز شرف النسبتين لسيد الوجود ﷺ وهو كتاب {الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف} وهو سلسلة مقالات كتبها المؤلف رحمه الله تعالى في صحيفة {البلاغ} الجزائرية تحت العدد (٢٧٨) تاريخ ١٩٣٢/١١/١١ وما يليه، التي كانت تصدر خلال الحكم الفرنسي للجزائر، رداً على ما نشره إمام المسجد النبوي الشريف الذي كان معاصراً للمؤلف في صحيفة {الشهاب} العدد (١٧٤) والذي أنكر فيه مذهب التصوف وتبديع الصوفية قديماً وحديثاً، ولم يستثن منه أحداً، وقد قام خليفته العالم الشهير شيخ شيوخنا سيدي محمد بن الهاشمي التلمساني بجمع هذه المقالات في مؤلف مستقل ونشره في دمشق قبل ما يربو على سبعين عاماً، وقد قام بعرضه على كبار علماء دمشق ليبدوا رأيهم فيه، وقد أثبت الشيخ رحمه الله تقاريظهم في نهاية الكتاب.

والسبب في اختياري لهذه المخطوطات هو: ما رأيته من نشاط الحركة الوهابية في العالم الإسلامي، والتي كان من أهم الأسس التي بنوا عليها هذه الحركة هو القضاء على هذا المذهب الناصع {أعني مذهب التصوف} دون تفريق منهم بين ملتزم بالشريعة وغير ملتزم لها، ولما لهذا الكتاب من قيمة علمية من جهة، ولخطوط العلماء وشروحاتهم من خلال تقاريظهم عليه، فجاء هذ الكتاب بإجماع العلماء قديماً وحديثاً على صدق المنهج العلمي الذي اتبعه الكاتب، وإجماعهم على أصل المذهب والذي عدّوه الركن الثالث من أركان الدين، ليكون حُجة على

المخالفين، ودمغاً للباطل الذي يعتنقون.

وقد قمت بتحقيق الكتاب من خلال ترجمة للمؤلف رحمه الله تعالى، وترجمة للأعلام الذين استشهد المؤلف بأقوالهم، وشرحٍ لبعض عباراته التي قد تشكل على بعض من قصر علمه عن فهمها، وتخريجٍ للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في ثناياه، وعمل ما من شأنه أن يعمله الباحث المحقق لأي كتاب أو مخطوط حسب المعايير العلمية المعمول بها عند طلبة العلم في عصرنا الحاضر حسب الجهد والطاقة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حياة المؤلـف

هو أبو العباس سيدي أحمد بن مصطفى العلوي بن محمد بن أحمد المعروف بأبي شنتوف والملقب بمدبوغ الجبهة بن الحاج علي المعروف عند العامة بابن عليوة.

أصل أسرته من مدينة الجزائر، قدم جده الأكبر إلى مستغانم لتولية وظيفة القضاء ثم الاستقرار والسكنى بها، عُرفت هذه الأسرة طوال التاريخ بالطهارة والاستقامة والنـزاهة والاحترام بين الناس، وهذا البيت يعرف عند أهل مستغانم من أعرق البيوتات المستغانمية مجداً وعزاً وشرفاً وجاها.

ولد شيخنا عام ١٢٩١هـ وحيداً بين أختين، وقبل حـمل أمه به رأت النبي ﷺ فـي منامها وبيده الشريفة زهرة نرجس، فابتسم فـي وجهها ورمى بالزهرة إليها فقبلتها منه على استحياء، ولما أفاقت قصت الرؤيا على زوجها، فأولها أن الله سيجيب دعاءه الذي طالما دعا به وهو ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ وأكمل الله سرورهم بولادته، فاعتنى الأب به غاية وسعه، وأخذ يغذوه بـما أنعم الله به عليه، وكعادة كل أب اعتنى بولده وعمل جهده فـي تربيته على أحسن حال، وعلمه القرآن فتركه حتى وصل سورة الرحمن، ثم فارقه ليلبي نداء ربه، وعمر ولده سبعة عشر عاما. دفعت ظروف الحياة السيد العلوي إلى العمل من أجل نفسه ووالدته، ولكن فـي نفس الوقت لم ينس حظه من العلم والتثقيف والتكوين، فكان يقصد المساجد من أجل طلب العلم

مساء مدفوعاً برغبة جامحة في القراءة والحفظ، وكان يساعد على تحقيق هذا التطلع ما وهبه الله تعالى من قريحة وقّادة واستعداد تام لتلقي العلم، واستمر على ذلك النهج إلى أن حصلت له ملكة الفهم والقدرة على الاستفادة مما يقرأ، فأصبحت القراءة شغله الشاغل يشتغل به وحده ومع أحبابه، وهذا الجموح نحو القراءة والمذاكرة دفعه لتحويل بيته ليلاً منتدى للمذاكرة العلمية، والقراءة المفيدة وطلب المزيد عن طريق الحوار والنقاش بين المجتمعين.

تصوفه

إذا أراد الله تعالى شيئا هيأ له أسبابه، فيحكي لنا العارف بالله سيدي أحمد العلوي سبب دخوله في طريق القوم واتجاهه نحو التصوف، والذي أصبح فيما بعد من ساداتهم هو اتصاله بالعارف بالله سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي المعروف {بسيدي حمّو} المستغانمي منشأ وداراً، الدرقاوي نسبة ومشرباً، فقال له: بلغني أنك تأخذ الحية ولا تخشى من لسعها، فقلت له: نعم هكذا كنت، قال لي: هل يمكنك الآن أن تأتيني بواحدة فتأخذها بحضرتنا؟ قلت: نعم متيسر، وذهبت إلى خارج البلد وبعد ما مرّ نصف يوم لم أجد إلا واحدة صغيرة الجرم يقرب طولها من نصف ذراع، فجئته بها ووضعتها بين يديه وأخذت أقلبها كما هي عادتي وهو ينظر رضي الله عنه إلى ذلك، ثم قال لي: هل تستطيع أن تأخذ غير هاته الحية مما هي أكبر منها جرماً؟ فقلت له: إنها عندي على السواء، فقال لي: ها أنا أدلك على واحدة أكبر وأشد منها بأساً، فإن أمسكتها فأنت الحكيم، فقلت له: فأين هي؟ فقال لي: هي نفسك التي بين جنبيك،

فإن سمها أشد من سم الحية، فإن أمسكتها وتصرفت فيها فأنت الحكيم، ثم قال لي: اذهب فافعل بهاته الحية ما هي عادتك أن تفعل بها ولا تعد لمثل هذا، فخرجت من عنده وأنا أتخيل في شأن النفس وكيف يكون سمها أشد بأساً من سُم الحية.

فكانت هاته الكلمة بمثابة جمرة أوقدت في قلب السيد أحمد العلوي رضي الله عنه، وهكذا راض نفسه بأنواع الرياضات على طريقة الصوفية بمخالفته نفسه وإخراجها عن مألوفاتها، وأخذ يذكر الله تعالى غالب الوقت، حتى صار إذا جلس للذكر يهتز جميع بدنه من شدة الذكر وتفاعله معه، إلى أن فتح الله عليه وطرقه الحال الذي يطرق القوم، نفعنا الله به في الدنيا والآخرة آمين.

تأسيسهُ للطريقة العلوية

والطريقة العلوية هي امتداد للطرق الموصلة إلى الله تعالى، والتي كانت في العالم الإسلامي منذ البعثة المحمدية، وهدفها هو التربية والتزكية لهذه النفس الأمارة بالسوء، وإجبارها على التخلق بالأخلاق النبوية العظيمة، ودلالة الناس على هذا الطريق الحق وإفراد الله تعالى بالعبادة والقصد، وعدم إشراك غيره في نية العبادة، وتأسيس هذه الطريق في المغرب العربي كان على يد الشيخ العلوي رضوان الله تعالى عليه عام (١٣٣٣هـ) بعد انتقال شيخه إلى جوار ربه.

كان الشيخ العلوي ذا علم غزير وحجة قوية وعزيمة نافذة، كما كان يتمتع بشخصية قيادية، حتى صار يشار إليه بالبنان، ولكن الشيخ البوزيدي انتقل إلى الله ولم يستخلفه، تاركاً ذلك إلى الله تعالى قائلاً: إنما

مثلي كمثل رجل أستقر في دار لصاحبها، ولما أراد الخروج أرجع مفاتيحها إلى صاحبها وهو أدرى بمن يليق متصرفاً بداره، ولكن أتباع الشيخ البوزيدي أجمعوا على تقديم العلوي بعد وفاة أستاذهم، حيث اتفقوا على أن يكون هو المقدم فيهم وخليفة الشيخ بإلهام من الله تعالى، فقال أحدهم في اجتماعهم في زاوية الشيخ: يا فقراء، من رأى منكم رؤيا فليقصها في الاجتماع القادم، فانفض الاجتماع على ذلك، وما تم الأجل المضروب حتى ما من رؤيا إلا وتشير إلى الشيخ العلوي، فقام بحمل لواء الطريق التي رسمها شيخه والأشياخ من قبله بكل جد وحزم، حتى صارت الطريقة علماً عليه، ولم تزل تسمى باسمه إلى يومنا هذا.

سندُ طريقهِ

وسند الطريقة العلوية متصل اتصالاً روحانياً بسيد الوجود ﷺ وضعه الشيخ العلوي نفسه وقد نقلناه عنه بالنص:

ولما كان مشربُ القوم ـ رضوان الله عليهم ـ أبلغَ المشارب في التحقيق وأسنى المدارج في التدقيق، تعين على كل منتسب إليهم أن يحقق مستنده على الوجه الأحق، لأن الحقائق لا تؤخذ من كل ذي دعوة إلا بعد تحقق انتسابه على الوجه الأكمل كما ستراه ـ إن شاء الله ـ في هذه السلسلة المرتبطة خلفاً عن سلف إلى الرسول ﷺ من غير ريبة ولا أدنى شبهة في درة من دررها، فالمتمسك بالفرع آخذ بالأصل مهما تحقق الاتصال إلى أن قال: وللمقتصر أن يقتصر على الجهة العليا من الصحيفة لأنها أولى بالتحفظ، وهي في طريقنا حسبما بلغنا وتلقيناه من ذروة مجدهم وثمرة غرسهم، ذي الأخلاق الطيبة والأسرار العجيبة سيدنا

ومولانا محمد بن الحبيب البوزيدي الشريف المستغانمي طيب الله مثواه وجعل الحضرة العلية منـزله ومأواه، فعنه رضي الله عنه أخذنا ولقننا وأذن لنا فجزاه الله بـما هو أهله، وهو أخذها عن أستاذه أبي المواهب سيدي محمد بن قدور الوكيلي، عن سيدنا محمد بن عبد القادر الباشا، عن سيدي أبي يعزى المهاجي، وهما عن سيدي مولاي العربي بن احمد الدرقاوي، عن سيدي علي الجمل، عن سيدي العربي بن عبد الله، عن سيدي أحمد بن عبد الله، عن سيدي قاسم الخصاصي، عن سيدي محمد بن عبد الله، عن سيدي عبد الرحمن الفاسي، عن سيدي يوسف الفاسي، عن سيدي عبد الرحمن المجذوب، عن سيدي علي الصنهاجي، عن سيدي إبراهيم الفحام، عن سيدي أحمد زروق الفاسي، عن سيدي أحمد الحضرمي، عن سيدي يحي القادري، عن سيدي علي بن وفا، عن أبيه سيدي محمد وفا، عن سيدي داود الباخلي، عن سيدي أحمد بن عطاء الله، عن سيدي أبي العباس المرسي، عن سيدي أبي الحسن الشاذلي، عن سيدي عبد السلام بن مشيش، عن سيدي عبد الرحمن العطار الزيات، عن سيدي تقي الدين الفُقَيْر (بالتصغير فـيهما) عن سيدي فخر الدين، عن سيدي نورالدين أبي الحسن علي، عن سيدي محمد تاج الدين، عن سيدي محمد شمس الدين، عن سيدي زين الدين القزويني، عن سيدي إبراهيم البصري، عن سيدي أحمد المرواني، عن سيدي سعد، عن سيدي فتح السعود، عن سيدي سعيد الغزواني، عن سيدي أبي محمد جابر، عن سيدي الحسن بن علي، عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه، عن سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

اتصال المحقق بهذا النسب الشريف

وتحدثاً بنعمة الله تعالى وتبركاً بهذه السلسلة الذهبية الشريفة المباركة أذكر سند اتصالي بها، فقد أخذت الطريق عن سيدي الشريف الحسيني القطب عبد الكريم بن سليم المومني الـجنيدي رضي الله عنه، عن الفقيه علامة عصره الشيخ محمد سعيد الكردي، عن سيدي القطب محمد بن أحمد بن الهاشمي التلمساني، عن سيدنا الإمام أحمد العلوي رضي الله عن جميعهم، وخرطنا فـي سلكهم ورزقنا محبتهم وشفاعتهم:

لـي سـادة مـن عـزهم أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي فـي حبهم عز وجاه

طريقته في الإرشاد

عاش الشيخ العلوي فـي زمنٍ استولى فـيه الاستعمار الفرنسي على الجزائر، ولم يألُ الاستعمارُ جهداً فـي سلخ الشعب الجزائري عن هُويته العربية، ودينه الإسلام، فأراد العلوي أن يُبقي على الشعب هذه الهوية، وهذا الدين، فسار فـي خطين:

الأول: على الصعيد الداخلي.

الثاني: على الصعيد الخارجي.

أما على الصعيد الداخلي، فكان نشاطه داخل الزاوية وخارجها، أما داخل الزاوية فكان إذا أتاه المريد لقنه التوبة، ثم يأمره بقراءة أوراد الطريقة من الأذكار الواردة فـي السنة وهي؛ كلمة التوحيد، والصلاة

على النبي ﷺ والاستغفار، ثم يأمره بمداومة الذكر في خلوته، ويعلمه ما يحتاجه من علم العقيدة والفقه، ويأمره بملازمة حضور مجالس العلم، حتى لا يمضي عليه مدة وجيزة إلا وقد تخرج عالماً من عند شيخه، وهكذا، فأقبل الناس عليه ونهلوا من علمه، حتى صاروا يُعدّون أكثر من مليون مريد خلال خمسة من الأعوام، وانتشرت زواياه في أنحاء الجزائر كافة، وذلك حركة معاكسة لقوى الشر المتمثلة في الاستعمار، فتيقظ الشعب لذلك، وتمسك بأهداب دينه الحنيف، وصار أتباعه دعاة داخل الجزائر وخارجها.

وأما نشاطه خارج الزاوية فقد سار في عدة خطوط أهمها:

- استعمال الإعلام من أجل توصيل الثقافة الإسلامية لكل بيت في الجزائر، والتحذير من خطر الاستعمار، فأنشأ صحفاً محلية كانت تطبع باللغتين العربة والفرنسية، فأنشأ صحيفة {البلاغ} وبعد سنوات أمرت السلطات الفرنسية بإغلاقها، ثم أنشأ صحيفة {المرشد} وبعد مدة وجيزة أمرت السلطات الفرنسية بإغلاقها لما رأته فيها من خطر ضدها، ثم أنشأ خليفته الشيخ عدة بن تونس صحيفة {لسان الدين}.
- إقامة المؤتمرات والندوات الدينية في كافه أرجاء الجزائر.
- إرسال المعلمين والمتخرجين في زواياه إلى مدن الجزائر ليعلموا الناس.
- إنشاء الزوايا في مدن الجزائر المختلفة، والتي كانت تشكل صروحاً دينية تعليمية وإرشادية للناس.
- إصدار العديد من المؤلفات وتعميمها على الناس، وقد عمت هذه

الكتب مدن الجزائر وما حولها كافة، وكانت مكتوبة بأسلوب محبب للقارئ فلا تمل، وقد كانت تترجم شخصية الأستاذ وأدبه وأخلاقه وعلمه، فلا يسع القارئ إلا أن يشد الرحال ليحظى برؤية هذا العالم الجليل.

- القيام بالزيارات الجماعية لكثير من المدن، يرافقه فيها أتباعه وعدد من رجال الصحافة لتغطية برنامج الزيارة، والهدف من ذلك إيصال دعوة الإسلام إلى كل مكان باستطاعتهم الوصول إليه، وتوعية المواطنين من خطر الاستعمار، وما يحيكه من مؤامرات سرية ضد الإسلام.

وأما خارج الجزائر فقد سار الإمام العلوي خارج البلاد بنفس الخط الذي انتهجه على الصعيد الداخلي، فقد بث أتباعه في قلب أوروبا، وأنشأ الزوايا فيها، وكانت منطلقاً وصروحاً يؤمّها الناس ليأخذوا من القائمين على خدمتها، فأنشأ زوايا في كل من: فرنسا، حيث كان له زاوية في باريس وأقام فيها مسجداً، وكذلك في أهيوْ بهولندا، وزوايا في بريطانيا، في كارديف، وليفربويل، وهال، وسوث شيلدز، وزاوية في لاهاي، وواحدة في مرسيليا، وأنشأ كذلك زوايا في البلاد العربية مثل؛ حضرموت، وسوريا، وفلسطين، والمغرب، وتونس، وأديس أبابا.

أثر هذه الزوايا

أجمل أثر هذه الزوايا فيما يلي:

(١) أحدثت هذه الزوايا ردة فعل معاكسة لنهج فرنسا التي انتهجته، والمتمثل بفرنسة الشعب الجزائري، فثاب الناس إلى دينهم وتمسكوا بقرآنهم، وأحدثت عندهم التوعية لمخططات فرنسا وعملائها داخل البلاد الإسلامية.

(٢) زادت من تمسك الشعب الجزائري بتراثه، فلم تصنع فيه المغريات والتحديات شيئا، بعد أن عرف الشعب قيمة هذا الدين الذي ينتمي إليه، وخطورة التيار والبرنامج الاستعماري الذي يواجهون.

(٣) دخول كثير من العائلات الفرنسية النصرانية في الإسلام بسبب وصول دعوته إليهم، وسأضرب على ذلك مثالاً: استعمل أتباع الأستاذ العلوي منهاجاً غريباً في توصيل دعوة الإسلام إلى الكفار، فقد كانوا يشيّعون الميت برفع أصواتهم بالتهليل، ويمرون به في شوارع باريس وأسواقها، يمضون ساعات في ذلك حتى يتم دفنه، وكانوا يهدفون من ذلك إلى لفت أنظار الناس، فإذا ما تساءلوا عن ذلك انبرى لهم أحد الدعاة الذي يجيد اللغة الفرنسية، فيجمعهم ويتحدث إليهم عن محاسن الإسلام، فلا يقوم من عندهم إلاّ وقد دخل بعضهم في الإسلام، ورغب فيه البعض الآخر وهكذا، حتى دخلت آلاف من العائلات الفرنسية في الإسلام بهذه الطريقة.

(٤) إسلام عدد من المسئولين الفرنسيين في الجزائر، والذي كان سبباً في تسهيل مهمة الأستاذ، فبعد أن كانوا أعداءً له، صاروا من أتباعه ومناصريه.

(٥) توبة كثير من الأسر الجزائرية التي بهرتها الثقافة الأجنبية، فبعد أن كانت معولاً لهدم الإسلام أصبحت اليوم أيدي بناءة لصرحه.

(٦) توبة الكثير من كبار المسؤولين الجزائريين الذين كانوا موظفين في حكومة فرنسا الحاكمة، فصاروا أنصاراً للإسلام بعد أن كانوا غير ذلك، ولا زالت هذه الزوايا قائمة إلى يومنا هذا والحمد لله، وقد اجتمعت بعدد منهم، فرأيت منهم الغيرة على الإسلام والتمسك بتعاليمه، لكنهم لا يجيدون الكتابة في العربية إلا أنهم يحسنون النطق بها.

مؤلّفاته

ترك الأستاذ مجموعة قيمة من الكتب، وغالب كتاباته كانت في الصحف، وهذا ما استطعت الوقوف عليه من مؤلفاته:

(١) القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف، وهو كتاب جدير بالقراءة من شباب العصر، فهو يجيب عن كثير من التساؤلات التي يطرحونها ويشفي غليلهم بما أورده من الأدلة الشرعية والبراهين القطعية في مشروعية التصوف.

(٢) مفتاح الشهود في مظاهر الوجود، وقد أبان فيه عن قدرة فائقة في العلوم الكونية بأنوار لدنية، أقام بواسطته الدليل على الملحدين والجاحدين والمنكرين من الكتاب العزيز والسنة المطهرة،

ووضح فيه كثيرا من الشبهات التي تعترض المفكرين والفلاسفة وعلماء الهيأة (ألفه سنة ١٩٠٤م) وقد طبع.

(٣) المواد الغيثية الناشئة عن الحِكَم الغوثية، وهو شرح للحكم المنسوبة للغوث أبي مدين شعيب الأندلسي.

(٤) الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف، وهو موضوع كتابنا هذا.

(٥) القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول، وهو كتاب يقع في حوالي عشر صفحات ركز فيه على أسس العقيدة الإسلامية.

(٦) البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، وهو تفسير للقرآن العظيم، فسر فيه سورة الفاتحة و (٢٠٦) آيات من سورة البقرة، ووصل عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ البقرة، فسره على طريقة الصوفية وهو ما يسمى بالتفسير الإشاري.

(٧) مبادئ التأييد فيما يحتاج إليه المريد في علم الفقه والتوحيد، وهو على نهج منظومة ابن عاشر ألفه سنة (١٩٢٦).

(٨) الرسالة العلوية، وهي منظومة حوت قضايا الفقه المالكي وسار فيها على نسق الشيخ خليل في مختصره، وهي قصيدة في ألف بيت قال في تسميتها:

سميتها الرسالة العلوية في بعضٍ من المسائل الشرعية.

(٩) الأنموذج الفريد المشير لخالص التوحيد.

(١٠) دوحة الأسرار في معنى الصلاة على النبي المختار، وقد قمت بتحقيق الكتاب ونشره عام (١٤٢٣هـ) وهو الحلقة الثالثة من

هذه السلسلة.

(١١) المنح القدوسية بشرح المرشد المعين على طريقة الصوفية، شرح فيها منظومة ابن عاشر في الفقه المالكي.

(١٢) ديوان شعر.

(١٣) الألفية في الفقه المالكي، ولعلها هي الرسالة العلوية.

(١٤) الأبحاث العلوية في الفلسفة الإسلامية.

(١٥) مناهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن.

(١٦) لباب العلم في تفسير سورة النجم.

(١٧) نور الإثمد في سنة وضع اليد على اليد، عالج فيه قضية سدل اليدين على الجنبين في الصلاة وقبضهما وردّ فيه على الذين ينكرون مشروعية القبض.

(١٨) مفتاح علوم السر في تفسير سورة والعصر.

(١٩) القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد (اللـــه).

(٢٠) الأجوبة العشرة، وهو كتاب عظيم الشأن رفيع القدر في بابه، إذ عالج فيه موضوعاً يعد من أخطر المواضيع التي لم تدرس بالطريقة التي ينبغي أن تدرس بها، فدرس كتابي العهد القديم والجديد، ومنها أقام الحجة على بطلانها من خلال تعارض نسخها الثلاث والمطبوعة باللغات؛ العبرانية واليونانية والسامرية، وأقام الحجة على صحة الديانة الإسلامية بما أورده من أدلة تاريخية وعقلية ونصّيّة من تلك الكتب ثم دعم ذلك بما يشهد لها من أدلة شرعية من القرآن والسنة وحجج منطقية فلسفية.

(٢١) النور الضاوي في الحكم والمناجاة، والمتمعن فيها يجد فيها

طعماً مغايراً لكلام الإنسان وكأنه تسبيح من الملأ الأعلى، أو هو كلام قريب عهد من الله، وقد طبعتُ المناجاة منها ونشرتها ضمن كتابي (الدرة البهية في الأحزاب الشاذلية) عام ١٤١٧هـ.

هذا ما استطعت الوقوف عليه من مؤلفات الأستاذ رحمه الله، وقد قامت المطبعة العلاوية في مستغانم بنشر العديد من هذه المؤلفات، وبعضها بخط يدوي، ولا يزال البعض الآخر مخطوطاً، وأسأل الله أن يوفقني لنشرها جميعا.

تلاميذه وخلفاؤه

أخذ الطريق من الشيخ ملايين المسلمين داخل الجزائر وخارجها، ولكثرتهم يستحيل حصرهم، ولكني أقتصر على ذكر من وقفت عليه من الأشياخ الذين ورثوا الأستاذ في القيام بأعباء الدعوة والإرشاد في مختلف الزوايا التابعة لطريقته، فمنهم:

(١) الشيخ عُدّة بن تونس المستغانمي (ويقال يونس وعدّه بعضهم تصحيفا) وقد خلف الأستاذ في زاويته بالجزائر.

(٢) الشيخ محمد بن الهاشمي التلمساني، وقد خلف الأستاذ في المشرق، فقد أجازه عام ١٣٣١ هـ في العام الذي حجّ فيه، أمام جمعٍ من علماء سوريا قائلاً: خليفتنا الوحيد في المشرق سيدي

محمد الهاشمي، حيث قام بزيارة لفلسطين وسوريا، والتقى بكبار العلماء.

(٣) الحاج مصطفى بن عبد السلام الفلالي، أجازه الأستاذ في فلسطين، ولما كان الاحتلال اليهودي هاجر إلى شرق الأردن وسكن مدينة الزرقاء إلى إن توفي رحمه الله

(٤) الشيخ سعيد الديماني، وكان مجازاً بنشر الطريقة في عدن.

(٥) الشيخ محمد المديني القصيبي، أجازه الأستاذ في تونس، وكان مقره في مدينة {قصيبة المديوني} كان رحمه الله عالماً من فضلاء علماء تونس، وأديباً شاعرا، له قصائد شعرية في مدح أهل الله وطريقتهم، ولم تزل زاويته باقية إلى اليوم، وأبناؤها على قدر من الصلاح والتدين، وقد اجتمعت بعدد منهم في مكة المكرمة.

(٦) العارف بالله عبد الله علي الحكيمي، يمني الجنسية، وهو المقدم في زوايا بريطانيا، ومقره في كاردف، ولم تزل الزاوية إلى اليوم بأهلها عامرة، والقيّم عليها من أحفاد الشيخ عبد الله، ويؤم هذه الزاوية المسافرون من أبناء الطريق إلى بريطانيا.

(٧) الشيخ حسن إسماعيل اليماني، وقد أجازه الأستاذ بزاوية {أهيو} بهولندا.

(٨) الشيخ احمد بن علي بن حسين، مقدم الزاوية العلاوية في بلدة عاقر بفلسطين.

(٩) الشيخ خليل شبيب مقدم زاوية الأستاذ في يافا.

(١٠) الشيخ أبو إسماعيل الزقزوقي، خليفة الشيخ في زواياه على الساحل الفلسطيني.

(١١) الشيخ احمد بن علي المنصور مقدم الزاوية العلاوية في بيت المقدس.

(١٢) الشيخ مصباح الأزهري خليفة الأستاذ في زاويته بغزة هاشم.

هذا ما استطعت الوقوف عليه من أسماء خلفاء الأستاذ في مختلف المناطق العربية والأجنبية، عليهم رضوان الله جميعا، ونفعني بهم.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تقاريظ الكتاب

قام شيخ شيوخنا سيدي محمد بن الهاشمي رضي الله عنه بعرض هذا الكتاب على ثلة من العلماء لإبداء الرأي فيه، فجاء الإجماع على صحة ما احتواه الكتاب من تأييدٍ لمذهب التصوف، زيادة على ما أورده المؤلف من أقوال العلماء على مرّ العصور الإسلامية، فكان الإجماع من علماء هذه الأمة على مر عصورها بتأييد هذا المذهب، ولن تجتمع هذه الأمة على ضلالة أبدا، لذا علمنا من هذا أن الحق مع الجماعة، وأن ما خالفهم هوىً وضلالة لقول النبي ﷺ إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبدا، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم.

هذا المذهب الذي دندن حوله بعض المغرضين أو المأجورين، أبواق الاستشراق، دعاة جهنم آخر الزمن فقد روى الحاكم في المستدرك (١/ ١٩٧) باب العلم عن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، و كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم و فيه دخن قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم و تنكر قلت: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت: يا رسول الله صفهم لنا قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت: فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت: فإن لم يكن إمام ولا جماعة؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت كذلك.

فهؤلاء الذين يصفون هذا المذهب الناصع بأمشاج الإفلاطونية، ومخلفات البرهمية والمجوسية، وأن المنتسبين إليه كالجنيد، وسهل بن عبدالله، ومحي الدين بن عربي، واحمد البدوي، وأبي الحسن الشاذلي، والرفاعي وغيرهم من الأولياء الذين أجمعت الأمة على ولايتهم وصلاحهم، هم أشد كفراً من كفر أبي جهل، إنما هم دعاة أوقفهم الشيطان على أبواب جهنم، بمعاداتهم أولياء الله، خاصة وأنا قد قرأنا حديث رسول الله ﷺ الذي رواه غير واحد أنه كتب عليه الصلاة والسلام إلى أهل اليمن كتاباً جاء فيه: من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذالكم المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسول الله ﷺ ومن أبى فعليه الجزية.

لذا ليطمئن القارئ أن الإجماع من الأمة قديماً وحديثاً جاء بثبوت هذا المذهب، وأنه الركن الثالث من أركان هذا الدين الذي جاء في حديث جبريل عليه السلام، وجاء بإسم الإحسان، وجاء في القرآن بإسم التزكية، وجاء عند بعض العلماء بإسم التربية، وبعضهم سماه بعلم السلوك، وبعضهم بالتصوف، فلا مشاحة في الاسم بعد أن تبين لنا الجوهر، علماً بأن هذه الفئة التي أنكرت التصوف حادثة الاسم والتنظيم والفكر والعقيدة، فإن كان هذا بدعة فهي أولى بالتبديع والضلالة من غيرهم.

تقـريظ

الفقيه العلاّمة والمـحدث الكبير

الأستاذ توفـيق الأيوبي الأنصاري الحمزاوي الحسيني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اجتبى فـي هذه الأمة من كل قرن سابقين، وجعلهم خلفاً للسلف الصالح ونصراء للدين المبين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد القائل: يحـمل هذا الدين من كل خَلَفٍ عُدولَه ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، وعلى آله وصحبه الذين شيّدوا أركان شريعته، وسلكوا منهاج طريقته.

أما بعد: فقد اطلعت على رسالة الناصر معروف فـي الذب عن مجد التصوف، للعارف بالله الكبير الأستاذ الشهير السيد الحاج احمد بن مصطفى العلوي المستغانمي، فوجدتها ظاهرة البرهان قوية الحجة، سلك مؤلفها أقوم محجة، وردّ على من اتخذ إلهه هواه، واتبع خطوات الشيطان ووالاه، والقلب إذا أعرض عن الله صحبته الوقيعة فـي أولياء الله. فنعوذ بالله من الـخذلان والغرور، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، فجزى الله المؤلف خير الجزاء، فإنه أحسن فـي مؤلفه ما شاء، وكشف عن وجه الحقيقة النقاب، وجلا عروسها على أولي الألباب، فأنجح الله أعماله وآماله، وأكثر فـي الأمة المحمدية أمثاله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيه وحزبه.

قاله بفمه وكتبه بقلمه

محمد توفيق الأيوبي الأنصاري ثم الحمزاوي الحسيني

تقريظ

الفقيه العلاّمة محمد هاشم رشيد الخطيب

خطيب السنانية الكبرى والمدرس بأموي دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أيّد الحق بالإسناد وعدول النقل، وجعل براهين المعجزات في كل أمر هداية لصحيح النظر قويم العقل، ومنح أهل العناية السلامة من أمراض الأباطيل، وأكرم أهل التوفيق بالشفاء من الإصرار على أوهام الأضاليل، فاغتسلوا من جنابة الغفلة بمعين الإنابة، وأعرضوا عن لغو القول لما أبصروا صوابه، كما هو شأن المتقين إذا مسّهم طائفٌ من الشيطان، يلوذون بالله ويرجعون إلى مقام الشهود والإحسان، فسبحان من أظهر شمس الإسلام ساطعة لا يمسها كسوف، وألهم المرشد الأكبر سيّدي الأستاذ الحاج احمد العلوي المستغانمي كشف الران عن أهل الغفلة المنيبين إلى الله تعالى برسالة {الناصر معروف} فطرد وساوس الزيغ والشُبَه عن سبيل التصوف بما أورده عن السلف والخلف من صحيح النقل وبراهين العقل بأبدع تصرف، وصلى الله على من جاء باليتيمة العصماء، والمحجة النقية البيضاء، القائل: يحمل هذا الدين من كل خلَف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وعلى آله نجوم الاهتداء، وأصحابه أئمة الاقتداء.

أما بعد: فقد أسعدني التوفيق بورود ساحل هذا التحقيق، فألفيته القول الفصل الذي لم يُشب بشأنه الهزل، وحسبك أن كل نقل منه فهو وحده حجةً وعمدة، فكيف وقد تظافرت نقوله بكثرتها، فهي لتأييد الحق نعم العدة، والخلاصة؛ أن الجنيد رحمه الله ورضي عنه ونفعنا بمحبته هو إمام الطائفتين، والتصوف هو سفينة السعادتين، ومن لم يتخلق بآدابه ويذق طعم شرابه مات مصرّاً على كبائر الغفلة؛ من الجهل، والبغض، والحسد، والعجب، والكِبر، والحرص، والإصرار على عبودية الهوى، وهو لا يعلم، بل يخاف على سلامة إيمانه، نسأل الله اللطف والعافية.

ولمعرفة فضل التصوف وطائفته وأتباعهم ومحبيهم المتحققين بآدابه ما في الفتاوى الحديثية لمحقق الإسلام ابن حجر الهيتمي، وكتب الغزالي إذ هو حُجة الإسلام في المعقول والمنقول على رغم أنف كل معترض، وكتب الشعراني وابن عطاء الله والنبهاني ومن قبلهم أو بعدهم، كما أشير في هذه الرسالة إلى قطرات من بحورهم رضي الله عنهم وعن كل صادق في موالاتهم، وكل عامل بأخلاقهم وصفاتهم، ونعوذ بالله من زمان أفضى السكوت فيه عن نصرة الحق إلى جرأة الأدعياء على مقام السادة الأصفياء.

جزى الله مؤلف هذه الرسالة الأستاذ النحرير المحقق خير الجزاء، وأطال حياته وعمم نفعه، كما نشكر للحبيب القدوة الأخ في الله الأستاذ سيدي محمد الهاشمي التلمساني اهتمامه بنشرها مستقلة بين المسلمين، لما في ذلك من عظيم الفائدة وتعميم الثمرة في هذا العصر الذي كاد لا سمح الله أن يفقد فيه من ينتصر للحق بطريقٍ مثمر

مشروع، بل أكثر العالمين اليوم قد أعماه هواه، واقتاده الشيطان إلى ما لا يثمر ولا يُرضي الله، وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا.

وما يقتصر على نشره في الصحف السيّارة فلا يعم الاطلاع عليه، وإن احتيج إلى مراجعته فقد يعسُر جمعه والوصول إليه.

شكراً مكرراً للمؤلف والناشر حيث قاما بهذا الرد بفرض كفاية عن المسلمين، فاعتبروا يا أولي الأبصار، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد إمام المتقين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، والحمد لله الذي هدانا لهذا بمحض فضله وكرمه، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على الحق.

فمحبة الصادقين في آداب التصوف، والاقتداء بهم هو ما أدركت عليه أساتذتي الكرام أئمة المسلمين مصابيح الظلام، منهم محدث الدنيا علامة المعقول والمنقول العمدة المرجع الأكبر إمام المسلمين سيدي الشيخ محمد بدر الدين الحسني، وأبو حنيفة الشام مفتي ديارها الهمام سيدي العلامة الأجلّ السيد محمد عطاء الله الكسم، وشافعي عصره المحقق المفضال العلاّمة الأستاذ الشيخ احمد الجوبري، والحبيب المفدى علاّمة الإسلام ومحقق الأنام سيدي الأستاذ الشيخ أمين سويد، والأستاذ الكبير علم الولاية العلاّمة النحرير سيدي الأستاذ الشيخ محمد توفيق الأيوبي الأنصاري أطال الله حياتهم، ومنهم المحدث الأكبر أسد الله سيدي الحبيب العلاّمة المفدّى المرحوم السيد محمد بن جعفر الكتاني، وإمام العارفين خطيب الأدباء والصلحاء والمسلّكين الأستاذ الكبير العلاّمة الفريد السيد محمد المبارك، وخطيب الأعلام عظيم وجهاء الشام سيدي الوالد المرحوم العلاّمة السيد رشيد

الخطيب، وبحر الأعلام خطيب الأنام شمس الإسلام محدث الحجاز والشام ابن عمي المرحوم السيد محمد أبو النصر الخطيب، ومحقق الأعلام بركة الأنام العلاّمة القدير سيدي المرحوم الشيخ عبد الوهاب الشركة، وشمس زمانه المحقق الفريد علاّمة أقرانه سيدي المرحوم الشيخ مصطفى الطنطاوي، والمحقق القدير علاّمة المعقول والمنقول وصدر أعيان الفحول ابن عمي المرحوم الشيخ محمود الخطيب رحمهم الله أجمعين، وحشرنا وإياهم مع الصادقين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

رقمه بيده أسير الذنوب الراجي منه تعالى إصلاح العيوب
خطيب السنانية الكبرى، ومدرس أموي دمشق
محمد هاشم رشيد الخطيب الحسني أباً وأماً
والقادري أباً والعباسي جدّ أبٍ لأم كان الله له.
في ٢١ ذي الحجة سنة ١٣٥٠هـ

تقـريظ

الفقيه العلاّمة الشيخ

زين العابدين بن الحسين التونسي

أستاذ اللغة العربية فـي مدرسة التجهيز والمعلمين

بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وحزبه، وبعد: فقد تصفحت هذا الكتاب الجليل، وإذ هو من الكتب القيّمة جدير بالاقتناء والمطالعة، وإني لأطلق عنان الثناء لمؤلفه الأستاذ الفاضل الشيخ سيدي الحاج احمد بن عليوة، لما بذله من الجهد فـي تأليف هذا الكتاب النفـيس الذي جاء دليلاً على ما للأستاذ من الباع المديد فـي علم التصوف، كثّر الله من أمثاله آمين.

زين العابدين بن الحسين

تقـريظ

العلاّمة الأديب محمد خالد الأنصاري

شيخ الطريقة المولوية بـحمص

بسم الله الرحمن الرحيم

الـحمـد لله الذي قـد ألـهـما علماً لدنّيا لـمن قـد عَـلما
وكشف الـحجاب عـن قلوب أرباب أهـل الحـب للمحبوب
طـه رئـيس الشرع والـحقيقة والآل حـازوا أقـوم الطريقـة
وبعـد ذا أتتنى تـسي الرسالـة وما حوت عن صاحب الرسالة
فـي ردع ضد السـادة الصوفية الـحائزيـن الرفـعـــة السنّيّة
وجـد تُـهـا رســالـة متـــيـنة عـن صحة الـدلائل الـمتينة
وأصلها عن شرعنا العالي النضر من الكتاب وهو مسلك الخضر
قمعـت الـخصم أشـــد القـمـع بالمبحث العقليّ بعـــد السمع
فحفـظ الـحفـيظ مـن ألـتّفـــهـا لـذي التقى وكل مـــن ألِفـها
وناظـــــماً لـهـذه الـــــدراري الـمولوي (محمد الأنصاري)

تقـريظ

العلاّمة مـحمد المأمون بن عبد الوهاب الأرزنجاني

صاحب مـجلة المناهج الروحية بدمشق

التصوف وفائدته

التصوف له مظهران: مظهر خارجي، ومظهر داخلي.

فالمظهر الخارجي هو؛ ما نراه من أعمال غالب المنتسبين إلى الطرق اليوم، وأما المظهر الداخلي فهو؛ التربية الروحية التي يقوم بها المربي الروحي الكامل نحو مريديه، فيطهر قلوبهم من نزوات النفس الأمارة بالسوء، ويغرس فيها بذور الفضيلة السامية التي ترقى بهم من الحضيض إلى ذروة التكامل الإنساني الأعلى، وذلك بترقية قواهم المكنونة، وصقل ملكاتهم الفطرية، وتنمية مداركهم الروحية.

فالتصوف من هذه الناحية يُعد من أعظم العلوم قدرا، وأكبرها فائدة، وأجلّها مقاما، وقد أدرك هذا السرَّ المكنونَ الأممُ الراقيةُ اليوم في الغرب، فلذلك راحوا يؤسسون معاهد عديدة للتصوف في أوروبا وأمريكا تحت اسم (التؤزوفي) لأنهم عرفوا أن الاقتصار على العلوم الطبيعية لا يحل لهم لغز الحياة، ولا يطمّن قلوبهم ولا يوصلها إلى السعادة المنشودة، ولا يهذب نفوسهم مهما بلغوا السبق في مضمار الرقي المادي.

هذا وأن هناك أناساً لم يفرقوا بين الغث والسمين، فلذلك راحوا يتحاملون على التصوف مطلقاً من دون أن يفرقوا بين الصوفية والمتصوفة المتطفلين على موائد القوم ابتغاء الارتزاق من ورائها،

ولعمري أن بين هذا وذاك بون شاسع كما بين الثرى والثريا، ولهذا السبب ألّف الأستاذ الكبير الحاج احمد بن مصطفى العلوي المستغانمي رسالته {الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف} لبيان الفرق بين الفريقين، والبرهان على لزوم اقتناء التصوف الحقيقي لكل إنسان، وأنه موافق للشريعة المحمدية، وقد أجاد حضرته في مؤلفه هذا، حيث أنه أثبت مدعاه بنصوص العلماء الأعلام، لئلا يبقى لأحد ريب في فائدة التصوف ومنفعته العظمى، وأنه الوسيلة الوحيدة لنزع ما تأصل في النفوس من جذور الأخلاق السيئة والعادات المستهجنة، وتحليتها بالفضائل والكمالات الإنسانية العالية.

فجزاه الله عن الحق والحقيقة والعلم خيرا، ونفع المسلمين بعلومه آمين.

كاتبه

محمد المأمون عبد الوهاب الأرزلجاني

صاحب مجلة المناهج الروحية بدمشق الشام

تقـريظ

الفقيه العلاّمة جميل الشطي

مفتي السادة الحنابلة بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فإن التصوف إذا لم يكن مما دل عليه الدين الإسلامي صراحة فإنه معلوم من الدين بالضرورة، وليس في وسع أحد أن ينكر أصله إلا جهلاً أو مكابرة، ويكفي في ثبوته من الكتاب قصة الخضر وموسى عليهما السلام، فإن المفسرين رحمهم الله قد اعترفوا بأن هناك علماً لدنّياً فوق علم موسى، وأثبتوا به هذا العلم الشريف، وإن لم يرد به شرع ظاهر وتكليف صريح، كما قرر ذلك حجة الإسلام الغزالي رحمه الله، ومن السنة مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة الواردة في حديث الإسلام والإيمان والإحسان، التي سألها جبريل النبي ﷺ وفيها يقول الإمام السبكي رحمه الله: علوم الشريعة ثلاثة، الفقه وإليه الإشارة بالإسلام، وأصول الدين وإليه الإشارة بالإيمان، والتصوف وإليه الإشارة بالإحسان، وما عدا هذه العلوم إما راجع إليها وإما خارج عن الشريعة.

ثم إن الاقتصار في النقل والنقد على كتاب تلبيس إبليس للإمام الحافظ ابن الجوزي رحمه الله،كما قال المؤلف حفظه الله غير كاف للاحتجاج به مع احترام قدره وفضله، وإنما يحمل ذلك منه على أنه إنما كتبه رداً على رجال من الصوفية غلوا في دينهم، وخرجوا عن

حدودهم، وهذا لا ينكَر وقوعه حتى عند محققي الصوفية أنفسهم، فكان الرد على مثل هؤلاء، والإنكار عليهم من قبيل سد الذرائع، وهكذا يقال فيما وجد من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه، سواء إنكاره على من سبقه من أئمة الصوفية بحسب ما اطلع عليه من كلامهم، أو على من عاصره ورأى شذوذهم، وقد أثنى في رسائله على مثل أبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، وأبي مدين، والشيخ عبد القادر الجيلاني.

وقال رحمه الله في فتاواه: إن الاجتماع لذكر الله، واستماع كتابه، والدعاء عمل صالح، لكن ينبغي أن يكون في بعض الأوقات والأمكنة فلا يُجعل سنة راتبة، وهذا من الشيخ ابن تيميه كافٍ لثبوت أصل التصوف عنده.

وأما ابن القيم رحمه الله؛ فإن من يمارس كلامه في كثير من كتبه يدرك منه روحاً عالية ونزعات صوفية، فهو صوفي بالطبع فضلاً عن تصريحه في شرح منازل السائرين بأن الناس في شطحات الصوفية ثلاث طوائف:

- الأولى: حُجبت عن محاسن الصوفية لأجل هذه الشطحات.
- والثانية: حُجبت بما رأت من محاسن القوم عن عيوب الشطحات.
- والثالثة: أهل العدل والإنصاف أعطوا كل ذي حق حقه.

أما علاّمتنا السفاريني ـ رحمه الله ـ فإنه أنكر على الصوفية وحدة الوجود، لأنها تخالف في الظاهر عقيدة السلف كما ذكر ذلك في عقيدته، وأنكر عليهم آلات اللهو والرقص حيث يستعملها بعضهم،

والسماع الذي أباحه أكثرهم كما حكى ذلك في آدابه، وهذا لا ينافي الاعتقاد بأصل علم التصوف واحترام رجاله المتجردين عما ذكر، ورحم الله إمامنا الإمام احمد بن حنبل رضي الله عنه، فإنه لما قال أحدهم عن الشيخ معروف الكرخي أنه قصير العلم قال له الإمام: أمسك عافاك الله، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف؟ وما أحسن قول الإمام مالك رضي الله عنه: (من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن جمع بينهما فقد تحقق) لأن الفقه علم والتصوف عمل، وقول بعضهم: إن نظر الصوفي أخص من نظر الفقيه، فلهذا صح إنكار الثاني على الأول ولا يصح عكسه، وصوفي الفقهاء خير من فقيه الصوفية، وقد شهد لهذا العلم العلاّمة ابن خلدون في مقدمته بأنه من العلوم الحادثة في الملة الإسلامية، وأن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وكان ذلك عاماً في السلف.

فهذه مواضع صالحة أشار إليها حضرة العلاّمة الجليل الأستاذ النبيل مؤلف هذا الكتاب نفع الله به الطالبين، وأقر به عيون المحبين، رأيناها خير شاهد لموضوعه، ولقد أنصف غاية الإنصاف بقوله في أوائل كتابه حفظه الله يخاطب خصمه أصلحه الله: ولا تظن أيها الأخ أني أقصد حماية أهل الطريق كيفما كانت نحلتهم، وتطورت صبغتهم، وإن حادوا عن الشرع الشريف، فمعاذ الله أن تجدني للظالمين عضدا، فالشرع حاكم غير محكوم عليه، والمتصوفة كغيرهم من سائر الطبقات فيهم الغث والسمين.

وبالجملة فقد أجاد مولانا المؤلف وأفاد، وأتى بالمطلوب، والمراد هو أجلّ من أن ينبه مثلي على فضله، وهيهات أن يأتي الزمان بمثله والسلام عليه وعلى من انتمى إليه.

جميل الشطي
مفتي السادة الحنابلة بدمشق

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تقـريظ

الفقيه العلاّمة محمود ياسين

الحمد لله الحليم الكريم العزيز الحكيم، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعترته وأحبائه ومن اقتفى أثرهم، ونصر خبرهم إلى يوم الدين.

وبعد: فقد اطلعت على هذه الرسالة الغراء الجامعة لنصوص كبار العلماء من مشرقيين ومغربيين، ومتقدمين ومتأخرين في الذب عن أهل الله، والثناء على خطتهم ومدح طريقهم، وبيان أنه الصراط السوي، صراط الذين أنعم الله عليهم بمحبته وتأييد ملته، تأليف الأستاذ المطلع المرشد الشيخ سيدي الحاج احمد بن مصطفى العلوي المستغانمي، كتبها رداً على ما نشره بعض الكتّاب في العدد (١٧٤) من مجلة الشهاب، من الحط من كرامة السادات الصوفية، والتنديد برؤسائهم، والتصريح بأن الجنيد وعصابته كانوا أحط مرتبة عند بعض الأئمة من مرتبة الخوارج فضلاً عن حمقهم وعن الخلل الموجود بأقوالهم وأفعالهم، فقام الأستاذ مؤلف هذه الرسالة بردّ هذه المزاعم بمقالات نُشرت في صحيفة البلاغ الجزائرية بإمضاء الناصر معروف، وفي هذه الآونة قام الأستاذ الشيخ محمد بن الهاشمي التلمساني بطبع هذه المقالات في شكل رسالة لطيفة الحجم، رغبة في تعميم الانتفاع بها، وتأييداً لنصوصها وبراهينها.

ما كنا نظن أن في الناس من يضعف إدراكه، وتخمد جذوة أفكاره، فيرى الحق باطلاً، والنهار ليلاً، فيندد بأقوام أطلعهم الله على

أسرار دينه، وميّزهم على من عداهم بالزهد في الدنيا والبعد عن زخارفها، ومحاربة النفس الأمارة بالسوء، ومجاهدتها على ركوب الصراط السوي، وانتهاج النهج الواضح.

إن طريق السادة الصوفية مؤسسة على حب الاتباع وبغض الابتداع، ومن أمهات قواعدها التقيد بالكتاب والسنة، والرد على ما يخالفهما مهما علت درجته، وعظمت منزلته، قال الجنيد: علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة، فلهذا لو ادعى إنسان طريقتهم وتربع في الهواء، دليلاً على صحة دعواه الولاية، ثم ردّ سنّةً صحيحةً واحدة كان في دعواه هذه لصاً محتالاً، وكاذباً شيطاناً.

إن قوماً من قواعدهم الثابتة رد دعوى الفناء في الله تعالى، حتى يتقدمها الفناء في رسول الله ﷺ فيكون المدّعي عند ما جاء به عليه الصلاة والسلام ظاهراً وباطناً، سراً وجهراً لا ينى ولا يقصر ولا يتقدم ولا يتأخر، إن قوماً هذا مبدؤهم وذلك منهاجهم، من الخطأ في الرأي والسخف في القول أن نغمطهم حقهم، ونمعن في إيذاء رؤوسهم وكرام قافلتهم، على أن سند هذا المجترئ في ذم القوم ضعيف لا يقوى على الوقوف أمام سند المادحين، ومن أين للباطل أن يثبت أمام الحق، وللضلال أن يطمس معالم الهدى.

إن ما استدل به المجترئ على أهل الله وأهل طريقه ينحصر في نقول سبعة، وما استدل به مؤلف الرسالة على تأييد خطتهم ومدح سبيلهم يزيد على السبعين نقلاً، ومتى كانت السبعة تطاول السبعين، والفذ الضعيف يقف أمام المئين، وليكون القارئ على ثقة مما ذكرنا رأينا أن نسرد عليه أسماء المؤيدين لطريقة الصوفية ممن نقل المصنّف في

رسالته نصوص عباراتهم، وبذلك يزول ريب المرتاب في أن منزلة المنقصين لا تجتمع مع منزلة المادحين، هذا إن صح النقل عن المنقّص وهو أمر من الصعوبة بمكان، فمن المؤيدين لطريق الصوفية والمثنين على رجالاتها:

الحسن البصري (٢) مالك (٣) سفيان الثوري (٤) أبو حنيفة (٥) الشافعي (٦) احمد (٧) يحي بن معين (٨) أبو منصور الماتريدي (٩) الكندي صاحب التاريخ (١٠) أبو نصر الطوسي (١١) صاحب الحلية (١٢) ابن سريج (١٣) الأنصاري صاحب إرشاد القاصد (١٤) القشيري (١٥) إمام الحرمين (١٦) الغزالي (١٧) ابن العربي المعافري (١٨) ابن النحّاس (١٩) ابن حمدون (٢٠) النووي (٢١) الشاطبي (٢٢) القاضي ابن رشد (٢٣) أبو منصور الشيرازي (٢٤) أبو علي الجرجاني (٢٥) المقرّي (٢٦) ابن الحاج (٢٧) ابن خلّكان (٢٨) السنوسي (٢٩) الفيروز آبادي (٣٠) ابن رضوان صاحب سعود المطالع (٣١) الشيخ عز الدين (٣٢) ركن الدين (٣٣) الشيخ ابن دقيق العيد (٣٤) العز بن عبد السلام (٣٥) ابن تيمية (٣٦) ابن قيم الجوزية (٣٧) السبكي (٣٨) شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (٣٩) الناصر اللقاني (٤٠) والفاسي (٤١) ابن البنا التجيبي (٤٢) ابن خلدون (٤٣) الشيخ زرّوق من المالكية (٤٤) ابن حجر (٤٥) الرملي من الشافعية (٤٦) الحموي من الحنفية (٤٧) الهروي (٤٨) ابن النجار من الحنابلة (٤٩) التتائي (٥٠) الجلال المحلي (٥١) البناني (٥٢) ابن صدر الدين (٥٣) اللقاني (٥٤) الدمنهوري (٥٥) الصاوي (٥٦) الشيخ ميّاره (٥٧) الشيخ عبد القادر الأبيري (٥٨) الدردير (٥٩) الفشني شارح الزّبَد (٦٠)

العطار (٦١) الشعراني (٦٢) بيرم الخامس مفتي تونس (٦٣) السمهودي (٦٤) الشبرخيتي (٦٥) الشيخ محمد عُلّيش (٦٦) الشرنوبي شارح تائية السلوك (٦٧) جمال الدين الأفغاني (٦٨) الشيخ محمد عبده مفتي مصر في رسالة الواردات وفي شرح مقامات بديع الزمان (٦٩) السيد محمد رشيد رضا في تاريخ الأستاذ الإمام وفي جزء من فتاوي المنار طبع مستقلاً (٧٠) الشيخ المكي بن عزّوز (٧١) السيد محمد الخضر بن الحسين التونسي نزيل مصر (٧٢) الشيخ محمد الكافي نزيل دمشق (٧٣) الكاتب الكبير الأمير شكيب أرسلان (٧٤) السيد مصطفى صادق الرافعي (٧٥) السيد فريد وجدي (٧٦) الأمير عبد القادر الجزائري (٧٧) احمد بن رسلام الشافعي.

كل هؤلاء نقل مؤلف الرسالة عنهم نصوص الثناء على السادات الصوفية، أما الذامون للصوفية فهم كما أسلفنا سبعة فقط، اغتر المعترض فنقل أقوالهم من كتاب {تلبيس إبليس} وهم مالك والشافعي وأبو سليمان ويونس بن عبد الأعلى وسفيان الثوري ووكيع ويحي بن يحي، ونقل القدح عنهم معارض لنقل المدح عنهم أيضاً المؤيد بما سبق من ثناء جمهور علماء الأمة عليهم، على أنّ تعارُض النقلِ عن هؤلاء الأعلام السبعة يجب أن يدفعنا إلى القول بأن مرادهم بالذم (إن صحّ نقله عنهم) ذم الدخلاء في طريق القوم، الذين لا يخلو منهم قسم من أقسام البشر، ولا نوع من أنواع رجاله، لا ذمّ الصادقين منهم الذين ثبتت عدالتهم، وحسنت سيرتهم، وأجمع الناس على الثناء عليهم، وكما يجب حمل هذا الفريق من الذامين لطريق القوم على الوجه الذي أشرنا إليه، يجب أن يحمل على ما يوهم من ألفاظ بعض أهل الطريق

(وهو ما يعبر عنه بالشطحات) على أن صاحبه إنـما نطق به وهو غائب عن حسّه، غير شاعر بـما يقوله لما يملّكه من الواردات الإلهية والأحوال اللدنّية، وذلك للإجماع على عدالتهم وعلو منـزلتهم وزيادة تقواهم، فقد اتفق الناس على أن المجبر معذور، والمكره غير ملوم، وإذا سقط ما يسمى بالشطح لم يبق عند الصوفـية غير مجاهدة النفس ومحاسبتها، وتعرّف دخائلها وخفايا شؤونها حتى تطهر من أدناسها، وتزكو من قبيح صفاتها، وتلتزم العمل بالأحكام الشرعية، وتقف عند حدودها وأدبها، وتحتقر هذه الدنيا وزخارفها، وتبتعد عن بدعها ورذائلها، وتزهد فـيما سوى الحق تعالى، وليت شعري هل فـي ذلك أو فـي شيء منه ما يُنكَر أو يُزدرى، أو يُعترض عليه أو يُشتكى منه، سبحانك اللهم ليس فـي ذلك شيء يُنكَر ولا أمر يُتبرم منه، بل جميعه مما يـجب تحصيله ويُفترض العمل للوصول إليه لموافقته لمنهاج الشريعة، وعدم مباينته لما جاء به رسول الله ﷺ مما هو جِماع الخير لكل من تـمسك به، وسار فـي سبيله، إذ كان جلّ ما يراد من علم التصوف هو ما ذكرنا، فلا معنى لإنكاره ولا سبب للتنديد بالداعين إليه غير الجهل بطريقهم وسوء الفهم لأحوالهم، أو تعمد الإذاية لهم بغية الكيد لأحباب الله، والنيل من أوليائه وعامة المنتسبين إليه.

إن الانتقاد سبب عظيم من أسباب النجاح، يحلو إذا كان المراد منه خدمة الحقيقة، ويـمر إذا أُريد به التشفـي أو التغرير أو إظهار الحق بصورة الباطل، أو الباطل بصورة الحق، والمعترضون على السادة الصوفـية لو وقفوا فـي اعتراضهم على الدخلاء فـي مذهب القوم ـ كما أسلفنا ـ لأصابوا كبد الحقيقة، ولاستحقوا من الناس الحمد، ولكان لهم

في الله تعالى جزيل الثواب، ولكنهم تجاوزوا ذلك إلى الأخيار الأبرار، فكانوا هم الملومين، وجدّوا في الحط من مقامهم فكانوا هم الخاسرين.

إن من يحاول الاعتراض على أحباب الله والحط من رفيع مقامهم وعظيم منـزلتهم، كمن يذم البدر في سنائه، والنجم في علائه، وكمن يريد أن يطفئ نور الله، والله متم نوره، على أن نعود فنرجح ماكنا ذكرناه من أن مراد المنددين بالدخلاء الدجالين الذين تجرءوا على الشريعة الطاهرة، وحاولوا الانفلات من ربقة التكليف، وأوّلوا آيات الكتاب وأطلقوا العنان لأنفسهم وللأميين من أتباعهم في فهم النصوص الدينية، فبعدوا بذلك عن ظاهر الشريعة، وخالفوا جمهرة العلماء، وهدموا بأيديهم أركان الدين وقوضوا بنيانه، فكانوا أداة شرٍّ بين السلف والخلف، فثارت لذلك نيران الخلاف، واندلع لهيب الشقاق، وكان من جراء ذلك الوقوع بأولياء الله، والإيذاء لأهل طريقه والداعين إليه، فعسى أن نرى بعد اليوم من كتّابنا المجاهدين، وعلمائنا العاملين من يصوّب سهام انتقاداته نحو هذه الفئة الظالمة، وينشر بين الناس أخبار أكاذيبها وعظيم قبائحها، حتى لا يغتر بها مغتر، ولا ينقاد لباطلها جاهل، وحتى تعلو كلمة الحق وتخبو كلمة الباطل، ونكون من الناصرين للحقيقة، الناشرين للوائها بين الخاصة والعامة، وفقنا الله لما يحبه ويرضاه، وجعلنا ممن اتبع هداه، وحمانا من الوقيعة في أحبابه، ومنّ علينا بمحبتهم وسلوك منهجهم، وحسن الأدب معهم، وجزى الله مؤلف هذه الرسالة وناشرها خير الجزاء، وأعظم لنا ولهما المثوبة يوم الجزاء.

محمود ياسين

تقـريظ

الفقيه المـحدث

احمد بن ابراهيم الجبّان

حمداً لمن أنزل على عبد قرآناً عربياً غير ذي عِوج، ومـحا بنوره ظُلم الشرك وما جعل فـي الدين من حرج، وأحيا بروح معانيه ميت القلب، وغذى بروح مبانيه رياض علوم الغيب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من أُطلق من ربقة قيد التقليد، وشرب أعذب كؤوس التوحيد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخليله، الذي ارتفع شأن جبريل بالهبوط إلى أعتابه، وعلى آله وأصحابه.

أما بعد: فقد تصفحت هذا الكتاب المسمى {الناصر معروف فـي الذب عن مجد التصوف} لمؤلفه العالم الزاهد الأستاذ المرشد سيدي الحاج احمد بن عليوة المستغانمي، فوجدته الضالة المنشودة فـي هذا الباب، جامعاً لآداب الدنيا والدين، ببيانٍ شافٍ فـي الرد على من انحرف عن جادة الحق المبين، وسلك طرق الشياطين، وتكلم على السادة الصوفـية الذين هم علماء الأمة وأكابر الأئمة، ولولا الخروج عن الصدد لوفـيته الكيل صاعاً بصاع، ولكن إن هو إلا كصرير باب أو طنين ذباب، على أن العفو أقرب للتقوى، لأن السادة الذين تكلم فـي شأنهم إذا مروا باللغو مروا كراما، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، قال السّريُّ السقطي: رأيت معروفاً الكرخي فـي النوم كأنه تحت العرش، والباري جلّت قدرته يقول لملائكته: من هذا؟ وهم يقولون: أنت تعلم يا ربنا،

فقال: هذا معروف الكرخي سكر من حبي فلا يفيق إلا بلقائي، وقال معروف: قال لي بعض أصحاب داود الطائي: إياك أن تترك العمل، فإن ذلك يقربك إلى رضي مولاك فقلت: وما ذاك العمل؟ قال: دوام الطاعة لمولاك، وحرمة المسلمين، والنصيحة لهم، وقال محمد بن الحسن: سمعت أبي يقول: رأيت معروفاً الكرخي في النوم بعد وفاته فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، فقلت: بزهدك وورعك؟ فقال: لا، بل بقبول موعظة ابن السّمّاك، ولزومي الفقر، ومحبتي للفقراء، وكانت موعظة ابن السّمّاك ما رواه معروف قال: كنت مارّاً بالكوفة، فوقفت على رجل يقال له ابن السّماك وهو يعظ الناس، فقال في خلال كلامه: من أعرض عن الله بالكلية أعرض الله عنه جملة، ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله تعالى برحمته عليه، وأقبل بوجوه الخلق إليه، ومن كان مرة ومرة فالله تعالى يرحمه وقتاً ما، فوقع كلامه في قلبي، وأقبلت على الله تعالى وتركت جميع ما كنت عليه، وقيل لمعروف في مرض موته: أوصِ فقال: إذا متُّ فتصدقوا بقميصي، فإني أريد أن أخرج من الدنيا عُريانا، ومر معروف بسقّاء وهو يقول: رحم الله من يشرب، فتقدم وشرب، وكان صائماً، فقيل له: ألم تكُ صائما؟ فقال: بلى ولكن رجوت دعاءه، فانظر يا أخي رحمك الله إلى مثل هؤلاء، تجد أخلاقاً نبوية يهتدي بها الخلق إلى الله تعالى، ولله در من قال:

إن للـــــه عبـادا فُطـنـا ... طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظـروا فـيها فلما علمـوا ... أنهـا ليست لـحـيٍّ وطنـا
جعلـوها لُجـةً واتـخـذوا ... صالح الأعمال فـيها سفـنا

فالإنصاف والتسليم لهؤلاء السادة الأبرار الذين هم مركزٌ للدائرة المحمدية حتى تنال بركة دعائهم.

ذُكر عن بشر الحافي أنه جاء إلى إسكاف يطلب منه شسعاً لنعله وكان قد انقطع، فقال له الإسكاف: ما أكثرَ كلفتَكم على الناس، فألقى النعل وحلف لا يلبس نعلاً بعدها، وقيل لبشر: بأي شيء تأكل الخبز؟ فقال: أذكر العافية وأجعلها إداما، وقال عبد الله بن احمد بن حنبل: دخلت امرأة على أبي فقالت: يا أبا عبدالله، إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج، وربما طفئ السراج فأغزل على ضوء القمر، فهل عليّ أن أبين غزل السراج من غزل القمر؟ فقال: إن كان عندك بينهما فرقٌ فعليك أن تبيني ذلك، فقالت له: يا أبا عبد الله أنين المريض هل هو شكوى؟ فقال لها: إني أرجو أن لا يكون شكوى، ولكن هو اشتكاءٌ إلى الله تعالى، ثم انصرفت، قال عبد الله: فقال لي أبي: يا بني ما سمعتُ إنساناً قط يسأل عن مثل هذا، اتبعها، قال عبد الله: فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر، فأتيت أبي فقلت له: إن المرأة أخت بشر الحافي، فقال أبي: هذا والله هو الصحيح، محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر، فهؤلاء الأخيار هم الذين فهموا عن الله تعالى أمره ونهيه:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

فرحم الله عبداً عرف الحق لأهله فانقاد له وإلا:

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم

والله عز وجل الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الكرام وأصحابه العظام، الذين أيدوا هذه الشريعة الغراء، وأسسوا قواعد المحجة البيضاء، وبحثوا عن الحق فأظهروه، ودحضوا الباطل وأنكروه، وصلاةً وسلاماً دائمين بدوام كرمه لائقين بسوابغ نعمه.

خادم العلم الشريف
احمد بن إبراهيم الجبّان

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الناصر معروف
في الذّب عن مجد التصوف

الإمام العلاّمة
أحمد بن مصطفى العلوي
رضي الله عنه

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

حققه وعلّق عليه
عبد الله محمد عكـــور
كـــان الله لـــه

قال الإمام الحُجة المجدد مولانا الشيخ احمد بن مصطفى العلوي رضي الله عنه، ورفع في الدارين قدره:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم، والصلاة والسلام على النبي الكريم، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

إلى المعظمِ قدرُهُ أستاذ التدريس بالحرم النبوي الشريف الشيخ [1].

رزقني الله وإياكم رفقاً بالمؤمنين، خصوصاً من ذلك أئمة الدين، وهداة المسلمين، والسلام عليكم وعلى عباد الله الصالحين، من أخ لكم في الدين يرى النصح عليه واجباً مهما استطاع إلى ذلك سبيلا.

هذا أيها الأخ وإننا وأيم الله لمن يغبطكم لمكانكم ومكانتكم، وهذا لا يمنعني أن نقول لكم: أنه يجدر بكم وأنتم أهل الخير والصلاح، والدعاة إلى سبيل الإصلاح، أن تكونوا على جانب عظيم من التثبت في النقل ومجانبة ضعيف المأخذ، لا سيّما وأنتم بصدد إثبات الحُجة[2] وتوضيح[3] المحجة، كما لا يخفاكم أن الحُجة لا تثبت فيما

---

(١) هكذا وردت في الأصل بدون ذكر الاسم وهذا من مكارم أخلاق المؤلف رحمه الله حيث أنه يعرض بالشخص تعريضاً، وهذا هو الهدي النبوي في الإرشاد حيث كان عليه الصلاة والسلام إذا أراد نصح إنسان يقول: ما بالُ أقوام.

(٢) الحجة: البرهان والدليل.

(٣) المحجة: الطريق.

وإذاً فالنقل بتلك الصفة يُخشى منه أن يكون عاملاً بانفراده عند خالي الذهن، لا يملك من احترام ما كان يحترمه من قبل نقيراً ولا قطميرا[٨] وعليه فلا تراني من المتكلفين ولا من المترامين على شيء لا يهمني إذا حاولت نقض ما أبرمتموه، وحل ما عقدتموه بصفة تعجبكم إن شاء الله وتسر الناظرين، وليس لي نية في ذلك إلا مجرد استطلاع الحقيقة وإثبات الواقع، ولا تعتقد أن تكون تلك المحاولة مني نحو إتيان البيوت من ظهورها، وإرسال النصوص على علاّتها[٩] كلاّ، فإن توضيح المحجة لا يصح إلا بمقارعة الحُجة بالحُجة، هكذا سولت لي نفسي، ولا عليك في تسولها ما دام للناس عيون يبصرون بها، وآذان يسمعون بها، وأنت خبير بأن قيمة النصوص مرسومة على ظاهرها، فمن أبصر فلنفسه، ومن عمي فعليها، وكيفما كان الحال فعصا موسى لا تشبّه بغيرها، وإن كانت بين كثير من العصي، وهكذا يده البيضاء وإن كانت بين كثير من الأيدي[١٠] وإنني وإن كنت نحترم شخصكم يتحتم عليّ

---

(٨) النقير: هو الثقب الصغير في الحجر أو الخشب، والقطمير: هي القشرة الرقيقة على نواة التمر ويقال للأمر الحقير.

(٩) أراد المؤلف بخطابه هذا أن يخبر المعترض وكل من هو على شاكلته أنه سينقض أدلتهم التي تشبثوا بها في بطلان مذهب التصوف بالدليل الواضح ومن الجهة التي استدبروها، وأنه سينهج المنهج الموضوعي البعيد عن العصبية والتعصب، لا كما فعله المنكر بحيث لم ينتهج المنهج العلمي الصحيح.

(١٠) أي إن هذا النص من حيث كلماته هو كبقية النصوص، ولكن إذا عرضناه على أهل الخبرة والاختصاص بانت قيمته الأدبية، وظهر جوهره ومعناه، لأن النصوص تتفاوت في قيمتها، كما أن عصا موسى عليه السلام من حيث ظاهرها هي كبقية العصي، ويده التي أضاءت كالفرقد هي كبقية الأيدي، ولكن العصا امتازت عن غيرها من العصي، فقد أنزلت من الجنة، ولها ميزات كثيرة، يضرب بها الحجر فينبع منه الماء، وضرب بها البحر فانفلق، وكان يغرزها في الأرض فتورق من ساعتها ويستظل بظلها، وإذا أراد النوم غرزها أمام الغنم فتقف حارسة

عندما أتأمل ما كتبتموه أن نقول لكم: قد تسورتم على القوم الصوفية المحراب، وأردتم مقارعة الجبال بما تحت أيديكم من السراب:

يا ناطح الجبل العالي لتوهنه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

وهل تظن يا حضرة الأخ أن ما لفقتموه من تلك الجُمل يستطيع أن يعمل بانفراده متسعاً في سياج من حديد؟! ذلك السياج الذي أقامته يد العناية الإلهية حول كرامة المتصوفة من أمد بعيد، كان ولم يزل ثابت القواعد، فحقيق أن لا تستطيع لمثل ذلك ولو حاولت دهراً طويلا.

نعم إن كثيراً ما حاول غيركم في الغابر، ولكنه حاول عبثاً، وقبل الشروع في المقصود أثبت لكم شيئاً لربما يسبق فهمكم أو فهم غيركم إلى نقيضه وهو: إني والحمد لله لا أنتصر بكتابتي هاته ولا بغيرها إن شاء الله إلا لأمر ينتصر له الدين، ويهم جمهور المسلمين، وعليه فلا تظن أيها الأخ أني أقصد حماية أهل الطريق كيفما كانت نِحلتهم وتطورت صبغتهم، وإن حادوا عن الشرع فمعاذ الله أن تجدني للظالمين عضدا، فالشرع حاكم غير محكوم عليه، والمتصوفة كغيرهم فيهم الغث والسمين، وذلك في أفراد الأمة طبيعي، والمتداخل لا يسلم منه أي فريق كان، وأنت تعلم بأني لست بالمنفرد في مراعاة حرمة الجنيد[11]

لها، وهذه الميزات ليست لكل العصي، ويده التي كانت تضيء كالكوكب من غير مرض لا تشبه باليدي، وهذه إشارة إلى ما سيأتي به المؤلف من حُجج دامغة على صحة ما سيقوله بالمقارنة مع ما ساقه المنكر من حُجج هي بمثابة يد موسى المنيرة كالكوكب على سائر الأيدي وكعصاه على سائر العصي.

(11) الجنيد بن محمد البغدادي القواريري سيد الطائفة، أبوه من نهاوند، كان يبيع القوارير فلذلك سُمي بالقواريري، كان حجة في علوم الشريعة، له مؤلفات جمة، ولكنه عند موته أوصى أن تدفن معه، وقال: أستحي من الله أن يكون لي كلام، وكلام رسوله فيهم، من أقواله: طريقنا

وعصابته، ولربما تجدون من أميالكم، وتحسون من عواطفكم ما يعضد ذلك، ولا أراني إلا معذوراً عندكم فيما ربما نرتكبه من بعض العبارات، وهي إن تجدوا لها من الثقل على أسماعكم الشريفة فلا أراها تبلغ في ذلك ما بلغت إليه عباراتكم في أسماعنا، تلك العبارة التي ذكرتم فيها كون الجنيد ومن يشاكله من رجال التصوف كانوا أحط رتبة من الخوارج عند بعض الأئمة، وهذا زيادة عما كان يصاحبهم من الزيغ في أقوالهم وأفعالهم حسبما ذكرتم، تلك النقائص التي تظنون أنها تحقق سلامتكم أنتم من جميعها ظاهراً وباطنا، فرحماك اللهم بنا وبأسلافنا، فقد أمطرت علينا وعليهم أقلام كُتّابنا مطر السوء، فهل لنا عندهم من شفيع إلا كلمة لا إله إلا الله، فاجعلها اللهم كافية لديهم، خصوصاً عند هذا الأخ المبعوث من أجله هذا الكتاب.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

هذا مقيد بحديث رسول الله (وكل من لم يقرأ القرآن ويحفظ الحديث لا يؤخذ منه في هذا العلم) شهد له أقرانه بالفضل والحكمة والولاية، توفي في بغداد سنة ٢٩٧ هـ.

المسائل التي اعتمدها المنكر في تبديع الصوفية

إني كنت أرى من واجبي أن نتتبع بالنقض جميع ما كتبتموه أيها الأخ حرفياً، ولكن عند الشروع تبين لي خلاف ذلك لما وجدته في مقالكم من ضعف المبنى واختلال المعنى[١٢] الأمر الذي لا يعطي كبير أهمية لنقض كل كلمة على حدتها، فظهر لي أن نقتصر على المسائل التي تهمنا في الموضوع:

- المسألة الأولى: التنصيص على ما قدمناه من كون المقال مختل التركيب.
- المسألة الثانية: كوم المصدر المعتمد في النقل عندكم لا يصح الاحتجاج به.
- المسألة الثالثة: في كون ما نسبتموه من النقول إلى الأئمة لا يعطي من نفسه دلالة صريحة على مذهب الصوفية.
- المسألة الرابعة: استطراد ما يفيد احترام رجال التصوف عند سائر طبقات الأمة من عهد الأئمة إلى وقتنا هذا.

---

(١٢) المبنى هو الألفاظ التي يتكون منها النص، فمباني الكلام عند هذا المنكر افتقرت إلى الضبط التركيبي، مما أفقدها سمتي الدلالة والوضوح، ومثل هذه الدخولات في المبنى وهذا الوهن في إنشائها قاد إلى نوع من اللبس في فهم مراد الكاتب ومقصوده من أقواله لتضاربها وضعفها، وقادت في النهاية إلى اختلال واضح في معناها.

بيان المسالة الأولى

فيما يوجد من الخلل في مقالكم

ولنقتصر من ذلك على جملتين تكفينا مؤنة التطويل، إحداهما ترجع إلى اللفظ، والأخرى إلى المعنى، وبذكرهما يدرك القارئ وتدركون أنتم ما لتلك المقالة من المتانة التي رأيتموها كافية في الاستدلال على إثبات مذهب القوم الصوفية رضي الله عنهم.

قلتم في مفتتح ما كتبتم بعد ما ذكرتم الجنيد وأبا يزيد[١٣] وجماعة معهما نقلاً من كتاب {تلبيس إبليس}: صدر من هؤلاء أقوال وأفعال مخالفة للشرع أنكرها عليهم العلماء...الخ، ثم قلتم: قال ابن الجوزي بعد ما ذكر من منكراتهم: ولمّا قلّ علم الصوفية بالشرع فصدر منهم الأقوال والأفعال ما لا يحل مثل ما ذكرناه، ثم تشبّه بهم من ليس منهم وتسمى باسمهم، وصدر عنهم مثل ما قد حكينا ...الخ.

قلت: وهنا يتعيّن عليّ وعلى كل من يقف على هاته الجُمل أن يستوقفكم شيئاً ما، ريثما تتبين له كيفية الاستنتاج من هذا التركيب العجيب، سواء عليه كان من عندكم أو من عند غيركم، لأن القارئ لا بد وأن يتوقف على الفهم فيما يقرأه، ومن أين له أن يفهم قولكم: أنه لما قلّ علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأقوال والأفعال ما لا

---

(١٣) أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، ولد عام ١٨٨ هـ في بسطام، كان جده مجوسياً وأسلم، كان عالماً صوفياً فقيهاً، شديد التمسك بالكتاب والسنة، صدر عنه شطحات أنكرها عليه الناس وأخرجوه من بلده لأجلها، كان يقول: إذا أعطي الرجل من الكرامات ما جعله يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تروه عند الأمر والنهي. توفي سنة ٢٦١ هـ بدمشق ودفن بها رحمه الله.

يحل، مع قولكم: ثم تشبّه بهم من ليس منهم وتسمى باسمهم، وصدر عنهم مثل ما قد حكينا، وكان الصالح منهم نادرا، فقل لي بربك ما معنى قولكم: ثم تشبه بهم من ليس منهم، فإني وتالله ما أدركت لهذا التركيب معنىً أرتاح إليه، ولولا ما جاء في آخر مقالكم من الحط على الجنيد وعصابته لظننت أنكم تريدون بصدر مقالكم تنزيه أولئك الأجلّة عما صدر من المتشبهين بهم أخيراً على حدّ قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ مريم، والمعنى أنهم كانوا على هدى، ولكنكم ما قصدتم ذلك ولا أفصحتم عن عكسه، ولا تركتم لنا مندوحة حتى نستطيع من خلالها تبرير ما جئتم به من هذا التركيب العجيب والأسلوب الغريب، فإني ما أدركت منه إلا أنه في أقصى دركات الاختلال، وبودّنا أن لو تعرّفونا بما عندكم فيه من حسن البيان، وهذا ما يرجع إلى اللفظ.

أما ما يرجع للتناقض في المعنى من جهة الاستدلال، فقد جرى في تركيبه ما هو أوهى بكثير مما قدمناه، فلا يروج عند من له أدنى مُسكة من فهم أو تمييز حسبما ستدركون ذلك بأنفسكم عندما أطلعكم عليه.

قد ذكرتم ـ يا حضرة الأخ ـ أنّ من جملة من اعترض على الصوفية وأنكر عليهم أبو سليمان[١٤] الداراني واحمد بن أبي

---

(١٤) عبد الرحمن بن عطية من داران إحدى قرى الشام وتعرف اليوم بداريّا، من كبار رجال التصوف، شديد التمسك بالكتاب والسنة، على قدر عال من العلم، آثر العزلة والوحدة حتى لا ينشغل عن الذكر، من كلامه: ربما تقع في قلبي النكتة من نكت القوم (أي أحوالهم) أياما، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين، الكتاب والسنة، توفي سنة ٢١٥ هـ ودفن خارج دمشق رحمه الله.

الحواري[١٥] ولم تلبثوا إلا قليلاً حتى ذكرتم هذين الرجلين من جملة الصوفية الذين وقع عليهم الإنكار، فمنهم من قُبض عليه، ومنهم من فرّ هارباً بنفسه، أفبمثل هذا التناقض تريد أن تستقيم لكم الحجة؟!

وإليكم ما نقلتموه، قلتم ـ سامحكم الله ـ نقلاً من كتاب تلبيس إبليس: وبإسناد عن أبي حاتم قال: حدثنا احمد بن أبي الحواري يقول: حدثنا وكيع قال: سمعت سفيان يقول: ما زلنا نعرف الصوفية بالحمق إلا أنهم يتسترون بالحديث.

تأمل أيها الأخ كيف جعلت أبا سليمان واحمد بن أبي الحواري ممن يُعتمد عليهم في إنكارهم على مذهب الصوفية، وفي جملة مَن بدّعوهم وضللوهم، ثم بعد ذلك ذكرتَ الرجلين بأنفسهما من جملة مَن وقع عليهم النكير من العلماء فقلتم نقلاً عن كتاب {تلبيس إبليس }أن العلماء بمصر أنكروا على ذي النون المصري[١٦] وأخرجوا أبا سليمان الداراني، وهرب من أيديهم احمد بن أبي الحواري ...الخ، فتأمل أيها الأخ وقل لي بربك: هل عليّ لوم إذا أنا وقفت كالمتحير عندما نجدك تذكر أبا سليمان الداراني واحمد بن أبي الحواري في جملة رجال العلم الذين تريد أن تقيم الحُجة بهم على فساد مذهب الصوفية؟! ثم نجدك تذكر في المحل نفسه أنهما من جملة المعترَض عليهم من رجال العلم،

---

(١٥) أبو الحسين احمد بن أبي الحواري صحب أبا سليمان الداراني وغيره، كان عالماً عاملاً فقيهاً صوفياً من كبار الأولياء، امتحن في حياته من قِبل الحسدة، قال عنه الجنيد: احمد بن أبي الحواري ريحانة الشام توفي سنة ٢٣٠ هـ رحمه الله.

(١٦) أبو الفيض ثوبان بن ابراهيم، أبوه من النوبة شمال السودان، أوحد زمانه علماً وأدباً وورعاً وزهداً ومحبةً لله تعالى، سعوا به إلى المتوكل فلما دخل عليه وعظه، فبكى المتوكل وردّه إلى مصر مكرّماً. توفي سنة ٢٤٥ هـ رحمه الله.

وهل تراني متغالياً إذا قلت لكم أن مقالتكم تلك مختلة لفظاً ومعنى؟! كلا.

المسألة الثانية

في كون المصدر الذي اعتمدتموه في النقل لا تقوم به حجة في طريقة الاستدلال

فأقول صريحاً: يا حضرة الأخ إن معتمدكم فيما نقلتموه من كتاب ابن الجوزي[١٧] المسمى بتلبيس إبليس لا تقوم به حجة، ولست أدري هل أنتم على علم من قيمة هذا الكتاب ومنزلته بين العلماء أم كنتم على خلاف ذلك؟ ولهذا تراني مضطراً أن أذكر لكم مقداره عند العلماء فأقول: إن للعلماء في ذلك الكتاب كثيراً من الأخذ والرد، وفي الأخير اتضح عندهم أنه مما لا تنهض به الحجة ولا يصح به الاستدلال، وها أنقل لكم من أقوالهم حتى تدرك مقدار ما اعتمدتموه في الحط من كرامة رجالٍ كان من واجبك أن تعتبرهم في الصف الأول من رجال الدين وأئمة المسلمين.

ذكر غير واحد أن كتاب ابن الجوزي هذا لم يكن مما يصح الاستدلال به أو يُعتَمَد عليه في النقل، حتى أن منهم من حرّم قراءته بالمرة،ومنهم ومنهم، ولا تظن أني سأنقل لك عمن ترتاب في النقل

---

(١٧) الفقيه عبد الرحمن ابن الجوزي، كان عالماً جليلاً، له التصانيف المشهورة التي تزيد على ٣٠٠، كان واعظاً يحضر مجلسه الأمراء والوزراء، كان مجلسه يظم عشرة آلاف إنسان. توفي سنة ٥٩٧ هـ.

عنهم لكونهم من عصابة المتصوفة كالغزالي والشاذلي[١٨] مثلاً، كلا وإنما أثبت لكم ذلك عمن ترضون إسناد القول إليهم حجة في هذا الباب فأقول: قال العلامة التفتازاني[١٩] في ترجمته لأبي عبد الرحمن السلمي: وقد طعن فيه إبن الجوزي كما هو دأبه في الأئمة فيظهر من ذلك جلياً أن فعل ابن الجوزي لم يكن مستحسناً بين جمهور العلماء، ونظيره ما قاله الأجهوري[٢٠] لا تجوز قراءة كتب ابن الجوزي في المساجد لكثرة ما نقله فيها من الموضوعات، وقراءة مقامات الحريري أولى من قراءة كتبه لأنها لا تعد كذباً.

وذكر العلاّمة البوني[٢١] في كتابه {مبين المسارب} أن الإمام ابن عرفة[٢٢] وغيره حذروا من مطالعة كتاب ابن الجوزي المسمى {تلبيس إبليس} إلى أن قال: وذلك الكتاب هو من تلبيس إبليس على

---

(١٨) أبو الحسن علي بن عبد الجبار، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي، ولد سنة ٥٩٣ هـ في بلدة غُمارة في المغرب، تلقى العلم على شيوخ زمانه حتى صار آية في علم الشريعة، سلك طريق التصوف على يد القطب عبد السلام بن مشيش إلى أن حاز القطبانية الكبرى وأصبحت الطريق تنسب إليه إلى يومنا هذا توفي سنة ٦٥٦ هـ في صحراء عيذاب من أرض مصر وهو ذاهب للحج رضي الله عنه.

(١٩) مسعود بن عمر ولد بتفتازان، لغوي بلاغي منطقي، له مؤلفات كثيرة منها: شرح العقائد وشرح الكشاف وكشف حقائق التنقيح وغيرها، شافعي المذهب توفي سنة ١٣٩٠م بسمرقند ودفن بها رحمه الله.

(٢٠) زين الدين عبد الرحمن الأجهوري المالكي، الشيخ العلاّمة الزاهد مفتي المسلمين، تلا على الشهاب القسطلاني وأخذ الفقه عن اللقاني، أجازه علماء عصره بالإفتاء، له مصنفات سارت بها الركبان إلى المغرب، توفي سنة ٩٦١ هـ ودفن بالقرافة رحمه الله.

(٢١) احمد بن علي بن يوسف تقي الدين، ولد في بونة شرق الجزائر، رحل إلى المشرق واستقر بالقاهرة إلى أن توفي.

(٢٢) أبو عبد الله محمد بن عرفة فقيه مالكي، كان سريع البديهة، اشتغل بالتدريس في جامع الزيتونة توفي سنة ٨٠٣هـ

إبن الجوزي، ويظهر من هذا أن ابن عرفة وغيره كانوا يرون تأثير الأسماء في مسمياتها وهو قول غير واحد منهم، ذكر ابن الحاج في مدخله عن الشيخ عبد الرحمن الصقلي أنه قال: (لكل إنسان من اسمه نصيب) هذا في الأشخاص، وهكذا في غيرها.

قلت: ويشهد لهذا تغييره عليه الصلاة والسلام لبعض الأسماء بما هو أحسن منها[٢٣] ثم نرجع لما به الحاجة فأقول: إن من أقوال العلماء الصريحة في كون الكتاب المشار إليه لا يبلغ درجة الاحتجاج به، فأنت خبير يا حضرة الأخ أن النص إذا وقع فيه الاحتمال سقط به الاستدلال[٢٤] وهي قاعدة مسلمة وعمدة يُرجَع إليها خصوصاً في فن

---

(٢٣) روى البخاري في صحيحه (٢٢٨٨) عن سعيد بن المسيب عن أبيه أن أباه جاء النبي (فقال له: ما اسمك؟ قال: حزن، قال: بل أنت سهل، قال: لا أغير اسماً سمانيه أبي، قال سعيد: فلم تزل الحزونة فينا بعد، والحزن هو الصعب من الأرض، كذلك غيّر النبي ﷺ اسم الحسن بن علي وقد كان اسمه حرباً، وغير اسم أبي بكر من عبد الكعبة إلى عبد الله، وبرة إلى زينب، لأن الاسم في الغالب يؤثر في صاحبه سلباً وإيجاباً، وهذا الكتاب المسمى تلبيس إبليس له من اسمه نصيب حيث أنه مما لبس به الشيطان على مؤلفه حيث أنه ما من طائفة من المسلمين إلا وطعن فيهم ، وبهذا فقد نفى الخيرية عن هذه الأمة.

(٢٤) قاعدة مشهورة عند جمهور العلماء، وأقوى النصوص ما كان قطعي الدلالة والثبوت وهذا لا يكون إلا في القرآن والسنة المتواترة، ويليها في القوة الأحاديث الصحيحة ثم الحسنة، ويجوز الاستشهاد بالحديث الضعيف في الفضائل إذا لم يوجد في الباب غيره، ثم يعتمد قول الصحابي ومشاهير العلماء كالأئمة الأربعة، والمقصود بالنص هنا هو ما أورده المعترض عن ابن الجوزي من أقوال طعن فيها بالقوم الصوفية الذين ثبتت عدالتهم وولايتهم عند جمهور الأمة سلفاً وخلفاً، ولما كانت هذه النصوص داخلها الاحتمال من حيث ثبوتها وصحتها، وأنها لم تنسب إلى قرآن أو سنة صحيحة، أو إجماع العلماء فإنها تكون بذلك دخلت في مستوى الاحتمال، والمحتمل هو الذي يقبل الترجيح لأحد الطرفين، لذا فهو ظني الدلالة، لأن عدالة هؤلاء القوم مجمع عليه لذا فهي يقينية، واليقين لا يزول بالشك والاحتمال حسب هذه القاعدة.

المناظرة، وكيفما كان الحال فهو لا يبلغ عندكم ولا عند غيركم من الصحة الحد الذي يصح به العلم فيقنع به الخصم، وإن رأيتم أنتم خلاف ذلك فغيركم لا يرى إلا ما رأيناه، والله أعلم.

المسألة الثالثة

قد كنتم قررتم يا حضرة الأخ فيما نقلتموه من كون أئمة المذاهب؛ كانوا لا يتوقفون في نسبة مذهب التصوف إلى ما هو كالزيغ والابتداع، وما هو من ذلك القبيل ما استدليتم على إثبات ذلك بما كنتم نقلتموه عن ابن الجوزي عن كتابه {تلبيس إبليس} على نية أن تكون تلك النقول كافية في تحقيق دعواكم، وأنتم تعلمون أن تجريح المذهب ونسبته إلى الضلال ليس بالأمر الهيّن عند الله حتى تستقيم فيه الحجة بشبه خيط العنكبوت، وهذه نيتكم كانت، أما نيتي أنا فيما نقصده من هذا الكتاب إن وفقني الله هو إثبات عكس ما أثبتموه، ونقيض ما أبرمتموه من جهة ما يتعلق بالأئمة المجتهدين، ونظرتهم في رجال التصوف، ولربما نزيدك نافلة نثبت لكم فيها كون مذهب التصوف لم يزل محترماً عند أكابر الأئمة ورجال الملة من عهد السلف إلى ما يقرب من يومنا هذا، ولا شاهد أبلغ من آثارهم المنقولة عنهم حسبما ستقف عليه إن شاء الله، إلا الشذوذ والنادر لا حكم له، وقبل التعريج على ما به الحاجة ظهر لي أن نكرر النظر فيما أسلفتم نقله عن الأئمة، فلتسمح لي أيها الأخ على دراسته دراسة تسمح لنا ولكم باستخلاص ما ترمي إليه تلك النقول، لنتأمل أهي صالحة لأن تعطينا الحكم من ذاتها على فساد مذهب الصوفية وتبديع رجاله ـ كما زعمتم ـ أم هي على خلاف

ذلك، وبالجملة فإنك ستقف ـ إن شاء الله ـ على حقائق ناصعة وحُجج واضحة طالما داستها نعال المغرضين حسداً من عند أنفسهم، ومن هنا نشرع فيما نقلتموه عن الأئمة جملةً جملة، مع إعطاء النظر في كل عبارة من عباراتهم؛

العبارة الأولى للإمام مالك

قلتم وبإسناد عن عبد الملك بن زياد قال: كنا عند مالك فذكرت له صوفية بلادنا فقلت: يلبسون فواخر ثياب اليمن ويفعلون كذا وكذا، فقال: ويحك أو هم مسلمون؟! هذا ما ذكرتموه عن الإمام، ونحن إذا جددنا النظر في مضمون هذا النقل على فرض صحته لا بدّ أن نستخلص منه مسائل:

- المسألة الأولى: تفيدنا أن مذهب القوم ثابت من عصر التابعين، لأن مالك من معاصريهم.
- المسألة الثانية: إن المذهب كان في نظرهم في غاية الإعظام لأن السائل لم يسأل الإمام عن المذهب، ولا الإمام أخبره على فساده، وإنما السؤال يفيدنا أن هناك جماعة انتسبت للتصوف مع أنها تفعل كذا وكذا، فكان جواب الإمام يفيد استبعاد أن يكون أولئك من عامة المسلمين، فضلاً على أن ينتسبوا للتصوف الذي هو عبارة عن السير في مراتب الإحسان، وهذا ما تعطيه العبارة عن مضمون السؤال والجواب مهما تصفحناها بإنصاف، وكيفما كان الحال فهي لا تعطي حكماً باتاً يقضي بالزيغ على مذهب التصوف، وعلى عموم من انتمى إليه، وهذا يظهر من قول الإمام على فرض صحته كما تقدم.

العبارة الثانية للإمام الشافعي

قلتم وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي يقول: لو أن رجلاً تصوف أول النهار لا يأتي عليه الظهر حتى يصير أحمق، وأنشد:

ودعوا الذين إذا أتوك تنسكوا وإذا خلوا كانوا ذئاب حقاف

ونحن إذا استخلصنا من أقوال الإمام ما به الحاجة بعد فرض ثبوتها عنه، فنجد الأمر منحصراً في إثبات الحمق لمن ينتسب إلى المتصوفة لا غير، معَ أننا لا ندري هل إثبات الحمق لهم إما هو في نظر من سواه -كما سيأتي- أم هو ثابت في نفس الأمر؟ فإن قلنا بالأخير؛ فلا بدّ أن يكون مختصاً بمن يعرفهم الإمام من أهل بلده، وإما أن يكون مطرداً في عموم أفراد المتصوفة، وعليه فإن يكن الأول فالأمر محتمل، وإن يكن الثاني فالواقع يجري على خلافه بدليل المشاهدة، ولا أراني متغالياً يا حضرة الأخ إن قلت لكم أنه قد يوجد في رجال التصوف من يكاد عقله يرجح بعقول سائر كتّاب عصرنا وإن كنت أنا وأنت من أفرادهم.

وهب أنه يثبت عنهم نوع من الطيش في طباعهم فهل يصح أن يكون عنواناً على فساد العقيدة؟ فيبعد يا حضرة الأخ أن نستخلص من ذلك النقل ما تحتج به، لأنك بصدد إثبات فساد المذهب لا بصدد العقول ورجحانها، وزيادةً أنك تعلم من أن رجحاناً في مرتبة يُعتبر نقصاناً في الأخرى، وأن العاقل بين أهل الدنيا يعتبر أحمقاً عند أهل الآخرة

والعكس بالعكس، وما يدرينا ويدريكم أن تكون أقوال الإمام من ذلك القبيل؟ حيث أنه يقول: ما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً فعاد له عقله أبداً، فيعني بذلك العقل الحيواني الذي كان يعتمده هو، ويعتمده غيره في مقام الإفلاس.

روي عن القاضي أبي بكر بن العربي[٢٥] أنه قال: لُقيت أبا حامد[٢٦] وهو يطوف وعليه مرقعة، فقلت: يا شيخُ، العلم والتدريس أولى لك من هذا، إذ بك يُقتدى وبحكمك إلى معالم المعارف يُهتدى، فقال: هيهات، لما طلع فجر السعادة في فلك الإرادة، أشرقت شمس الوصول على مصابيح الأصول، فتبين الحق لأرباب الألباب وذوي البصائر، إذ كلٌ لما طُبع عليه راجع وصائر وأنشد:

تركت هوى ليلى[٢٧] ولبنى بمعزل ... وصرت إلى مصحوب أول منزل

---

(٢٥) أبو بكر محمد بن حيدرة إمام وحافظ متقن عارف بالأدب وفنونه، حدّث بقرطبة وخلف شيخه أبا علي في الإفادة وله ردود على ابن حزم الظاهري توفي سنة ٥١٥هـ وليس هو ابن عربي الحاتمي الصوفي صاحب الفتوحات.

(٢٦) الإمام الحبر حجة الإسلام محمد الغزالي (أبو حامد) ولد في طوس سنة ٤٥٠ هـ نشأ يتيماً، درس في طوس ونيسابور وتدرج به الأمر حتى تولى رئاسة المدرسة النظامية ببغداد، كان على قدر عالٍ من الذكاء وحدّة الفكر وعلوّ الهمة في طلب العلم، تفرغ للذكر والتأمل في أواخر أيامه واعتزل التدريس، خلّف ثروة علمية غزيرة في شتى العلوم. توفي سنة ٥٠٥ هـ ودفن بطوس رحمه الله.

(٢٧) طار حب قيس مجنون بني عامر لابنة عمه ليلى حتى عم البقاع، وشاع ذكرهما في كل واد، ونشد الأشعار في حبها حتى صار مضرب المثل، وتغنى باسم محبوبته حتى صار اسمها رمزاً للمحبوبين، فحذا الشعراء من بعده حذوه فصاروا يكنون باسم محبوباتهم بهذا الاسم لقداسته عندهم، فصار اسم ليلى عند العرب رمزاً يطلقه الشعراء على المحبوب، فقيل: كلٌ يغني على ليلاه، وصار اسم قيس رمزاً للعاشقين، يشبهون به كل محب فقيل: أنا قيس هواهم، فصارت هذه الأسماء رموزاً لها قدسيتها عند المحبين من الشعراء، فما وجد القارئ في كتب الشعراء من الصوفية وغيرهم من ذكر ليلى أو غيرها من الأسماء مثل؛ سعدى ولبنى ومي ودعد وغيرها

ونادتـني الأكـــوانُ مهـلاً فهـذه منازل من تهوى رويـدك فانـزل
فعرّست[٢٨] فـي دار الندى بعزيـمة وقلوب ذوي التعريف عنها بمعزل
غـزلت لهم غـزلاً رقـيقاً فلم أجـد لغـزلي نسّاجاً فكسّرت مغـزلي

وإذاً فهل يدل على أن العقل الذي كان يعرفه عليه أبو بكر بن العربي هو عين ما وجده عليه فـي ذلك الحين؟ عندما كان يرتدي ذلك الرداء الذي كان من المستبعد أن يقع نظيره على ظهر حُجة الإسلام، ولحن ما تكلفنا لحـمل كلام الشافعي رحمه الله على هذا المحـمل إلا نظراً لما صحّ عن ذلك الإمام الجليل من احترامه للمتصوفة، وإذعانه لكبرائهم حسبـما ستقف عليه فـي محله -إن شاء الله- وزيادةً إن العبارة لا يستعصى صرفها لهذا الوجه، نعم قد يقول القائل: إن مضمون الشّعر

فإنها لا تقصد لذاتها، وإنـما هي كنى يقصدون بها غير ظاهر هذا اللفظ، وإنـما كنوا بهذه الأسماء صوناً لمحبوباتهم وسترا لها عن أعين الحاسدين والواشين، وما جاء فـي قصائدهم من الأسماء المذكرة فإنـما يقصدون بها أنفـسهم التي هامت بهذه المحبوبات، وهذا من براعة النظم عند الشعراء، وإذا ازداد الحب عند المحب يصل إلى درجة يشهد بها أنه عين محبوبه، فـيغيب عن حبه بمحبوبه، فلذلك قال الغزالي هنا: تركت هوى ليلى وليلى، أي وصل به الأمر أن صار يشهد أنه عين محبوبه فما بقي للأسماء أثر، وهذه هي نهاية المحبة.

(٢٨) التعريس هو المبيت آخر الليل، وأما السّرى فهو السفر آخر الليل ومعنى ذلك: أن أبا حامد لما سبقت له العناية من الله تعالى ترك ما هو فـيه من الجاه عند الخلق وآوى إلى الله بإسقاط ذلك الجاه حيث رآه قاطعاً عن الله، واتخذ العزلة له زادا ليتفكر ويخلو إلى ذكر ربه حتى لا يقطعه عن الله قاطع، ولما كان الليل ساتراً بظلمته للناس كنى به بأن ما هو فـيه من العزلة والخلوة للذكر والتفكر هو سترٌ له عن كل ما يقطعه عن الله، وكما ورد عن الإمام الـجنيد: طرقنا الأبواب كلها على الله فوجدناها ملأى والازدحام عليها كثير إلا باب الذل والانكسار فوجدناه خالياً فمن هناك دخلنا والغزل المقصود هنا هي الإشارات التي يلغز بها المحبون فلا يفهم مقصودهم إلا من ذاق ما ذاقوه ، فلما لم يجد الغزالي من يفهم إشاراته كسر مغزله أي ترك التعريض بالمحبة والإشارة إليها، وأما من جهل مقامهم يقول: انظروا إلى الصوفـية كيف يتغزلون بذكر النـساء فـي أشعارهم وهذا قمة الجهل.

بعدها يمنع حملها على هذا المحمل، ولكن هذا إن سلمنا كون الشعر هو من تتمة معنى العبارة، ومن نسج الإمام، ووضعه عقبها بتلك الصفة، وأما إذا وجدناه كما هو مفرّغاً من جميع معانيها، علمنا يقيناً أن حمل الشعر على الصوفية هو لغير الإمام، لأننا نرى الشافعي أحذق من أن يأتي بشعر عقب نثر لا يحمل شيئاً من روحانية ما قبله، وليس على القارئ إلا أن يتأمل هيأة الارتباط بينهما، فيجد الذوق يمنع أن يكون ذلك الشعر هو خلاصة ما قبله، لأن الأول يشفّ عن شبه الحمق، والثاني يرمي إلى التحذير من كل مخادع من أي مذهب كان، وهذا ما يعطيه صريح اللفظ والله اعلم.

العبارة الثالثة لأبي سليمان

قلتم وبإسناد عن أبي حاتم قال: حدثنا احمد بن أبي الحواري قال: قال أبو سليمان: ما رأيت صوفياً فيه خير مع ميلي إليهم إلا واحدا، عبد الله بن مرزوق، قلت: وهاته العبارة على ما فيها من التعقيد، وكيفما كان حَلُّها فهي لا تفيد أكثر من أن أبا سليمان كان يرى وجود الخير من بين المنتسبين للمتصوفة قليلا، مع أنه يجد من نفسه ميلاً نحوهم، ولعله بنفي الخير من بينهم عدم وجود الاستعداد والصلاحية للمقام بين من ينتسب للتصوف في زمانه أو في بلده، لا نفي الخير الذي هو مقابل الشر، وإلا لما صح الاستثناء، إذ لو كان المذهب عنده متهماً من أصله لما تسنى له أن يستثني من أفراده لا كثيراً ولا قليلا.

وأنت ترى أنك إذا أردت أن تذكر إحدى الفِرق الضالة، فهل يسمح لك التعبير أن تقول: ما رأيتُ فاسقاً فيه خير إلا واحداً وهو

فلان؟ فإذا كان هذا لا يصح كما هو الواقع، علمنا يقيناً أن مقالة أبي سليمان ليس فيها ما يدل على فساد المذهب كما تقصدونه، ويجب عليكم حملها على الوجه الذي يصح معه الاستثناء، وهذا إذا جعلنا أن أبا سليمان من طبقة من أنكر على الصوفية، أما إذا جعلناه من بين أفرادهم ومن خاصة رجالهم، كما أثبتموه أنتم في آخر مقالكم يرتفع النزاع وتصير الحجة عليكم لا لكم.

العبارة الرابعة ليونس بن عبد الأعلى

قلتم وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول: ما رأيت صوفياً عاقلاً إلا إدريس الخولاني، ثم قلتم وبإسناد عن يونس بن عبد الأعلى يقول: صحبت الصوفية ثلاثين سنة ما رأيت فيهم عاقلاً إلا مسلماً الخواص.

فأقول: إن هاته الجملة المنقولة عن يونس قد دعتني الضرورة لمراجعتكم في مضمونها، فلربما يكون لكم من العلم أكثر مما لنا فيها، كنتم ذكرتم في صدر النقل؛ أنه لم يجد عاقلاً إلا إدريس الخولاني، ثم ذكرتم عنه بصدد ذلك نقلاً ثانياً يقول فيه: أنه لم ير عاقلاً إلا مسلماً الخواص، ومهما يكن مسلم هذا غير إدريس الخولاني يختل مضمون ما ترومونه من الحصر الذي يقتضي الاستثناء في النقل السابق، وهكذا في اللاحق أيضاً، وتسقط الحجة، ولربما يُتهَم الناقل لها بشيء من ضعف المَلَكَة، وهذا ما يظهر لنا، ولا يبعد أن تسعفونا عليه لأن الأمر واضح.

العبارة الخامسة لسفيان الثوري[٢٩]

قلتم وبإسناد عن احمد بن أبي الحواري يقول: حدثنا وكيع قال: سمعت سفيان يقول: مازلنا نعرف الصوفية بالحمق إلا أنهم يسترون بالحديث.

فأقول: إن هاته الرواية المنقولة عن سفيان الثوري لا تفيدكم أكثر من أنها أثبتت للصوفية شيأً من الحمق، مع إدخالها لهم في رجال الحديث، ولا شك أن نسبتهم للحديث تستر ما بهم من الحمق على ما يستفاد من رواية الثوري رحمه الله، وهذا بقطع النظر عما يُروى من المصدر عن سفيان من جهة إعظامه لمذهب القوم حسبما تقفون عليه إن شاء الله.

العبارة السادسة لوكيع[٣٠]

قلتم وبإسنادٍ عن سفيان بن عاصم قال: قال لي وكيع: لم تركتَ حديث هشام؟ قلت: صحبتُ قوماً من الصوفية وكنتُ بهم معجباً فقالوا: إن لم تمحُ حديث هشام قاطعناك، قال: إن فيهم حمقاً، وهنا لزمني

---

(٢٩) سفيان بن سعيد ولد بالكوفة عام ٩٧هـ وتوفي بالبصرة عام ١٦١ هـ كان يقال عنه عابد الأمة وعالمها وزاهدها، صوفي من كبار رجال التصوف، ملتزم بالسنة قولاً وفعلاً وأدباً وحالاً، كان يقول: لا ينبغي للرجل أن يطلب العلم والحديث حتى يعمل بالأدب عشرين سنة، رأى أحدهم مسلم بن خالد الزنجي شيخ الشافعي في الفقه في النوم بعد موته فقال له: ما فعل الله بك؟ قال : إنني فيما ترى من الجنان، فقال: فما فعل سفيان؟ فأدار يده في الهواء وقال: ذاك الذي نرى منزله كما ترون النجم في أفق السماء، رضي الله عنه.

(٣٠) وكيع بن الجراح فقيه محدث زاهد عالي القدر، كان يصوم الدهر ويختم القرآن في كل ليلة، وكان إذا آذاه شخص يرفع التراب على رأس نفسه ويقول: ما سلطتَ هذا عليّ إلا بسبب ذنبي، ثم يُكثر من الاستغفار حتى يسكن المؤذي، توفي سنة ١٩٧هـ رضي الله عنه.

أن نقول لكم: كيفما تساهلنا معكم في قبول هذا النقل منكم إلا والواقع يقضي علينا أن نقول لكم إنه متضارب يُسقِطُ أولُه وآخرَه حتى لا يدري القارئ ما يثبته ولا ما ينفيه، ألستم قد ذكرتم أولاً أنكم رويتم عن وكيع عن سفيان، وها أنتم الآن تذكرون أنكم رويتم عن سفيان عن عاصم عن وكيع، فكان أولاً وكيع من إسناد رواية سفيان، فأصبح الآن سفيان من إسناد رواية وكيع، فيا لها من رواية ما أصحها !!! فلو كان لها ما للإنسان من الإدراك لرأيتها يضحك بعضها على بعض، والعجب لمن لم يلتفت لما ينقله! وكيفما كانت هاته الرواية فهي لا تزيد على ما قبلها من كونها تُثبت للصوفية شيئاً من الحمق، ولكن تعجلتم في رتبة من يحتاط لدينه من جهة الأخذ عن ائمة الحديث، نعم تزيد هاته الرواية على ما قبلها شيئاً آخر وهو إخبار عاصم عن نفسه من كونه معجباً بالصوفية، ولا تقلّ درجة عاصم هذا عن درجة غيره من رجال الحديث، فلتتأمل مضمون ما سقتموه في النازلة إذا كان يصلح أن يكون دليلاً على سقوط مذهب القوم.

وفي ظني أن هاته العبارة هي آخر ما بأيديكم من النقول عن الأئمة المعتبرين، وها قد جئتكم بها عن آخرها، ولكن مع الأسف جاءتكم النتيجة على خلاف ما رتبتم من المقدمات من أجله، ولست أدري هل كان ذلك منكم على نية مقصودة أم تجري الرياح بما لا يشتهي الملاّح؟

ولهذا أراني مضطراً لمراجعتكم فيما فاتني أن ندركه من صنيعكم، أليس قد كنتم أثبتم في صدر مقالكم كون الجنيد وعصابته صدرت منهم أقوال وأعمال مخالفة للشرع، منكرة أنكرها عليهم

العلماء إلى آخر ما ذكرتموه؟ وإذاً فكان واجب المقام يقضي عليكم بالتنصيص على تلك الأعمال والأقوال المنكرة التي صدرت عن أولئك الأجلاّء فتثبتونها بما عندكم من التحقيقات، ثم تجلبون عليها بخيلكم ورَجِلِكم بما تحت أيديكم من أقوال العلماء ونصوصهم الصريحة في تلك النوازل لتثبتوا دعواكم بصفة شرعية، فإن فعلتم ذلك كنتم قد أدّيتم الأمانة، وقمتم بواجب الصناعة، وهذا ما يُنتظر من أعمالكم، وإذا أنتم يا للأسف تتطوّحون[٣١] لشيءٍ لم يكن في نيتكم الكلام عليه ولا عنونتم المقال من أجله، إذ غاية ما استطعتم التحصيل عليه من جميع منقولاتكم لم يزد على أنكم أثبتّم فيه ضرباً من الحماقة للسادة المتصوفة، ومراعاة لما استفدنا من صنيعكم، هذا ظهر لي أن أقول لكم ولكن لا تؤاخذوني بما أقوله: أنه إذا كان نقصان العقل عنواناً على المتصوفة فإنك كدتَ أن تكون صوفياً بهذا الاعتبار، وهذا ملخص ما كنتم قد قدمتموه من الاستدلال.

العبارة السابعة ليحي بن يحي[٣٢]

قلتم وبإسنادٍ عن يحي بن يحي أنه قال: الخوارج أحبّ إليّ من المتصوفة، فأقول: الآن حصحص[٣٣] الحق الذي لا غبار عليه، فإن عبارة

---

(٣١) تطاوح: ترامى وتباعد، والمعنى: رمى بنفسه في هذا المعنى وذهب هاهنا وهاهنا ولم يحقق مراده.

(٣٢) يحي بن يحي النيسابوري، محدث عالم لم يُر مثله في عصره، قال عنه ابن راهويه: ما رأيت مثل يحي، توفي سنة ٢٢٦هـ رحمه الله تعالى.

(٣٣) حصحص: ظهر بعد خفائه.

يحي هذا حقها أن تعبر لديكم يا حضرة الأخ نصاً صريحاً وأمراً واضحاً في النازلة، وإذاً فمحاولة تأويلها وصرفها عن ظاهرها يُعتَبَر ضرباً من التنطع ونوعاً من المكابرة، وبالجملة فعبارةٌ كهذه من جهة الوضوح والصراحة تصلح أن تكون كافيةً بانفرادها في القضاء على مذهب القوم الصوفية، وما ينقصها إلا أنها لم تكن من مدخول آي الذكر الحكيم، فهذا الذي ينقصها فقط!!!

نعم تحتاج إلى أمرٍ يزيد على ذلك وهو النظر في عدم كونها غير منسوخة بمثلها، أو مقيدة بغيرها، لأنها إن كانت مقيّدة بشيءٍ من ذلك لا تتفرغ إلى العمل بإطلاق، ونحن لم تستفسر حضرة الأخ أهَلْ هاته المقولة كانت عنده بمنزلة آي الذكر الحكيم؟ وهل توفرت فيها الشروط المطلوبة التي تخولها حق التسلط بالحُكْم على شبه أمةٍ برمتها؟! لا لا يا حضرة الأخ، ما هكذا يا سعدُ تُوردُ الإبل[٣٤] ولا من تلك المصادر تُعتَمد العِلَلُ خصوصاً فيما يرجع لنحو التفسيق والتضليل، عافانا الله وإياكم من جميعها، فتلك الأحكام لم تكن أبداً ولا ينبغي أن تكون رهن إرادة زيْدٍ أو رحمةَ عمرو.

---

[٣٤] هذا مثال عربي قديم وهو عجز بيت وتمامه:

أوردها سعدٌ وسعدٌ مشتمل ما هكذا تورد يا سعدُ الإبلُ

يضرب مثلاً للرجل يقصر في الأمر إيثاراً للراحة على المشقة، والدليل على ذلك قوله: ما هكذا تورد يا سعد الإبل أي ما هكذا يكون القيام في الأمور، والمثل لمالك بن زيد مناة بن تميم رأى أخاه سعداً أورد إبله ولم يحسن القيام عليها فقاله، وهذا مثال ضربه المؤلف رحمه الله لهذا المنكر حيث أنه أراد أن يلغي مرتبة من مراتب الدين وردت لنا بالتواتر وأجمعت عليها الأمة بدون بحث ولا تعب وإنما قلد أسياده فقال ما قال، فلم يحسن القول وعاد كلامه وبالاً عليه.

وهنا يتعيّن عليّ أن أقول: أنه يقبح بمن يدّعي السلفية[٣٥] ثم تهون عليه نفسه أن يجعلها إمّعةً لأقاويل الرجال واختياراتهم، ولا يكفيه

---

(٣٥) هي حركة دينية إصلاحية أنشأها جمال الدين الأفغاني رحمه الله وكان مقرها في مصر وتهدف الى العودة بالمسلمين إلى دينهم الحنيف، وكان من أشياخها محمد عبده ومحمد رشيد رضا، والعلماء في هذه الحركة بين آخذ ورد، منهم من يقول: إنها إصلاحية وطنية بحتة لمقاومة الاستعمار، ومنهم من يقول: إن في رؤسائها ميلا إلى الاستعمار، ولما قامت الحركة الوهابية التي أنشأها محمد عبد الوهاب النجدي وقامت على شبح الرعب الدموي وجهها الناس أخذت لوناً آخر وإسماً آخر: أما اللون فهو نشر أفكارها على غرار الغزو الفكري الغربي لبلاد المسلمين، فأنشأت المراكز الإسلامية في الديار الإسلامية، وأقامت فيها عملاء لها، وأغدقت عليهم الأموال، وقامت بطباعة الكتب التي ملأتها من هذه الأفكار، وطبعتها بأفخر الطبعات، ووزعتها على المسلمين في مواسم الحج والعمرة وعن طريق هذه المراكز بدون مقابل، وأما الاسم فقد اتخذت هذه الحركة اسم السلفية بدلاً من الوهابية لأن الحركة السلفية لاقت رواجاً في مصر والعالم الإسلامي، ومن أهم الأفكار التي تدعو إليها هذه الحركة؛

في مجال العقيدة: أولاً؛ تدعو إلى عقيدة التجسيم وهي عقيدة أهل الكتاب التي تنص على أن الإله بصورة البشر يجلس على عرشه فوق السماء السابعة، وينظر إلى عباده من العُلا، وله في كل سماء كرسي وينزل في الثلث الأخير من الليل يقول: هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعط هل هل حتى يطلع الفجر ثم يصعد فيجلس على كرسيه. ومن عقائدهم أخذ الآيات المتشابهات الواردة في القرآن على ظاهرها، ومن أولها نسبوه إلى التعطيل، فيقولون في اليد أنها على الحقيقة وكذلك العين والجنب وغيرها، ومنها إعتمادهم على أحاديث الآحاد في عقيدتهم وشأنها عندهم شأن الآيات المتشابهات من أخذها على ظاهرها.

ومن أفكارها: منع الاستغاثة بالنبي ﷺ أو التوسل به وتعد ذلك شركا، ومنع الصلاة عليه بعد الأذان، ومنع إقامة الموالد في يوم مولده عليه الصلاة والسلام وتعد ذلك من البدع، ومنها انها استبدلت الإرهاب الدموي بالإرهاب الفكري، وهو رمي مخالفيهم من المذاهب الأخرى بالابتداع والشرك والجهمية والتعطيل والإلحاد وأنهم أعداء السنة والتوحيد، ويدخل في ذلك اختراع تقسيم التوحيد من عند أنفسهم، فقد سن ابن تيمية لأتباعه لوناً آخر من التوحيد يختلف عن توحيد الأمة من عهد النبوة إلى يومنا هذا، فقد قسم التوحيد إلى توحيد الوهية وربوبية وأسماء وصفات، وهذا التقسيم لم نسمع به على مر عصور الإسلام، ولم يعتمد هذا التقسيم إلا هذه الفئة، ومن أفكارهم اعتماد حديث الافتراق، وهو افتراق الملة على ثلاث وسبعين، ويقصدون من ذلك أن كافة الجماعات الإسلامية كلها في النار إلا هذه الفئة، ومن أفكارهم القضاء على مذهب التصوف، لذا وصفوه بانه من مخلفات الإفلاطونية والبرهمية وأمشاج

ذلك حتى يتخذ كل مقالة من أيٍ كان، مسلمةً في شبه التبديع والتضليل.

ألم تستحضر يا حضرة الأخ ما ربما يقول لكم القائل: أن قول يحي بن يحي لم تفدنا أكثر من أنها أنبأتنا على أن صاحبها أطلعنا على أن حبه للخوارج أوفر من حبه للمتصوفة، وذلك شيءٌ يخصه في نفسه ولم يكن بالمسيطر علينا ولا نحن بالمسيطرين عليه، ويقول غيره نحن لا ننازع يحي بن يحي في حبه للخوارج وتفضيله لهم على المتصوفة، لأن للناس أميالاً وعواطف تبعثهم على الحب والبغض، وإنما النزاع فيما إذا أردتم القضاء على عواطف غيره حتى لا يحب إلا بحبه ولا يبغض إلا ببغضه، وهو شيءٌ لا يستطاع، وكيفما كان الأمر لا يصح أن يكون تفضيل هذا الرجل للخوارج على الصوفية دليلاً على تفضيل الله لهم ولا العكس والله أعلم بالمهتدين.

وهنا ظهر لي أن نلقي عليكم سؤالاً نختم به الفصل ونحصل به الفائدة إن شاء الله وهو ما قد ذكرتموه في بعض مقالاتكم من أن قول الصحابي ليس بحجة، ونحن لا ننازعكم في هذا، إنما النزاع في جعلكم قول يحي بن يحي هنا حجة، وهل وجدتم له من المكانة في

المجوسية والبوذية، فقد قال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦/ ٦٧٦) أعداء السنة من المتمذهبة والأشاعرة والمتصوفة وغيرهم، وعلى كل حال فقد صنف كثير من العلماء عن هذه الحركة مؤلفات مفيدة أذكر منها لمن أراد الاستفادة: الوهابية في العراء لمجموعة من الباحثين،، كشف الارتياب عن أتباع محمد عبد الوهاب لمحسن الأمين، السلفية للدكتور محمد سعيد البوطي، وقد قمت بنشر سلسلة أبحاث عن هذه الفئة سميتها، الترابط الجذري بين أهل الكتاب والمجسمة في العقيدة والفكر والسلوك، بينت مدى الربط بين هذه الفئة وأهل الكتاب حول عقيدتهم في ذات الله تعالى وفي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي الأخلاق والأفكار الأساسية وهو مطبوع.

قلوبكم ما لم تجدوه للصحابي؟!! وهذا لا أعتقده، وإنما أعتقد أن الأغراض قد تعمل في الإنسان أكثر مما تعمله الصهباء[٣٦] في الأذهان، والله المستعان

وصل

أقول: إن الائمة المجتهدين رضي الله عنهم كانوا في عصرهم أحرص الناس على متابعة السنّة واجتناب المبتدعات، ومذهب التصوف كان في عصرهم شائعاً ذائعاً، وإذاً فلمَ لم يُنقل عنهم التنبيه عنه والتحذير منه لو كان مخالفاً للدين أو جاء على غير سُنن المرسلين؟! وكنا إذاً نجده في كتبهم ونرويه عن أتباعهم بالتواتر وبكل صراحة كما بلغنا عنهم التحذير من الخوض في علم الكلام، وغير ذلك مما لم يكن الخوض فيه مأثوراً عن الصدر الأول، إذ لا مذهب إلا ونجده يعلن التحذير من ذلك بكل صراحة، ذكر الحافظ ابن عبد البَر في كتابه جامع بيان العلم وفضله قال: وعن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: كان مالك بن أنس يقول: أكره الكلام في الدين، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، وذلك نحو الكلام في رأي جهم[٣٧] والقدر وما أشبه ذلك،

---

(٣٦) الصهباء: هي الحمرة، والأصهب في اللغة هو اللون الأصفر الضارب إلى الحمرة والبياض، وسميت بذلك لبعض لوازمها وهو اللون، ومعنى ذلك أن العالم إذا لم يتق الله تعالى في علمه أضله الله لقوله ﴿ومنهم من أضله الله على علمْ﴾ فهذا النوع من العلماء يكون علمهم حجة عليهم، فيتكلم حينئذٍ بالبدعة وتحريف النصوص وصار يعمل بهواه لا بعقله وعلمه، حيث غاب العقل وحلّ محله الهوى، فصار يفعل كما يفعل السكران وهؤلاء هم الأخسرون أعمالا الذين ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

(٣٧) جهم بن صفوان أصله من ترمذ ناحية خراسان (أفغانستان) حالياً وأتباعه يسمون الجهمية لم أر من ترجم له بدقة، وإنما كانت التراجم تحكي عن الجهمية عموماً، فقد قال احمد في رده على الزنادقة والجهمية ١/١٩: دعوا الناس (أي الجهمية) إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلّوا وأضلوا بكلامهم بشراً كثيرا.

ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله وفي الله عز وجل فالسكوت أحب الي، لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا بما تحته عمل وأهل الأهواء قال: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام ابداً، ويهجر ويؤدب على بدعته فإن تمادى استتيب.

وهكذا ما من إمام إلا وتجد له أثراً صريحاً في التحذير من الخوض في علم الكلام، وإذاً فما منعهم أن يأتوا بشبه تلك الصراحة في التحذير من مذهب المتصوفة، لو كان عندهم يعتبر متهماً أو خارجاً عن تعاليم الدين الحنيف، ولما لم يكن شيء من ذلك، ثبت عندنا تقريرهم له واحترامهم لأهله، وعلى هذا يكون سكوتهم عن التحذير من مذهب التصوف دليلاً واضحاً على تقريرهم له، واعتباره من الدين بمكانة، وهذا لو لم نجد عنهم أدني شيء يعاضده ويدين باحترام المنتمين إليه، ولكن قد وجدنا والحمد لله ما فيه كفاية.

الفصل الأخير

في إثبات ما به الحاجة

مما ينقل عن الأئمة وغيرهم من علماء الأمة

فأقول: إنكم قد كنتم أردتم فيما جمعتموه تعريف العموم وتنبيه الخصوص على أن مذهب التصوف كان مسترذلاً لدى السلف الصالح خصوصاً بين أئمة الاجتهاد، وهو الأمر الذي دعاكم إلى استجلاب ما استجلبتم نقله عن الأئمة من كتاب {تلبيس إبليس} وتلك النقول وإن كانت تثبت للقوم ما يخل بكمال التربية، على فرض صحة نسبتها لأهلها، فهي لا تعطي حكماً باتاً يقضى بزيغ المذهب، كما تحاولون الوصول إليه، وقد كنت ناقشتكم في النازلة جملة جملة، أما الآن فقد أردت أن أثبت لكم عن الأئمة عكس ما أثبتموه، وأزيدكم على ذلك نافلة أن مذهب التصوف لم يزل محترماً من لدن عصر التابعين إلى يومنا هذا بين رجال الأمة، رغم من شذ والشاذ لا حكم له.

أما جمهور الأمة وأكابر الملة فجميعهم مطبقون على أن التصوف هو زبدة الدين، والغاية القصوى من سنن الموحدين، وكفاه فضلا أنه عبارة عن السير في مقامات الإحسان، الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة المصرح بها في حديث جبريل عليه السلام[٣٨].

---

[٣٨] وهو حديث مشهور رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٧) عن سيدنا عمر بن الخطاب قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ

وماذا عسى أن تقوله الأئمة ومن لهم اطلاع على أحوال قوم وهبوا أنفسهم لله، وبذلوا جهدهم في طاعة الله، وأسسوا قوائم مجدهم على تقوى من الله، إلى أن عُرفوا بين الخصوص والعموم بأنهم أهل الله وخاصته من خلقه، دانوا لله بخالص التوجه فدانت لهم العباد، وأشرقت بأنوار هداهم النواحي والبلاد، وها أنا أذكر لكم ما صح نقله عن المجتهدين وأئمة الدين وغيرهم من الكتّاب المطلعين، من جهة ما يرجع للتصوف واحترام أهله من عهد التابعين إلى يومنا هذا، وبذلك تدركون كون مذهب المتصوفة مجمعاً على إعظامه واحترامه بين سائر طبقات الأمة إلا من شذ والنادر لا حكم له.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال: فأخبرني عن الساعة قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرني عن أمارتها قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال: ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم.

أقوال العلماء في التصوف

الحسن البصري رضي الله عنه[٣٩]

فمن ذلك ما جاء عن الحسن البصري رضي الله عنه الذي اتفق أكثر المحققين من مؤرخي الإسلام على أنه أول من فتح الكلام في مذهب التصوف، وأول متصدر لنشر تعاليمه بالخصوص، وهذا مما علم بالتواتر بين علماء السنة، قال العلامة ابن الحاج في الجزء الثاني من مدخله ما نصه: أن الحسن البصري رضي الله عنه هو أول من فتح الكلام في طريق القوم، وهو رضيع إحدى زوجات النبي[٤٠] وهي أم سلمة رضي الله عنها، وقد قيل أن المذهب كانت تُعرف رجاله باسم المتصوفة من عهده، وكان الحسن يجل ويحترم المنتمين لذلك الجناب، ويشهد لهذا ما أخرجه أبو نصر عبد الله بن علي الطوسي[٤١] في كتاب اللمع قال حاكياً عن الحسن البصري رضي الله عنه: رأيت صوفياً في

---

(٣٩) الحسن بن يسار البصري سيد التابعين ورضيع أم سلمة زوج النبي ﷺ ولد سنة (٢١) هـ وامه خيرة كانت مولاة لأم سلمة أخذ عن سيدنا علي ثم هاجر إلى البصرة واتخذها مقراً له حتى مات كان حبر زمانه وعالم الأمة وزاهدها إليه ينسب الطريق الصوفي توفي سنة ١١٠هـ

(٤٠) كانت أم الحسن مولاة لأم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها وكان الحسن رضيعاً فكانت الأم إذا خرجت في حاجة مولاتها تركت الحسن عندها، فكان يبكي في غيبة أمه فتقوم أم سلمة بإسكاته حيث تلقمه ثديها فيسري فيه اللبن فيشرب حتى يرتوي كرامة من الله، لذلك قال العلماء هو ابن للنبي ﷺ من الرضاعة، وكانوا يرون أن ما عليه الحسن من السمت الحسن والحكمة والزهد وغزارة العلم أن ذلك ببركة لبن النبوة.

(٤١) عبد الله بن علي بن يحي الصوفي الزاهد وشيخ الصوفية في وقته، ملقب بطاووس الفقراء قال عنه الذهبي: كان المنظور إليه في ناحيته في الفتوة ولسان القوم له كتاب اللمع توفي سنة ٣٧٨هـ.

الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال: معي أربعة دوانق فيكفيني ما معي، وكان الحسن يذكر ذلك على سبيل الإعجاب بحال ذلك الصوفي[٤٢] أظنك أيها الأخ لا تجهل مكانة الحسن البصري في الإسلام ومنزلته بين التابعين، وهذا النقل كما أنه جاء عن الطوسي جاء عن التجيبي أيضاً نقله سيدي ابن عجيبة[٤٣] في شرحه على المباحث الأصلية.

سفيان الثوري رضي الله عنه

ومما يشهد لعظمة المتصوفة أيضاً في نظر السلف ما يروى عن سفيان الثوري وهو من عظماء أئمة القرن الثاني ومجتهديهم قوله:لولا أبو هشام الصوفي ما عرفت دقيق الرياء، ومن ذلك ما ذكر عنه ابن قيم الجوزية في شرحة على منازل السائرين أنه كان يقول: أعز الخلق خمسة أنفس عالم زاهد، وفقيه صوفي، وغنى متواضع، وفقير شاكر، وشريف سني.

---

(٤٢) كتاب اللمع ص ٤٢.

(٤٣) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني ولد في قرية الخميس غرب الجزائر حفظ القرآن صغيرا رحل في طلب العلم وأخذ عن مشايخ عصره سلك الطريق على الشيخ محمد البوزيدي وكرس نفسة لخدمة طريق القوم له كتاب إيقاظ الهمم في شرح حكم ابن عطاء الله والفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية توفي بالطاعون في دار أستاذه في مدينة غمارة سنة ١٢٢٤هـ ولا يزال ضريحه الذي يشرف على ربوة زميج على بعد ٢٠ كم من طنجة يزار للتبرك والدعاء وتحتفل الطريقة الدرقاوية العجيبية بموسمه في (١٤) أيلول من كل عام، انظر تاريخ تطوان محمد داود الجزء ٣، ١٩٦٢ انظر النص في الفتوحات الإلهية (٢/ ٩٢) طبعة دار المعرفة.

فتأمل يرحمك الله قوله: لو لا أبو هشام الصوفي ما عرفت دقيق الرياء، وهذا صريح في أخذه عن المتصوفة واحترامه لجنابهم، ثم تأمل قوله: أعز الخلق خمسة أنفس وذكر منها فقيه صوفي.

الإمام مالك رضي الله عنه

وأمّا ما جاء صريحاً عن الإمام مالك في هذا الباب ونُقل عنه في غير ما كتاب قوله: من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق[٤٤] نقله عنه التتائي في

---

(٤٤) إنما جعل الإمام رضي الله عنه التصوف قريناً للفقه لأنه يجب على العالم أن يعمل بما علم من الأحكام الشرعية التي يبلغها الناس، حتى لا يكون حطب النار ولا أول من تسعّر به يوم القيامة، فقد جاء في الحديث: أن أول من تسعر النار بثلاثة أصناف من الناس منهم: ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به فعرّفه الله نعمه فعرفها قال: ما عملت فيها؟ قال: تعلمتُ العلم فيك وعلمته وقرأت القرآن، قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت ليقال قارئ فقد قيل ثم أمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار" رواه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة والترمذي برقم ٢٣٠٤، كتاب الزهد، فهذا الفقيه لم ينفعه علمه مجرداً عن العمل وقوله "من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق" لأن التصوف بدون علم مزلقة للعبد حيث أنه عبدَ الله على جهل فيكون عرضة لتلاعبات الشيطان، فقد توعد الشيطان بني آدم حيث قال الله تعالى حاكياً عنه: لأقعدن لهم صراطك المستقيم" ولا نجاة منه إلا بالعلم المصحوب بالعمل، فقد أورد الباجوري في شرحه على جوهرة التوحيد ص ١١١ قوله: يُحكى أن إبليس لعنه الله تمثل بين يدي الشافعي رضي الله عنه وقال: يا إمام، ما تقول في من خلقني لما اختار، واستعملني فيما اختار، وبعد ذلك إن شاء أدخلني الجنة وإن شاء أدخلني النار أعدلَ في ذلك أم جار؟ قال الإمام: فنظرت في مسألته فألهمني الله تعالى أن قلت: يا هذا، إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك، وإن خلقك لما يريد هو فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، فاضمحل إبليس وتلاشى ثم قال: والله يا شافعي، لقد أخرجت بمسألتي هذه سبعين عابداً من ديوان العبودية إلى ديوان الزندقة، ومثل ذلك ما حكاه الإمام الشعراني في طبقاته الكبرى عند ترجمته للشيخ عبد القادر الجيلاني ناقلاً عن الجيلاني نفسه قوله: كنت في بعض سياحاتي خارج بغداد واحتجت إلى الماء فقد كانت من عادتي أن أجدد الوضوء لكل فريضة، فتراءى لي نور عظيم فنظرت فإذا قعقعة من فوقي وقد تدلى إبريق من فضة بسلسلة من ذهب، وإذا بالخطاب من السحابة: توضأ يا عبدي فقد وصلتَ إلينا، أطلعنا عنك التكليفات وأبحنا لك

شرحه على مقدمة ابن رشد، وكذلك الشيخ زروق في القاعدة الرابعة من قواعده[٤٥] ونحن حيث تلقينا هاته القولة عن الإمام من أوثق المصادر اتضح عندنا يقيناً أنه رحمه الله كان صوفياً لا عباً للصوفية فقط، وإلا لزم تسلط الحكم عليه المستفاد من صريح قوله "ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق" برأه الله من ذلك.

وهذه الصراحة من الإمام كافية في إعظامه لمذهب التصوف، وكفى أنه جعله قريناً للفقه، وأن الفقه بدونه عاطل، كما أن التصوف بدون الفقه باطل.

وخلاصة القول؛ أن الإمام رضي الله عنه كان جامعاً بين التصوف والفقه، وهذا لا يُستبعد من الإمام مادام التصوف عبارة عن صدق التوجه إلى الله عز وجل، نعم قد يقول القائل: فلم لم يظهر على الإمام نظير ما ظهر على غيره من المتمين للتصوف كالحارث المحاسبي في ذلك العصر وطبقته؟

الجواب أن عذر الإمام (يعني الإمام مالك رضي الله عنه) في ذلك هو قيامه بما دعت إليه الضرورة من لزوم حفظ القواعد الفقهية وضبط النقول الشرعية، خصوصاً وهو يرى من نفسه الكفاءة للأمر الذي لم يتوفر لغيره غالباً، وكل ذلك لا يمنع أن يختص الإمام في خاصته وحد ذاته بما اختص به غيره من خاصة المتصوفة بأن تكون له

المحرمات، فقلت: إخساً يا لعين، ما أبيحت لجدي رسول الله، فانقلب النور إلى ظلمة وقال: لجوت مني يا عبد القادر بفقهك، وقد سأله أصحابه: كيف عرفت أنه شيطان؟ قال: بالعلم فإن الله تعالى لا يأمر بالمنكر ولا يسقط عنا التكاليف الشرعية حتى الموت لقوله تعالى "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" وهو الموت.

[٤٥] أي كتاب قواعد التصوف.

المشاركة في علمهم ودقائق أسرارهم التي أمروا بعدم إفشائها لغير أهلها، وقد أثبت ذلك لنفسه حسبما نقله عنه أبو إسحاق الشاطبي في الجزء الرابع ص(٣٦١) من كتاب الموافقات قال: وأخبر مالك عن نفسه أنه عنده أحاديث وعلوم ما تكلم فيها ولا حدّث بها، وذكر الشيخ جَنّون في تعليقه على الموطأ نقلا عن القاضي عياض قال: وبلغ شيوخ الإمام مالك تسعمائة شيخ، ثلاثمائة من التابعين وستمائة من تابعيهم ممن اختاره لدينه وفقهه وتيقظه، ولزم ابن هرمز كما في المدارك ثلاثة عشر سنة ويروى ستة عشر سنة من الصباح الى الزوال في علمٍ قال مالك: لم أبثه لأحد من الناس انتهى بلفظه[٤٦].

وعليه فهل ترى أيها الأخ أن هذا العلم المخبَر عنه هو من مدخول الفقه؟ فما أظن، إذ لو كان كذلك لما ساغ له كتمانه لما أن الفقه في الدين يشترك في لزوم معرفته جميع المكلفين، ويجل عن كتمانه العلماء الأعلام لما في آية الكتمان[٤٧] وحديث الإلجام ولكنك تستعبد أن يكون لمالك من العلوم الموروثة عن النبي ﷺ غير ما دوّنه للعموم، وهذا الاستبعاد إنما يتصور مع عدم الاطلاع على ما اشتملت عليه دفاتر السنة من النصوص المثبتة لنظير ذلك، وإليكم ما أخرجه البخارى رضى الله عنه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: حفظت عن رسول الله

---

(٤٦) انظر أيضاً الديباج المذهب لابن فرحون (١/ ١٦).

(٤٧) آية الكتمان هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ البقرة، وحديث الإلجام هو قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن حبان في صحيحه (١/ ٢٩٨) عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: من كتم علما مما يحتاجه الناس ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار، وانظر مستدرك الحاكم (١/ ١٨٢).

ﷺ وعاءين من العلم، أما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطعتم مني هذا البلعوم[٤٨].

ولا شك أن هذا صريحٌ في تأييد ما أخرجه الشاطبي وغيره عن الإمام مالك، وليس هذا الخبر مما ينفرد به أبو هريرة رضي الله عنه، ولا مما ينفرد بنقله البخاري أيضا، فإن المطلع لا تستعصي عليه النقول الصحيحة التي يُستشهد بها في هذا الباب من قول السلف[٤٩] هذا ملخص ما يرجع للإمام مالك من جهة علاقته بالتصوف.

---

[٤٨] رواه البخاري في صحيحه باب حفظ العلم (١/ ٥٦).

[٤٩] منها ما رواه الذهبي في ترجمة سلمان الفارسي قوله: لو حدثتكم بكل ما أعلم لقلتم رحم الله قاتل سلمان. ومنها ما رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٨٣) عن أبي رافع قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: حفظت من حديث رسول ﷺ أحاديث ما حدثتكم بها ولو حدثتكم بحديث منها لرجمتموني بالأحجار هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ومنها ما رواه الحاكم في المستدرك أيضاً (٤/ ٥١٧) عن خيثمة بن عبد الرحمن قال: كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال بعضنا: حدثنا يا أبا عبد الله ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: لو فعلت لرجمتموني قال: قلنا: سبحان الله! نحن نفعل ذلك قال: أرأيتكم لو حدثتكم أن بعض أمهاتكم تأتيكم في كتيبة كثير عددها صدقتم به؟ قالوا: سبحان الله! ومن يصدق بهذا؟ ثم قال حذيفة: أتتكم الحمبراء في كتيبة يسوقها أعلاجها حيث تسوء وجوهكم ثم قال: فدخل مخدعا. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وغير ذلك كثير وهذا العلم من علوم الكشف والفراسة التي أعطاها الله تعالى لخاصته من خلقه.

قلت: قال بعض أهل العلم: أن الجراب الذي تلقاه سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه هو علمه بأسماء المنافقين والأمراء الجائرين من بني أمية، ودليلهم أن أبا هريرة إن كتم علماً يكون آثماً، أو أن النبي ﷺ إن كتم هذا العلم يكون غير مبلغ عن الله، والصواب أن هذا الكلام هو من الجراب لا كل ما في الجراب، لأن النبي ﷺ لم يبلغ كل ما علمه، والذي علمه لأصحابه هو ما احتاجوه من علم الشريعة، لكن علم المكاشفات وعلم البرزخ وما في معنى هذا لم يكن عليه الصلاة والسلام مأموراً بتبليغه، لأن في هذه العلوم فتنة لبعض الناس حيث لا تسعه عقولهم، فيكذبون به فيجر عليهم الويل، وهذا الكلام ثمرة قوله تعالى: واتقوا الله ويعلمكم الله، وقوله تعالى: وعلمناه من لدنا علما، والقول الراجح عند العلماء أن العبد الصالح هو ولي وليس نبيا، وقوله تعالى: قال الذي عنده علم من الكتاب هو وزير سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام وهو ليس نبياً بيقين، وهذا العلم هو سر الولاية، وليست هذه العلوم خارجة عن القرآن إنما هي مما حواه القرآن من المعاني الباطنة، وهي ثمرة العمل بالشريعة.

الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه[٥٠]

أما ما يُنقل عن الإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه في التصوف فليس هو بأقل من ذلك، ذكر صاحب النصرة النبوية، وكذا صاحب كتاب أهل الفتوحات والأذواق أن الإمام ـ رحمه الله ـ كان محباً للصوفية محترماً لمكانتهم[٥١] ولربما يوجد له من التساهل معهم مالم يوجد لغيره من الأئمة، قال المخبر أنه كان في بلدنا طائفة يرقصون للذكر حتى يسقطوا على الأرض ولم ينكر عليهم الإمام، ويزورونه ويكرمهم ويسألونه ويجيبهم، ومن ذلك أنه قال شيخهم مرة للإمام: ما تقول يا سيدي رضي الله عنكم في مسألة هي: أن جماعة من أمة محمد ﷺ دخلوا الكنيسة، واجتمعوا بها حلقة وتداولوا ذكر الشيطان بصوت مرتفع من الصباح إلى المساء، أفتنا فيهم أهم كفار؟ فاجاب رضي الله عنه: لا يكفر أحد من أهل القبلة بالذنب وهذا ليس بذنب[٥٢] فتأمل

---

(٥٠) أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام مدرسة الرأي ولد سنة ثمانين، ومات سنة خمسين ومائة في بغداد كان لا يأخذ بالحديث في أكثر فتاواه وذلك لكثرة الوضاعين في عصره، وإنما كان يأخذ بالقرآن.

(٥١) بل كان صوفياً وشيخاً من كبار مشايخهم ويشهد لذلك ما قاله أئمة مذهبه ، قال الفقيه الحنفي الحصفكي صاحب الدر: أن أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى قال: أنا أخذت هذه الطريقة من أبي القاسم النصراباذي وقال: أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي وهو من السري السقطي وهو من معروف الكرخي وهو من داود الطائي وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة النعمان رضي الله عنهم أجمعين . انظر الدر المختار (١/ ٤٣).

(٥٢) ويقصد من هذا السؤال؛ أن الصوفية يذكرون الله تعالى في المساجد بالصيغة المتعارف عليها عندهم من حالة الوقوف، يستمعون الشعر، فأنكر عليهم طائفة من الناس كما هو الحال هذه الأيام، فسأل شيخهم الإمام أبا حنيفة النعمان بن ثابت إمام المذهب المشهور رضي الله عنه، وهو سؤال افتراضي لم يقع، ما هو حكم الشرع في جماعة من المسلمين، دخلوا الكنيسة،

قوله: وهذا ليس بذنب ثم قسه على ما يفعله المتصوفة في الحضرة[٥٣] وما يتظاهرون به أهم صادقون في ذلك؟ فأجاب: إن لله رجالاً يدخلون الجنة بدفوفهم ومزامرهم، وما قال هذا رضي الله عنه إلا سداً لذريعة الاعتراض على المنتسبين إلى الله، والله اعلم.

ولا تفهم أيها الأخ أن غايتنا في إثبات هذا النقل الانتصار لشبه الدفوف والمزامير مما يفعله بعض الملتصقين بالقوم[٥٤] إنما الغرض أن نذكر لك كيف كان تساهل الإمام مع المنتسبين للتصوف ولو مع

ومعلوم أن الكنيسة مكان عبادة للنصارى، وتداولوا ذكر الشيطان، بدلاً من ذكر الرحمن سبحانه وتعالى، هل هم كفار؟ أم عصاة؟ في فعلهم هذا؟؟؟ فأجاب الإمام رضي الله عنه: إن من مبادئ الإسلام أن لا يكفر أحد من المسلمين بذنب، لقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فإذا وقع في الشرك فذاك هو الذي يخرجه من الملة، أما مقارفة الذنوب التي دون الشرك فلا، ومع هذا كله فقد قال الإمام: إن فعلهم هذا ليس ذنباً يحاسب عليه قانون السماء، فانظر الفرق بين الصوفية الذين يذكرون الله في المسجد، وبين هؤلاء الذين يذكرون الشيطان في الكنيسة، فأيهم أولى بالتكفير إن قلنا به؟؟.

(٥٣) الحضرة؛ اسم لمجلس الذكر الذي يفعله الصوفية حيث يذكرون الله تعالى من حالة القيام بلفظ (الله الله) وهو الأسم الأعظم ويتخلل ذلك سماع شيء من المدائح النبوية بألحان شجية توافق إيقاع الذكر مع الاهتزاز بحركة منتظمة، والحضرة لفظ اصطلح عليه صوفية الشام لهذا المجلس وهو مشتق من الحضور حيث يحضر الذاكرون لهذا الغرض، واسمه في المغرب العمارة وهو من تعمير المكان والزمان بذكر الله تعالى ومجلس الذكر اسمه في المصطلح الشرعي.

(٥٤) لا بد لكل جماعة من دخلاء يوافقونهم في الاسم ويخالفونهم في الجوهر ، وهكذا التصق بالصوفية من ليس منهم وإن تسموا بإسمهم فقد خالفوهم في المنهج ومما استعملوه في طقوسهم الذكر على آلات الموسيقى واختلاط الرجال بالنساء واستعمال بعض الأمور المحرمة وهذا مما يرفضه التصوف جملة، ومما منَّ الله تعالى به علينا أن وفقنا لخدمة أولياء علماء قلَّ أن يوجد في الكون مثلهم، فلا يسمحون لأحد خالف سنة وأصر عليها أن يجتمع معهم، وأن بقي يحضر معهم طردوه ولم يسمحوا له بالدخول ويحذرون الناس منه بأن هذا ليس من طريقتنا وأن طريقنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ والحمد لله على ذلك.

ارتكابهم لبعض المشتبهات وهذا ما يخص أبا حنفية رضى الله عنه باختصار.

الإمام الشافعي رضي الله عنه

وأما ما جاء عن الإمام الشافعي رضي الله عنه فيزيد على ذلك بكثير حسبما نُقل عنه في غير ما كتاب، وممن تتبع ذلك الإمام الشعراني[٥٥] في غالب كتبه، وأثبت عنه أنه كثيراً ما كان يداوم مجالسة الصوفية حتى قيل له في ذلك فقال: استفدت من مجالستهم أمرين لم أستفدهما من مشائخ العلم قولهم؛ الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، و قولهم: أشغل نفسك بالخير فإن لم تشغلها بالخير شغلتك بضده، ذكره النووي في شرح المهذب[٥٦] وقال الشعراني: كثيراً ما كان الشافعي يوصي الإمام احمد باحترامهم ومجالستهم أيضاً: ويشهد لذلك ما جاء في كتاب جامع الأصول أن الشافعي والإمام احمد رضي الله عنهما كانا يترددان إلى مجالس الصوفية ويحضران معهم مجالس ذكرهم، فقيل لهما: مالكما تترددان إلى مثل هؤلاء؟ فقالا: إن هؤلاء عندهم رأس الأمر وهو تقوى الله ومحبته، وكان الشعراني يقول: كُفى القوم مدحاً إذعان الإمام

---

(٥٥) الإمام أبو المواهب عبد الوهاب بن احمد الأنصاري الشافعي من أعيان القرن العاشر الهجري، يرتفع نسبه إلى محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ولد في ٢٧ رمضان ٨٩٨هـ ببلدة قلقشندة، ثم انتقل إلى ساقية (أبي شعرة) وإليها نُسب فلقب بالشعراني، كان آية زمانه في العلم وقوة الحفظ، أخذ طريق التصوف عن الشيخ علي الخواص وسلك على يديه حتى حاز الرتبة السنيّة في الولاية.

(٥٦) وهذا الكلام منقول عن النووي في مقدمة المجموع من النسخ القديمة، أما النسخ الحديثة فقد حذف الوهابية هذا النص من جملة محاربتهم للتصوف.

الشافعي لشيبان الراعي[٥٧] وفي كتابه جذوة الأنوار[٥٨] أن الإمام كان كثير الانتحاء للأولياء متفانياً في حبهم، وكان يقول: هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي، إلى أن رماه بعض المعتزلة بالرفض فقال مجيباً لهم:

قالوا ترفضت قلت كلا ما الرفض ديني ولا اعتقادي

ونحن إذا نظرنا إلى انتماء الإمام للصالحين وحبه للمتصوفة وكثرة مجالسته لهم لا نستبعد أن يكون له نصيب من المشاركة في علومهم حسبما تقدم عن الإمام مالك رضي الله عنهما، وهذا ما يخص الشافعي رضي الله عنه.

---

(٥٧) محمد بن عبد الله وشهرته شيبان الراعي أحد أعيان الصوفية وكان معاصراً للشافعي رضي الله عنهم، كان أمياً لكنه كان عالماً فقيهاً، ومن لطيف ما أورده أصحاب التراجم عنه أن الإمامين الشافعي واحمد رضي الله عنهما مراً في طريقهما على شيبان وهو يرعى غنيمات، فأراد الإمام احمد أن يسأله وذلك ليختبر علمه، فسلما عليه ثم سأله: ما تقول في رجل سها في صلاته؟ فقال: في مذهبكم معشر الفقهاء يبني على اليقين ويسجد للسهو، فقال احمد: وفي مذهبكم معشر الصوفية؟ قال: هذا رجل أساء الأدب إذ غفل في حضرة مولاه فحقه أن يؤدب، ثم سأله كم زكاة هذه الغنم؟ فقال: في مذهبكم في الأربعين شاة...الخ فقال احمد: وفي مذهبكم؟ قال: كلها لله فإن العبد وما ملكت يداه لسيده، قال احمد: وما دليلك على ذلك؟ قال: أبو بكر أنفق ماله كله على رسول الله، وقد كان يجزئه البعض، فأعجب الإمامان بغزارة علمه ودقة فهمه، ثم سألاه الدعاء وانصرفا.

(٥٨) للمختار بن احمد بن أبي بكر القادري من ذرية عقبة بن نافع الفهري ولد عام ١١٤٢هـ من مشاهيرعلماء المغرب وأوليائهم وأعظمهم قدراً وأجلّهم معرفة، له كرامات مشهورة وله تصانيف مفيدة، توفي سنة ١٢٢٦هـ.

الإمام احمد رضي الله عنه

وأما ما يخص الإمام احمد بن حنبل رضي الله عنه من جهة علاقته بالتصوف فإنه يعتبر أكثر بكثير مما جاء عن غيره، والمعنى أن ركونه لمذهب القوم كان معروفاً بالضرورة لدى المطلعين، لوروده عنه في غير ما طريق، فكان يجالسهم ويحبهم ويحث على مجالستهم، فقد ذكر الشيخ الشعراني في طبقاته عن العلامة قطب الدين بن أيمن قال: كان الإمام احمد يحث ولده على الاجتماع بالصوفية ويقول: إنهم بلغوا في الإخلاص مقاماً لم نبلغه.

قلت: وقد كان هذا منه رضي الله عنه بعد اختباره لهم، وعلمه يقيناً من كونهم أناساً أفردوا وجهتهم لله، وأخلصوا له في معاملتهم سراً وعلانية، قال الشعراني رحمه الله في طبقاته عند ترجمته للحارث المحاسبي[٥٩]:

قيل لأحمد بن حنبل رضي الله عنه: أن الحارث يتكلم في علم الصوفية ويحتج لها بالأثر والحديث، فهل لك أن تسمع كلامه من حيث لا يشعر بنا؟ فقال: نعم، فحضر معه ليلة إلى الصباح، ولم ينكر من أقواله ولا من أحواله ولا من أحوال أصحابه شيئا، قال: لأني رأيتهم لما أذن المغرب تقدم فصلى، ثم حضر الطعام فجعل يحدث أصحابه وهو يأكل وهذا من السنّة، فلما فرغوا من الطعام وغسلوا أيديهم قال: من أراد

---

[٥٩] أبو عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي من علماء ومشايخ القوم بعلوم الظاهر وعلوم الأصول وعلوم المعاملات له التصانيف المشهورة عديم النظر في زمانه وهو أستاذ أكثر البغداديين بصري الأصل توفي ببغداد سنة ٢٤٣ هـ.

منكم أن يسال عن شيء فليسال، فسألوا عن الرياء والإخلاص، وعن مسائل كثيرة فأجاب عنها واستشهد بالأثر والحديث، فلما مر جانب من الليل أمر الحارث قارئاً يقرأ، فبكوا وصاحوا وانتحبوا ثم سكت القارئ، فدعا الحارث بدعوات خفاف، ثم قام الى الصلاة، فلما أصبحوا اعترف احمد رضي الله عنه بفضله وقال: كنت أسمع عن الصوفية خلاف هذا فأستغفر الله العظيم، ومن يومه أصبح يعتني رضي الله عنه بمجالسة الصوفية ويحتفظ بما يسمعه من كبرائهم[٦٠].

قال الشعراني: إن الإمام احمد كان يبعث لأبي حمزة البغداي[٦١] يسأله في المسائل الدقيقة ويقول له: ما تقول في هذا يا صوفي؟ فيجيبه أبو حمزة بما فتح الله عليه، وكان يعجب بما يسمعه من الحِكَم عن أبي سليمان الداراني، قال يحي بن معين: تلاقي الإمام احمد وابن أبي الحواري فقال الإمام احمد: حدثنا يا ابن أبي الحواري بحكاية سمعتَها من شيخك أبي سليمان فقال ابن ابي الحواري: قل: سبحان الله فقال الإمام: سبحان الله وطوّلها بلا عجب، فقال ابن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان يقول: إذا اعتادت النفوس ترك الآثام جالت في ملكوت السموات والأرض ورجعت لصاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علما، قال: فقام الإمام ثلاثاً وجلس ثلاثاً وقال: ما سمعت في الاسلام بحكاية أعجب إليّ من هاته الحكاية، ثم ذكر حديث: من عمل

---

[٦٠] انظر الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٧٥).

[٦١] ابو حمزة محمد بن ابراهيم البغدادي البزار من أعيان الصوفية وكبرائهم من أقران الجنيد صحب السري السقطي وحسناً المسوحي، كان فقيهاً عالماً بالقرآن كان يدرّس ببغداد في مسجد الرصافة ثم تولى التدريس في مسجد المدينة، كان كثير التكلم بالحكمة، من كلامه: حب الفقر شديدٌ لا يصبر عليه إلا صدّيق، توفي سنة ٢٨٩هـ رضي الله عنه.

بـما علم ورثه الله علم مالم يعلم[٦٢] نقله فـي كتاب جذوة الأنوار للشيخ المختار الكنتي.

وبالجملة فإن الإمام أحمد رضي الله عنه كان على جانب عظيم من جهة احترامه للمنتسبين لمذهب التصوف، ويشهد لهذا ما جاء فـي كتاب الحدائق للإمام ابن سعيد النيسابوري أنه قيل للإمام أحمد بن حنبل: إن هؤلاء الصوفـية جلسوا فـي المساجد على التوكل بغير علم[٦٣] قال: العلم أقعدهم فقيل: إن همتهم كبيرة، قال: لا أعلم قوماً على وجه الأرض أحسن من قوم همتهم كبيرة، فقيل: إنهم يقومون فـيرقصون، فقال: دعهم يفرحون بربهم ساعة.

ونظير هذا ما نقله المناوي فـي طبقات الأولياء فـي ترجمه الإمام احمد رضي الله عنه فقد عبّر عن الواقعة بعينها، فتأمل يرحمك الله ما أبداه هذا الإمام من التساهل مع رجال التصوف، ومما يزيدك يقيناً فـي إثبات ما قدمنا ماذكر العلامة الشيخ أحمد المواز المغربي فـي كتابه {حجة المنذرين} قال: قال الإمام الغزالي: إن الإمام احمد وابن معين كانا يختلفان إلى معروف الكرخي ويسألانه، ولم يكن فـي علم الشريعة مثلهما، فـيقال لهما: مثلكما يفعلان هذا!! فـيقولان: كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجد له نصاً فـي الكتاب ولا السنة وقد قال ﷺ: سلرا الصالحين[٦٤].

---

(٦٢) اخرجها أبو نعيم فـي الحلية (١٠/ ١٥) وأورد فـيها الحديث مسندًا إلى النبيﷺ عن انس.

(٦٣) هكذا وردت فـي الأصل ، ولعلها بغير 'عمل' حتى يستقيم المعنى.

(٦٤) رواه البيهقي فـي السنن الكبرى (٤/ ١٩٧) وأبو داود (٢/ ١٢٢).

وإلى هنا ينتهي بنا ما وعدنا بنقله عن الأئمة الأربعة، وفي ظني أنه يعتبر كافياً في نقض ما حاولتم إثباته عنهم من كونهم كانوا ـ برّأهم الله ـ لا يقيمون وزناً للتصوف وأهله، اعتماداً منكم على مجرد ما وقع بأيدكم من كتاب تلبيس إبليس، قاطعين النظر عما وراء ذلك مما حوته كتب الفروع والأصول، وفي ظني أن هذا مما يعتبر شبه خيانة[٦٥] في النقل لفاعله وتدليساً في الرواية، وشأن الناقل أن يكون أميناً.

---

(٦٥) إنما كان شبه خيانة لأن المعترض لم يراع صحة النقل من حيث قوة المصدر الذي اعتمده، أو من حيث صحة الكلام الذي نقله عن الأئمة سيّما وهو يعرف من نفسه أن الأئمة كانوا على عكس ما كتب عنهم ليدعّم قوله ورأيه، وأنه مبطل في دعواه، وإنما كان تدليساً لأنه أخفى الحقيقة بشبه هي أوهى من بيت العنكبوت، وهذا شأن هذه الطائفة المسماة بالسلفية قديماً وحديثاً حيث لم يجدوا عند السادة الصوفية ما يبرهنون على ما يقولون من مخالفات شرعية فراحوا يزوّرون الحقائق وقد حصل معنا منهم الكثير وسأضرب على ذلك مثالاً: قال الأستاذ محمود الغراب حفظه الله في مقدمة كتابه شرح كلمات الصوفية ص٩: ومن العجيب أنك ترى الباحثين من جميع الملل أي ملة كانت ومهما كانت كافرة إذا كتبت في التحقيق العلمي التزمت أمانة النقل في النصوص، ثم تعمد بعد ذلك إلى تحريف التأويل عمداً منها أو جهلاً، لتذهب إلى ما ذهبت إليه ولكن لا تراهم أبداً يحرّفون النصوص وذلك حرصاً منهم على سمعتهم ومكانتهم العلمية، وأعجب من ذلك أنك ترى بعض من يدّعي العلم ممن يحسب على المسلمين في عصرنا هذا الذي توفرت فيه جميع المراجع والسبل العلمية للحصول على النصوص من جميع أنحاء العالم في أقرب وقت وأيسر أسلوب، مما لم يتوفر للعلماء السابقين مثل الإمام ابن تيمية، ترى هذا البعض يلجأ إلى تحريف النصوص عند نقلها انتصاراً لمذهبه بعد أن يهزأ به الشيطان ويسوّل له أن يذبّ عن دين الله، مثال ذلك ما كتبه محمد حامد الفقّي على هامش تحقيقه لكتاب مدارج السالكين لابن القيّم في النسخة المطبوعة في دار الكتاب العربي في بيروت عام ١٩٧٢م، فيقول في هامش الصفحة رقم ٦٠ من الجزء الأول ما يلي: قال ابن عربي الحاتمي شيخ الصوفية الناطق بلسانهم:

العبد رب والرب عبد ... يا ليت شعري مَن المكلّف
إن قلت عبد فذاك رب ... أو قلت رب أنى يكلف

على أننا لو لم نعثر على أي نقل عن الأئمة يبرر ساحة المتصوفة في عصرهم، لاعتبرنا سكوتهم عنهم تقريراً للمذهب، من كونه من السّنة بمكان حسبما قدمناه في صدر الكلام، فكيف إذا وجدنا عنهم من الآثار والأخبار ما هو واضح الدلالة صريح البيان في تعضيد المذهب واحترام أهله حسبما رأيتموه، وهذا ما تأتى لنا إثباته عن الأئمة من جهة علاقتهم بالتصوف، وأنت إذا أردت ما هو أبين من هذا أعني الأمر الذي يثبت لكم كون التصوف كان مذهباً عاماً لأهل الصدر الأول، لا فرق بين صحابة وتابعين، فلتراجع ما أثبته مؤرخوا الإسلام في الموضوع، فإنك تجد أن ما حاولنا إثباته يعتبر كلا شيء، لأن غاية محاولتنا تنحصر في مجرد نسبة أفراد مخصوصة للتصوف من رجال السلف.

العلامة ابن خلدون رحمه الله[٦٦]

ولكن العلاّمة ابن خلدون رحمه الله لم يقتصر على نظير ما أثبتناه بل صرح، وهكذا صرح غيره، بأن طريق المتصوفة كان أول من تظاهر

وهذان البيتان موجودان في أربعة كتب من كتب الشيخ وهي مواقع النجوم ص١٦٤ والتنزلات الموصلية ص١٢٦ وكتاب المسائل وفي الصفحة الأولى من الفتوحات المكية ولكن بالنص التالي:

الرب حق والعبد حق ... يا ليت شعري مَن المكلّف
إن قلت عبد فالعبد ميت ... أو قلت رب أنى يكلف

[٦٦] المؤرخ الناقد الاجتماعي العلاّمة عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ٧٣٢- ٨٠٨هـ ولد بالمغرب كان واسع العلم كثير الكتابة وهو أول من تكلم في علم الاجتماع.

بها الصحابة ثم التابعون وهلم جرا، قال في مقدمته عند تعريفه للتصوف ما نصه: إن طريق هؤلاء القوم (يعني الصوفية) لم تزل عند سلف الأمة وكبارها، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية، وأصلها؛ العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذةٍ وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف، ثم فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، فاختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة.

وأظنك أيها الأخ لا تنكر أن هذا المؤرخ الجليل الذي يعترف له العالم بنقده وتحقيقاته، له من الاطلاع أكثر مما لكم على ما يظهر، وهذا هو قد أثبت لكم بأن التصوف كان مذهباً شاملاً عاماً لأهل الصدر الأول، ولولا ذلك لما صح وصف ما وصفه العلماء الأجلة من كونه أسنى المقامات، وأن المنتسبين إليه يعتبرون في أعلا درجات الكمال بعد النبوة.

الشيخ زروق رضي الله عنه

قال الشيخ أحمد زروق في بعض تراجمه على مقطوعات الششتري، لما تكلم على طريق التصوف قال: انتهجها الصالحون من أولياء الله، وظهرت نتيجتها في كثير من عباد الله، واشتملت على رجال

قاموا بأحكام الشريعة وآداب الحقيقة، وتعلقوا بأسماء رب العالمين، وتخلقوا باخلاق سيد المرسلين، آثارهم حميدة وملاقاتهم سعيدة، ترغب الملائكة في خلتهم، وتشتاق الأنبياء والرسل لرؤيتهم، كتاب الله مطرز بالثناء عليهم، وبشائر السنة كلها تشير إليهم، عند ذكرهم تنزل الرحمات، وبسبب وجودهم ترفع النقمات .. الخ.

وقال في شرحه على الحكم في تعريف التصوف: إنه بمنزلة الروح والفقه جسده، إذ لا قيام له إلا فيه، كما لا قيام للجسد إلا به، ثم قال: إن نظر الصوفي أخص من نظر الفقيه والأصولي، فلهذا صح إنكارهما عليه، ولا يصح إنكاره على واحد منهما، وصوفي الفقهاء خير من فقيه الصوفية، وقال في القاعدة الرابعة من قواعده: فلا تصوف إلا بفقه، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه، ولا هما إلا بإيمان، إذ لا يصح واحد منهما دونه، فلزم الجميع لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد، ولا وجود لها إلا فيها، كما لا حياة لها إلا بها فافهم.

ونظير هاته النقول لا تحصى كثرة، ولكن حضرة الأخ لا يقنعه إلا ما كان صدوره ممن اشتهر بعلم الفقه أكثر منه بالتصوف، ولهذا ظهر لي أن نستطرد له نصوصاً ممن لا يرتاب فيه عنده رجاء أن تعتبر كافية لديه في صحة ما أثبتناه.

أبو اسحاق الشاطبي رحمه الله

فمن ذلك ما جاء عن الإمام الشاطبي رحمه الله في كتاب الموافقات له حيث قال: الصوفية حجة في علومهم، وهم صفوة الله من خلقه باتفاق، وقال أيضا: "جعل الله هاته الطائفة صفوة أوليائه، وفضلهم على الكافة من غير تميز بعد الرسل والأنبياء".

وقال رحمه الله في الجزء الأول من كتاب الاعتصام ص(١٢٠): إن الصوفية الذين نُسبت إليهم الطريقة مُجمِعون على تعظيم الشريعة، مقيمون على متابعة السنة، غير مخلّين بشيء من آدابها، أبعد الناس عن البدع وأهلها، ولذلك لا نجد منهم من يُنسب الى فرقة من الفرق الضالة، ولا إلى من يميل عن خلاف السنة، وأكثر من ذُكر منهم علماءٌ وفقهاءٌ ومحدثون، وممن يؤخذ عنه الدين أصلاً وفرعاً، ومن لم يكن كذلك فلا بد أن يكون فقيهاً في دينه بمقدار كفايته.

وليس هذا التعريف مما يخص أبا إسحاق الشاطبي بانفراد حتى تكون حياله كالمتردد من جهة القبول وعدمه، وإنما يشاركه فيه كل عالم بالسنّة، وإنما الشاطبي كالمترجم عن حقه في الواقع.

ومن ذلك ما جاء عن العلامة ابن قيّم الجوزية في شرحه على كتاب منازل السائرين قال: فالعارف صاحب ضياء الكشف أوسع باطناً وقلباً، وأعظم إطلاقاً من صاحب العلم، ونسبته إليه كنسبة صاحب العلم إلى الجاهل، إذ أن العالم أوسع باطناً من الجاهل، وله إطلاقٌ بحسب علمه، فالعارف بما معه من روح العلم وضياء الكشف ونوره، هو أكثر

إطلاقاً وأوسع باطناً من صاحب العلم، فيتابع العالم بظواهر العلم وأحكامه والعارف لا يرى قيودا.

قلت: ويشبه هاته التعاريف للصوفية رضي الله عنهم ما قد كان ذكره الشيخ محمد عبده المصري في شرحه على مقامات بديع الزمان الهمذاني عند قول المصنف: فلما تجلينا وأخبرنا بحالنا، أسفرت القصة عن أصل كوفي ومذهب صوفي، قال الأستاذ الشارح: والصوفي نسبة إلى الصوفية وهم طائفة من المسلمين همهم من العمل إصلاح القلوب وتصفية السرائر، والاستقبال بالأرواح وجهة الحق الأعلى جل شأنه، حتى تأخذهم الجذبات عمن سواه، وتفنى ذاتهم في ذاته، وصفاتهم في صفاته، والعارفون منهم البالغون إلى الغاية من سيرهم في أعلا مرتبة من الكمال البشري بعد النبوة.

قلت: وما كانت هاته العقيدة من الشيخ محمد عبده في رجال التصوف من كونهم في أعلا مرتبة من الكمال البشري بعد النبوة إلا منتزعة من صميم عقيدة سلف الأمة على أنها عقيدة الحق الصرف.

أبو حامد الغزالي رضي الله عنه

قال الإمام أبو حامد الغزالي في رسالته التي جاءت ذيلاً على كتاب مشكاة الأنوار في وصف العارفين بالله بالإضافة للعلماء قال: ما جُعل لغيرهم وعداً جُعل لهم نقداً، وما جُعل لغيرهم نقداً شاهدوه عياناً، فهم في زواياهم وعلى سجاداتهم وهم في الشرق وهم في الغرب، وهم في الفرش وهم في العرش، وهم وإن لم يعرجوا بأشباحهم فقد عرجوا بأرواحهم، وإن لم يشاهدوا الحق بأبصارهم فقد شاهدوه

بأسرارهم، فهم صفوة الحق ومقصود الكون من الخلق، بهم يُرزقون وبهم يُنصرون، أخلصوا لله في العبودية والتوحيد، وصدقوا في الإرادة والتجريد، فطوبى لهم بل طوبى لمن آمن بهم.

قلت: وهاته الأخلاق التي خُصّصوا بها هي التي أكسبتهم هيبةً وأورثتهم عظمةً في نظر الخلق وعلى الأخص المستبصرين منهم.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإمام القشيري رضي الله عنه[٧٠]

قال الإمام القشيري رحمه الله وهو ممن يعتمد عليه في النقل عند جمهور العلماء: لم يكن عصر في مدة الإسلام وفيه شيخ من هاته الطائفة (يعني الصوفية) إلا وأئمة ذلك الوقت من العلماء قد استسلموا لذلك الشيخ وتواضعوا له وتركوا به، ولو لم تكن مزية للقوم لكان الأمر بالعكس، نقله في النصرة النبوية.

ويشهد لذلك ما ذكره الشعراني رحمه الله في طبقاته قال: اجتمع الأولياء في وقعة الفرنجة بالمنصورة قرب ثغر دمياط، جلس الشيخ عز الدين والشيخ مكين الدين الأسمر والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد وأضرابهم وقرأت عليهم رسالة القشيري، وصار كل واحد يتكلم، إذ جاء أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه فقالوا له: نريد أن تسمعنا شيئاً من معاني هذا الكلام، فقال: أنتم مشايخ الإسلام وكبراء الزمان فقد تكلمتم، فما بقي لكلام مثلي موضع فقالوا: لا بل تكلم فحمد الله وأثنى عليه وشرع يتكلم، فصاح عز الدين من داخل الخيمة وخرج ينادي بأعلى صوته: هلموا إلى هذا الكلام القريب عهد من الله تعالوا فاسمعوه[٧١].

وفي طبقات الشعراني أيضاً يكفينا منقبة للقوم إذعان أبي العباس بن سريج للجنيد حين حضر مجلسه وقال: لا أدري ما يقول،

---

[٧٠] الأستاذ عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري ولد سنة ٣٧٦هـ ببلدة استوا، كان عالماً ورعاً له مؤلفات كثيرة تزيد على ٣٠٠ مؤلف/ توفي سنة ٤٦٥هـ بنيسابور ودفن بجانب الإمام أبي علي الدقاق.

[٧١] انظر مقدمة الكتاب ص ١٢.

ولكن لكلامه صولة ليست بصولة مبطل[٧٢] وكذلك إذعان أبي عمران للشبلي حين امتحنه في مسائل من الحيض فأفاده سبع مقالات لم تكن عند أبي عمران، ومثل ذلك إذعان الإمام الشافعي لشيبان الراعي حين طلب منه الإمام أحمد بن حنبل يسأله عمن نسي صلاة لا يدري أي صلاة هي، وإذعان الإمام أحمد لشيبان الراعي[٧٣] كذلك حين قال له شيبان: هذا رجل غفل عن الله عز وجل فجزاؤه أن يؤدب، وكذلك يكفينا إذعان الإمام أحمد رضي الله عنه لأبي حمزة البغدادي الصوفي رضي الله عنه، واعتقاده حين كان يرسل له دقائق المسائل ويقول: ما تقول في هذا يا صوفي؟؟ وذكر ذلك مطولاً في ترجمته لأبي حمزة، وكان يقول الشعراني فشيءٌ يقف في فهمه الإمام أحمد ويعرفه أبو حمزة غاية المنقبة، وبالجملة فإن رجال التصوف كانوا أرفع منزلة في نظر الأئمة المجتهدين.

---

(٧٢) الطبقات الكبرى ص٣.

(٧٣) شيبان أبو محمد الراعي من عباد مرو كان في العبادة فائقا وبالتوكل على ربه عز و جل واثقا كان إذا أجنب وليس عنده ماء دعا ربه فجاءت سحابة فأظلت فاغتسل وكان يذهب إلى الجمعة فيخط على غنمه فيجيء فيجدها عل حالتها لم تتحرك.
وقوله: غاية المنقبة، يفيد تضلع الصوفية في علم الشريعة زيادة على ما ألحفهم الله به من علم الحقائق، حدثني فضيلة الشيخ فائق محمد الخطيب من فقهاء الشافعية قال: توقفت عن أكل البيض مدة غير يسيرة حتى أعلم نص إباحته من الشرع، فبحثت عن ذلك فيما لدي من مصادر فلم أجد، فذهبت إلى كبار العلماء في الأردن فلم أجد جواباً عندهم، ثم ذهبت إلى مفتي القوات المسلحة، ومساعده فلم أجد عندهم جواباً، ثم ذهبت إلى مفتي عام المملكة فلم أجد عنده جواباً، ثم ذهبت بعد ذلك إلى الشيخ عبد الكريم المومني شيخ الشاذلية وسألته، فأجابني على الفور: قال ﷺ: لعن الله السارق يسرق الحبل والبيضة فتقطع يده ولو لم يكن في البيض منفعة للإنسان ما ذكرها النبي ﷺ ولم يسرقها السارق، ومنفعة البيض هي أكله. فهذه منقبة اختص الله تعالى بها القوم من دون سائر طبقات الأمة.

الإمام العز رضي الله عنه[٧٤]

سئل العز بن عبد السلام رحمه الله عن قول القشيري وقول أبي حامد رضي الله عنهما: الصوفية أفضل من العلماء الراسخين؟ فقال: قول أبي حامد والقشيري متفق عليه، ولا يشك عاقل أن العارف بأحكام الله أفضل من العارفين بالله، بل العارفون أفضل من أهل الفروع والأصول. نقله في كتاب نجوم المهتدين، وكان يقول: من أعظم الدليل على أن طائفة الصوفية قعدوا على أعظم أساس الدين ما يقع على أيديهم من الكرامات والخوارق، ولا يقع شيءٌ من ذلك لفقيهٍ إلا إذا سلك مسلكهم كما هو مشاهد. نقله في النصرة النبوية.

قلت: وهذا مما يشهد به الواقع، فإنه قلّ أن يوجد عالم ممن اشتهر صيته فارغ الذمة من الانتساب إلى مرشد من رجال التصوف، ولو أنك اقتصرت ما بيدك من المؤلفات المتداولة في مبادئ العلوم لما فاتك ذلك.

---

(٧٤) عبد العزيز بن عبد السلام سلطان العلماء وبائع الملوك الإمام الحجة ينتهي نسبه إلى قبيلة مضر ولد بدمشق سنة ٥٧٧ كان زاهداً عابدا ما رؤي في عصره مثله ورعاً وشجاعة وعلما سلك الطريق على يد الشيخ أبي الحسن الشاذلي لما رأى على يديه من الكرامات، كان مجاب الدعوة ظاهر الولاية، شارك في معركة المنصورة ، ولما اجتمع الجيشان وأقبل لويس التاسع بسفنه في النيل، وكانت الريح معهم، وقف أمام الجيش وقال: يا ريح خذيهم وأشار بيد لجهة العدو فسخر الله له الريح، وحوّل اتجاهها ضد الفرنجة، وهجم المسلمون عليهم وأثخنوهم جراحة وتقتيلا، ووقع قائد حملتهم في الأسر، كان له اليد الطولى في تجهيز الجيش الذي قهر التتار في عين جالوت، اشتهر عنه أنه كان يرقص في مجالس الذكر، قال الشاذلي: خوطبت في سري: ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس عبد العزيز بن عبد السلام، وفي الحديث من مجلس الزكي المنذري، وفي التصوف من مجلسك، والحمد لله على ذلك.

ابن الحاج العبدري المالكي[٧٥]

قال في حاشيته على الأجرومية عند قول الازهري: حملني عليه شيخ الوقت والطريقة ومعدن السلوك والحقيقة، قال: الحقيقة هي أن يودعه الله نوراً يستوي عنده الظاهر والباطن والحاضر والغائب، وإنما قال: حملني عليه الخ إشارة إلى الله تعالى إنما فتح عليه بسبب صحبة ذلك الولي، وكذلك أغلب من يشار لهم من علماء الظاهر إنما حصل النفع بهم بسبب صحبة ولي من علماء الباطن كابن النحاس بسبب أبي العباس المرسي، وكعز الدين بن عبد السلام بسبب أبي الحسن الشاذلي.

وحقيق أنك لو تتبعت المظان لما فاتك أيها الأخ أن تدرك ذلك.

وقال في حاشيته على الشيخ خالد الأزهري عند قول الشارح: حملني عليه شيخ الوقت: وأهل الطريقة هم السادات الصوفية، والسلوك عندهم العمل بالطريقة الموصلة إلى الله، والحقيقة هي أن يشهد بنورٍ أودعه الله في سويداء قلبه أن كل باطن وظاهر وعكسه وهي باطن الشريعة وملازمة لها، فالحقيقة بدون شريعة باطلة، والشريعة بدون حقيقة عاطلة.

وقال في حاشيته على المرشد المعين:

---

[٧٥] العلامة محمد العبدري الشهير بابن الحاج، فقيه مالكي، ذكر في كتابه هذا جملة من البدع التي اشتهرت في المغرب، وحذر الناس منها، وقد كان رحمه الله شديداً على البدع والمبتدعين، توفي بالقاهرة سنة ٧٣٢ هـ.

صفا منهل الصوفي عن علل الهوى فما شابَ ذاك الوِرد من نفسه حظُّ
ووفى بعهد الحب إذ لم يكن له إلى غير من يهوى التفاتٌ ولا لحظُ
محت آيةُ الظلماءِ شمسَ نهاره وقد ذهبتْ منه الإشارةُ واللفظُ

وكان رحمه الله علق هاته الأبيات على قول بن عاشر عند ذكره لما ينتهي إليه الصوفي:

يصير عند ذاك عارفا بربه حرا وغيره خلا من قلبه
فحبه الإله واصطفاه لحضرة القدوس واجتباه

العلاّمة الصاوي رحمه الله[٧٦]

قال العلاّمة الصاوي في شرحه على جوهرة التوحيد[٧٧]: كان الشيخ سيدي ابراهيم اللقاني يعني صاحب الجوهرة من أرباب الأحوال والكشف وأنشد هذه المنظومة عملاً بإشارة الشيخ محمد أعراب.

---

(٧٦) الشيخ احمد الصاوي شيخ الطريقة الخلوتية وأستاذها الأعظم في مصر، كان عالماً عارفاً هادياً مهدياً ومرشداً كاملاً، له تصانيف منها: شرحه على الجلالين وحاشية على الجوهرة، توفي في مصر سنة ١٢٤١هـ رحمه الله.

(٧٧) جوهرة التوحيد منظومة في العقيدة نظمها الشيخ إبراهيم اللقاني رحمه الله بإشارة من شيخه أحمد عرب الشرنوبي وكثرت شروحها حتى عدت بالعشرات وهي أشهر عقيدة في العقيدة الأشعرية ومطلعها:

الحمد لله على صلاته ثم سلام الله مع صَلاته
على نبي جاء بالتوحيد وقد عرى الدين عن التوحيد

الشيخ ابراهيم اللقاني رحمه الله[٧٨]

قال الشيخ إبراهيم اللقاني: لقد شاهدت من الشيخ سيدي محمد أعراب[٧٩] كرامات خارقة للعادة، وسمعت منه كلاماً لم نسمعها من غيره، يعني من مشائخ العلم الظاهر.

فما كان أحد من العلماء الراسخين يجهل فضل التصوف لمكانة رجاله.

العلاّمة إبراهيم الباجوري رحمه الله[٨٠]

قال العلامة الباجوري في حاشيته على جوهرة التوحيد في كلام على التصوف ومقاصده[٨١] والحق أن التصوف ثمرة جميع علوم الشريعة، فتأمل يا حضرة الأخ.

---

(٧٨) أبو الأمداد برهان الدين إبراهيم بن حسن بن علي اللقاني نسبة إلى لُقانة من قرى مصر أخذ عن شيوخ زمانه، كان شيخ التربية في مصر أخذ عنه الكثير منهم ابنه عبد السلام والخرشي والزرقاني والشبرخيتي، له تصانيف نافعة منها: جوهرة التوحيد، وحاشية على مختصر خليل، وبهجة المحافل، توفي منصرفه من الحج سنة ١٠٤١هـ ونقل إلى العقبة ودفن في مكان عالي في أحد البساتين.

(٧٩) والصواب أنه الشيخ أحمد عرب الشرنوبي.

(٨٠) العلاّمة ابراهيم بن محمد الباجوري الشافعي ولد في مدينة باجور سنة ١١٩٨هـ وقدم الأزهر ونهل من علومه وهو ابن ١٤ سنة وتقلد رئاسة الأزهر سنة ١٢٦٣هـ ولم يزل مستمراً على الدراسة مع قيامه بشؤون المشيخة، وكان عباس الأول (الوالي العثماني في مصر) يزوره في درسه فلا يقوم له، كان شديد المحبة لآل البيت، لسانه رطب من ذكر الله وتلاوة القرآن، توفي سنة ١٢٧٧هـ رحمه الله.

(٨١) (١/ ٣٠٧)

وقال في حاشيته على الشيخ خالد الأزهري عند قول الشارح: حملني عليه شيخ الوقت: أهل الطريقة هم السادات الصوفية، والسلوك عندهم العمل بالطريقة الموصلة إلى الله، والحقيقة هي أن يشهد بنورٍ أودعه الله في سويداء قلبه أن كل باطن وظاهر وعكسه وهي باطن الشريعة وملازمةٌ لها، فالحقيقة بدون شريعة باطلة، والشريعة بدون حقيقة عاطلة.

الشيخ الأخضري رحمه الله[٨٢]

تأمل يرحمك الله قول الأخضري ـ إن شئت ـ في نظمه الجوهر المكنونْ في باب المسند إليه منوهاً بشرف طريق القوم بقوله:

يا حبذا طريقة الصوفية تهدي الى مرتبة علية

الشيخ الدمنهوري رحمه الله[٨٣]

قال: في شرحه على الجوهر المكنون: إنما كانت طريقة الصوفية محمودة لأنها توصل إلى المرتبة العالية وهو مقام الإحسان، وهو

---

(٨٢) عبد الرحمن بن محمد الأخضري من أهل بسكرة في الجزائر له متن الجوهر المكنون في البلاغة والتلخيص شرح له، وله مختصر في العبادات على مذهب مالك، له زاوية بُنطيوسْ قرب بسكرة وفيها دفن سنة ٩٨٣هـ.

(٨٣) الدمنهوري شهاب الدين احمد بن صيام ١٦٨٩ـ١٧٧٨ م ولد بدمنهور ونزح إلى القاهرة، جدّ في تحصيل العلوم وأجازه علماء المذاهب الأربعة في الفقه، اشتهر بقوة الحافظة، احترمه الولاة وهابه الكبراء لالتزامه قول الحق، له عدة مؤلفات رحمه الله.

أن تعبد الله كانت تراه، لأن طريقهم عبارة عن صفاء الباطن والوقوف عند الأمر والنهي، فينبغي لكل طالب علم أن يسلكها، فإنه وإن لم يصل إلى غايتها العظمى، وهي معرفة الله جل جلاله، فلا أقل من الدخول في دائرة الورع ورقّة القلب الخ

وهذا هو شان علماء الإسلام، فقلّ أن تخلو مؤلفاتهم من التعريف بالتصوف وذكر مقاصده الجليلة ولو على سبيل الاستطراد.

أبو علي الجرجاني رحمه الله[٨٤]

قال الجرجاني في تعريفاته وهو بصدد حلّ بعض الألفاظ اللغوية ما نصّه: التصوف مذهب كله جدٌّ لا يخلطه شي من الهزل، وقيل نظافةٌ من مخالطة البرية وموافقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدعاوي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة، وإتباع رسول الله ﷺ في الشريعة[٨٥].

---

(٨٤) ابو علي الحسن بن علي الجرجاني من كبار مشايخ خراسان تكلم في علوم الآفات والرياضة والمجاهدة ، صحب الحكيم الترمذي، له كلام نفيس في التصوف.

(٨٥) النص الكامل للجرجاني رحمه الله عن التصوف هو: التصوف الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا فيرى حكمها من الظاهر في الباطن وباطنا فيرى حكمها من الباطن في الظاهر فيحصل للمتادب بالحكمين كمال، وقيل: مذهب كله جد فلا يخلطونه بشيء من الهزل وقيل: تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد صفات البشرية ومجانبة الدعاوى النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واستعمال ما هو أولى على السرمدية والنصح لجميع الأمة والوفاء لله تعالى على الحقيقة واتباع رسول الله ﷺ في الشريعة وقيل: ترك الاختيار وقيل: بذل المجهود والأنس بالمعبود وقيل: حفظ حواسك مع مراعاة أنفاسك وقيل: هو صفاء المعاملة مع الله تعالى وأصله التفرغ عن الدنيا. (التعريفات ١/ ٨٣).

قلت: ومهما كان التصوف عبارة عن هاته الأخلاق التي شأن المؤمن أن يجعلها نهاية آماله وغاية قصده، فجديرٌ بنا أيها الأخ أن نحترم مكانة التصوف، لأن احترامها احترامٌ للدين في الواقع، على أن الجرجاني لم يزد في تعريفاته عما نقل عن علماء السنة في الموضوع.

أبو القاسم النصراباذي رحمه الله[٨٦]

قال أبو قاسم رحمه الله: أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك البدع والأهواء، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات.

العلاَّمة ابن زكري رحمه الله[٨٧]

وقال العلامة ابن زكري في نظم له في تعريف التصوف نقله الشيخ ميّارة في شرحه الكبير:

علم به تصفية البواطن ... من كدرات النفس في البواطن
به وصول العبد للإخلاص ... روح العبادة بالاختصاص
وذاك واجب على المكلف ... تحصيله يكون بالمعرف

قلت: إنما أثبت حضرة الإمام ابن زكري من وجوب تحصيل علم التصوف، لا ينبغي أن يُختلف فيه بين المسلمين مادام أنه عبارة عن

---

(٨٦) إبراهيم بن محمد شيخ خراسان في وقته نيسابوري الأصل والمولد والمنشأ.

(٨٧) الإمام احمد بن محمد المانوي التلمساني، فقيهٌ مالكي أصولي بياني أخذ عنه العلم الشيخ زروق الفاسي له كتب نفيسة كان يضرب به المثل في الذكاء توفي سنة ٨٠٠ هـ رحمه الله.

السير في مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة، إنما المختلف فيه عندهم بين الندب والإيجاب، هو اتخاذ المرشد المستعان به على طريق السير إلى الله عز وجلّ.

الشيخ عبد القادر الأبيري رحمه الله[٨٨]

قال في كتابه سعود المطالع: واتخاذ شيخٍ عالم عارفٍ بعلاجِ النفس الأمارة ودسائسها الخفية يطهر الإنسان من النجاسة المعنوية فرض عين، كما نص عليه الغزالي وابن عبد السلام والسبكي والسيوطي وشيخ الإسلام[٨٩] والناصر اللقاني وزروق من السادات المالكية، وخير الدين الرملي[٩٠] من السادات الشافعية، والحموي[٩١] من السادات الحنفية، والهروي[٩٢] وابن النجار[٩٣] من الحنابلة، لأن ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب[٩٤].

---

(٨٨) لم أعثر له على ترجمة، وإنما نص العلماء على أن سعود المطالع لعبد الهادي الأبياري، ولعله تصحيف، انظر: هدية العارفين للباباني (١/ ٣٤١).

(٨٩) زكريا الأنصاري رضي الله عنه.

(٩٠) نسبة إلى الرملة في فلسطين واسمه أحمد بن أحمد بن الحسن الرملي شهاب الدين الأنصاري الشافعي تلميذ القاضي زكريا بمصر توفي سنة ٩٧٣ هـ له من التصانيف رسالة في شروط الإمامة شرح شروط الوضوء. شرح منظومة ابن العماد في الفقه. فتح الرحمن بشرح الزبد لابن رسلان وغير ذلك. من فقهاء الشافعية كان فاضلاً مبرزاً.

(٩١) احمد بن محمد الشريف الحموي في كتاب (نفحات القلوب).

(٩٢) شيخ السلفية رمي بالتجسيم له كتاب منازل السائرين شرحه ابن القيم.

(٩٣) الحافظ الكبير محب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي ابن النجار له ترجمة في طبقات المحدثين.

(٩٤) إن هذا القول الذي قاله المؤلف رحمه الله تعالى قال به العلماء السابقون والمتوسطون والمعاصرون، ولم ينفرد به واحد، لذا فهو من قبيل الإجماع فمن المتوسطين والمتقدمين ما ذكرهم

وقال الإمام الشعراني: أجمع أهل الطريقة على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال الصفات التي تـمنعه من دخول حضرة الله تعالى بقلبه لتصحّ صلاته، من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولا شك أن علاج أمراض الباطن من حب الدنيا والكبر والعجب والرياء والحسد واجب.

الأمير عبد القادر الجزائري رضي الله عنه[٩٥]

قلت: وعلى القول بالوجوب بنى حديثه جلالة الأمير عبدالقادر الجزائري فـي نظم له مرجعه إلى وجب اتخاذ شيخ التربية:

المؤلف، ومن المعاصرين الذين قالوا به الإمام أبو الحسن الندوي من الهند، والأستاذ الدكتور محمد سعيد البوطي وعامة علماء سوريا، والشيخ يوسف السيد هاشم الرفاعي من الكويت، والشيخ عبد الحي العمروي من المغرب، والشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، ومن الأردن السادة نوح القضاة الذي كان مفتياً للقوات المسلحة لأكثر من عشرين عاماً، فقد أوصى العلماء والمرشدين فـي القوات المسلحة بضرورة اتخاذ شيخ للتربية، ومنهم الشيخ علي الفقير الذي كان وزيراً للأوقاف، ومنهم الشيخ حسن الترابي وغالب علماء السودان، والشيخ علي الجفري والحبيب بن عمر من حضرموت واليمن، وفي تركيا ينتشر التصوف بكثرة وخاصة الطريقة النقشبندية.

(٩٥) الأمير عبد القادر بن محي الدين الحسني الجزائري أمير الثورة الجزائرية ضد فرنسا، ولد بـمدينة المعسكر بمحافظة وهران سنة ١٨٠٨م كان من أعاظم الرجال ذا قوة متميزة تعلوه المهابة الشديدة، متوقد الذكاء قائد عسكري مخضرم ومحنك، نشأ محباً للعلم والفروسية، فطلب العلم حتى تفوّق فـي شتى العلوم من فقه وتوحيد وبيان، ومن جهة أخرى تدرب على شتى أنواع الفروسية، فكان يجيد ركوب الخيل فـيجري مع الفرس ثم يقفز حتى يعلو صهوة الجواد واقفاً ثم يسدد بندقيته للهدف فـيصيبه إصابة دقيقة، كان شديد الرمي بالنبل ماهراً فـي استعمال السيف والرمح، كان ينظم جنده فـي إحدى المعارك وإذ بجندي فرنسي يهجم عليه من خلفه وطعنه غيلة، فحاد عنها الأمير بسرعة بحيث وقع الرمح فـي فضاء إبطه، فشد على الرمح بعضده فلم يستطع العلج تخليص رمحه ثم علاه بسيفه فقدّه نصفـين ووقع السيف على ظهر الفرس فكسره، ثم أنشد قصيدة يمتدح فـيها فعله، ثم بعد مدة وقع فـي الأسر فنفـي إلى فرنسا ويقي مدة أربعة أعوام ثم أخلي سبيله فآثر المقام بدمشق، فأقام بها سنوات ثم رحل إلى المدينة المنورة وأخذ التصوف عن الشيخ محمد الفاسي حتى فُتح عليه فصنف بعدها كتابه المواقف، توفـي بدمشق سنة ١٨٨١م ودفن بجوار الشيخ الأكبر، مخلفاً كتباً قيمة وديوان شعر رحمه الله تعالى.

عجبت لباغي السير للجانب الذي ... تقدس سرا لا يجد به السير
إليه ويلقي نفسه بفنائه ... بصدق تساوى عنده السر والجهر
فيلقى مناخ الفضلِ والفضلُ واسعٌ ... ويلقى فراتاً طاب ورده الصدر
ويلقى جِناناً فوق فردوسها العلي ... وما لجنان الخلد إن عبقت نشر

ثم أقول: إن جميع ما قدمناه من أقوال العلماء ونصوصهم كما تراه متفقة على أن التصوف مما يجب تحصيله على كل مكلف، وأنه عبارة عن تدرج المكلف بمقامات الإحسان، والترقي في معارج خصاله، إذ لا شيء هناك زائد في الدين عن مقام الإسلام والإيمان والإحسان.

العلاَّمة ابن السبكي رحمه الله[٩٦]

قال العلامة ابن السبكي رحمه الله: علوم الشريعة ثلاثة؛ الفقه واليه الإشارة في حديث ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهما بالإسلام، وأصول الدين وإليه الإشارة بالإيمان، والتصوف وإليه الإشارة بالإحسان، وما عدا هذه العلوم إما راجع إليها وإما خارج عن الشريعة، نقله في البراهين القاطعة.

وملخص ما يؤخذ من هاته النقول أن رجال التصوف المحققين هم البقية الباقية التي تمثل ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

---

[٩٦] العلاَّمة عبد الوهاب بن علي السبكي، وهو إبن تقي الدين السبكي الكبير قاضي القضاة وشيخ الإسلام والمسلمين، العالم الجليل صاحب التصانيف المشهورة وصاحب طبقات الشافعية.

محمد بن يوسف الكندي رحمه الله[٩٧]

ومن ذلك تخصيصهم أنفسهم للقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو مما اشتهر عنهم في كل عصر حسبما يستحق الوقت، وكثيراً ما كانوا يغشون الأمراء والملوك في سرادقهم إلى الحث على ذلك، ويشهد لهذا ما يوجد على طريق الاستطراد في الكثير من كتب التاريخ، ذكر أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المتوفى سنة ٣٥٠هـ في كتاب {ولات مصر} في حوادث سنة مائتين: أنه ظهر بالإسكندرية طائفة يسمون بالصوفية يأمرون بالمعروف في زعمهم، ويعارضون السلطان في أمره، فترأس عليهم رجل منهم يقال له عبد الرحمن الصوفي.

ومعنى معارضتهم للسلطان إلزامه بتنفيذ الأحكام الشرعية، ويشهد لهذا ما ذكره المسعودي في مروج الذهب فيما يتعلق ببحي بن أكثم: أن أمير المؤمنين المأمون كان في يوم جالسا، إذ دخل عليه علي ابن الصالح الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين رجل واقف بالباب عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة يطلب الدخول للمناظرة، فعلمت أنه بعض الصوفية، فأردت أن أشير أن لا يؤذن له، ولكن تحدث مع الأمير وخلاً سبيله، فأمر علي ابن الصالح أن يوجه من يتبعه حتى يعلم أين قصد، ففعل ذلك ثم رجع وقال: يا أمير المؤمنين وجدت من يتبع الرجل إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلا في هيأته وزيه، فقالوا: ألقيت الرجل؟

---

(٩٧) المتوفى سنة ٣٥٠ هـ وهو: اول من جمعهم (أي ولاة مصر) في مؤلف مستقل إلى سنة ست وأربعين ومائتين ثم ذيله: أبو محمد: حسن بن إبراهيم بن زولاق بدأ بذكر القاضي: بكار وختم: بمحمد بن النعمان سنة: (٣٨٦) هـ وعليه ذيل للحافظ شهاب الدين: أحمد بن علي ابن حجر المتوفى: سنة (٨٥٢) هـ سماه: (رفع الإصر عن قضاة مصر) ثم ذيله: تلميذه السخاوي.

(يعنون الأمير) قال: نعم، قالوا: فما قال لك؟ قال: ما قال لي إلا خيرا، ذكر أنه ضابطٌ أمورَ المسلمين حتى تأمن سبلهم، ويقوم بالحج و يجاهد في سبيل الله، و يأخذ للمظلوم من الظالم، ولا تتعطل الأحكام، فإذا رضي المسلمون برجل (يعني غيره) واجتمعوا عليه سلم إليه الأمر وصار من رعيته، فقالوا: ما نرى بهذا الأمر بأساً وافترقوا[٩٨].

فتأمل يرحمك الله كيف كانوا يغشون الملوك لتذكيرهم بدون ما تمنعهم سطوة السلطان من قول الحق، و يشبه هذا ما ذكره الكندي أيضا أن الصوفية أتوا القاضي عيسى بن المنكدر وقالوا: إن أمير المؤمنين المأمون قد ولّى أبا إسحاق بن الرشيد مصر، و أننا نخافه ونخشى أن يؤيد أهل العدوان، فيكونوا عوناً لأهل الشر، فاكتب لنا كتاباً إلى المأمون بأنك لا ترضى بولايته، فاقتنع ابن المنكدر برأيهم وفعل ما طلبوا إليه، وبلغ الكتاب المأمون فأحضر أبا إسحاق فقال: ما الذي فعلت في أهل مصر؟

وذكر أيضا: أن عيسى بن المنكدر كان يقرأ، وكانت طائفة قد أحاطت به (يعني من الصوفية) يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فلما ولي القضاء كانت تأتيه وهو في مجلس حكمه فتقول: أيها القاضي ذهب الإسلام افعل كيت وكيت، فيترك مجلس الحكم ويمضي معه، فكلمه إخوانه في ذلك مثل عبد الله الحاكم وغيره فقال: لا بدّ من القيام لله عز وجل بحقوقه.

هذا بعض مما كانوا يُعرَفون به رضوان الله عليهم، قلت: على أن التصوف هو الذي يبعثهم على التلبس بخصال الدين الحميدة ظاهراً وباطنا.

---

[٩٨] مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (٢/ ٤٤).

ومن أجل هذا عرّفه في جمع الجوامع في فن الأصول بكونه: مصفياً للقلوب، وفيه أيضاً عن الغزالي رضي الله عنه أنه: تجريد القلب مما سوى الله واحتقاره.

الجلال المحلي رحمه الله[٩٩]

وهنا قال الجلال المحلي شارح جمع الجوامع، وهو يعني علم التصوف كما قال الغزالي، وقال في حاشية البناني على جمع الجوامع أيضاً: قوله: المصفي للقلوبْ فيه إشارة إلى وجه تسمية الصوفية صوفية، فقد قيل: سُموا بها لصفاء قلوبهم ونقاء آثارهم وقيل: لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة الخ.

العلاّمة ابن صدر الدين[١٠٠]

قال العلامة ابن صدر الدين: التصوف هو علم يُعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم، والأمور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية.

---

[٩٩] الإمام المفتي جلال الدين المحلي المصري من أعيان القرن العاشر من أقران الجلال السيوطي، كان مهاباً من قِبل الكبراء والسلاطين والعلماء، له تصانيف مشهورة مفيدة منها تفسيره للقرآن العظيم.

[١٠٠] غياث الدين منصور ابن صدر الدين محمد الشيرازي المتوفى سنة ٩٤٨هـ.

محمد بن يوسف الكافي رحمه الله

وذكر العلامة الشيخ محمد بن يوسف المعروف بالكافي في كتابه (النور المبين على المرشد المعين) ما نصه بعد كلام: من عَلم هاته الأمور التي سيذكرها الناظم وعمل بمقتضاها حصل له علم يقال لصاحبه عارف بالله، المشار إليه في خبر {من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم} فمن هذا الأثر أخذ الفرق بين الشريعة والطريقة والحقيقة، فالشريعة هي التي شرعها الله على لسان نبيه ﷺ والطريقة هي العمل بالشريعة، والحقيقة ثمرة الطريقة، من فهم حقائق الأشياء والاطلاع على بعض المغيبات التي لا كسب للشخص فيها، إلى أن قال: إن الطريقة عند السادات الصوفية هي العمل بشريعة خير البرية، وظهر أيضا أنه عمل بعلم أو تقول: أنها علم وعمل، وقد تحصل الثمرة وقد لا تحصل، لأن تلك هبةٌ من الله يمنحها من يشاء برحمته، وسلك هذا السبيل الصحابة والتابعون إلا من شذ، ويا له من سبيل لا حرمنا الله من سلوكه.

العلامة أحمد الدردير رحمه الله[١٠١]

قال في كتابه {تحفة الإخوان} بعد أن ذكر جملة من آداب الصوفية رضي الله عنهم: هذا حاصل طريق القوم، وهو طريق مقوّم، كيف ومقصودهم تحصيل تقوى الله لا يدركها غيرهم، كما مهدناه فيما تقدم والتلبس بالآداب المحمدية، فلا عبرة باعتراض المعترضين عليهم مما هو من شأنهم، ولا يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور الخ.

فتأمل قول الفقهاء في الموضوع يرحمك الله فلا واحد منهم إلا وتجده ينزل التصوف في أعلا منازله الذي هو بها أحرى، وهكذا لو تأملت أقوال حكماء الأمة لاستخرجت من ذلك ما يعطيك حقيقة التصوف كيف كانت تتمثل في نظرهم، وأنت تعلم ما هو شأن الفيلسوف الحكيم، لا يرسل نظريته على غير يقين يعتمده في الغالب، هذا في العقليات وكذلك في الشرعيات لا يسمح له ضميره أن يثبت ماله بدون تحقيقٍ أوّله ضميره أن يثبت ماله بدون تحقيق، أو لمجرد تقليد على ما يظهر، ونظرهم في التصوف يتضح مما ذكر.

---

[١٠١] احمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي أبو بركات المصري الأزهري الفقيه المالكي الشهير بالدردير ولد سنة (١١٢٧) هـ وتوفي سنة (١٢٠١) هـ له من التصانيف؛ أقرب المسالك إلى مذهب مالك في شرح مختصر الشيخ خليل في الفروع، تحفة الأخوان في آداب أهل العرفان في التصوف، التوجه الأسنى بنظم أسماء الله الحسنى، الخريدة البهية، رسالة في متشابهات آيات القرآن، رسالة في المعاني والبيان، شرح آداب البحث، شرح رسالة التوحيد من كلام دمرداش، شرح رسالة القاضي عبد الله التاتار في الآيات القرآنية، شرح صلوات السيد أحمد البدوي، شرح ورد كريم الدين الخلوتي، المورد البارق في الصلاة على أفضل الخلائق ﷺ وغير ذلك.

القاضي ابن رشد رحمه الله[١٠٢]

قال في {مناهج الأدلة في عقائد الملّة} عند تمحيصه لطرق الدلالة على الله: الصوفية فطرقهم في النظر ليست طريقاً نظرية أعني مركّبةً من مقدمات وأقيسة، وإنما يزعمون أن المعرفة بالله من الموجودات شيء يلقى في النفس عند تجردها من العوارض الشهوانية، وإقبالها بالفكرة على المطلوب، ويحتجون لتصحيح هذا ظواهر من الشرع كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ البقرة، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ العنكبوت وقوله: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ الأنفال، وأشباه ذلك كثيرة يظن أنها معاضدة لهذا المعنى إلى أن قال: ومن هذه الجهة دعى الشرع إلى هذه الطريقة وحثّ عليها، يعني طريقة العمل.

العلاّمة محمد بن إبراهيم الأنصاري[١٠٣]

قال في {إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد} بعد ما ذكر عدداً من العلوم، فتكلم في علم الهيئة على القدر المشترك بين المسلمين

---

[١٠٢] أبو الوليد محمد بن احمد المالكي شهير بابن رشد، قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها، كان واحد وقته جلالة وفضلاً ونبلاً ونزاهة وحلماً ومعرفة، كان يصوم الجمعة دائماً في الحضر والسفر، له مؤلفات مفيدة منها "المقدمات والبيان والتحصيل" توفي سنة ٥٢٠ هـ بقرطبة.

[١٠٣] محمد بن إبراهيم الأنصاري أبو عبد الله الأشبيلي الجزيري المعروف بابن غصن المالكي النحوي توفي بالقدس سنة ٧٢٣. صنف مختصر الكافي في النحو. معجزات في النحو. معجزات النبي ﷺ.

وغيرهم: ومن المجتهدين في تصفية النفس بالرياضة، وهؤلاء هم النّسّاك، وأكثرهم يصل إلى أمورٍ ذوقية، يكشفها لهم العيان تجلّ عن أن توصف باللسان، فلا يقوم عليها دليل إلا الوجدان، ونسّاك ملتنا هم الصوفية، ولهم آداب شرعية واصطلاحات يشتمل عليها كتاب عوارف المعارف.

الإمام أبو منصور الماتُريدي رحمه الله[١٠٤]

قلت: وممن كان بسط الكلام في معنى الطريقة الموصلة إلى الله الإمام أبو منصور الماتُريدي، ومما قاله: أن هذا الطريق ليست ذات طول وعُرض مثل المساحة التي تسلكها النفوس، وتقطعها بالأقدار، وبحساب قوة النفس وضعفها، بل هو طريق روحاني تسلكه القلوب على حسب العقائد والبصائر الخ نقله عنه الشيخ محمود الكردي في تنوير القلوب لمعرفة علاّم الغيوب[١٠٥].

وهكذا ما من إمام من أئمة الدين أو عالم من علماء المسلمين إلا وتجد له العناية التامة بطريق القوم إما ذوقاً وتحقيقاً وإما إيماناً وتصديقا، إلا من عوّد نفسه التقصير واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، وشأن المؤمن عالي الهمة أن تتطلع نفسه بالطبيعة إلى ما وراء هـذه

---

[١٠٤] محمد بن محمد الماتريدي نسبة إلى ماتريد مسقط رأسه، حنفي المذهب كانت له مناظرات في العقيدة، غالب آرائه في علم الكلام مستمدة من آراء أبي حنيفة، يعتبر الإمام الثاني في علم الكلام بعد أبي الحسن الأشعري، إلا أنه كان يخالف أبا الحسن بإعطاء العقل سلطاناً في الحكم على الأمور بإرشاد الشرع.

[١٠٥] في الجزء الرابع ص١٣٣ الجزء الخاص بالتصوف.

الظروف يستضيء به قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ العنكبوت، على أن المؤمن لا ينفك متشوقاً إلى من ينهض به إلى الله.

الشيخ احمد بن رسلان الشافعي[١٠٦]

قال في نظمه المسمى صفوة الزبد:

مَن نفسُه شريفةٌ أبيّة ... يربأ عن أموره الدنيّة
ولم يزل يجنحُ للمعالي ... يسهرْ في تطلابها الليالي
ومن يكون عارفاً بربه ... تصوّر ابتعاده من قربه
فخاف وارتجى وكان صاغياً ... فيما يكون آمراً وناهيا
فكلّ ما يأمرهُ يرتكب ... وما نهى عن فعله يجتنب
فصار محبوباً لخالق البشر ... له به سمعٌ وبطشٌ وبصر
وكان لله ولياً إن طلب ... أعطاه ثم زاده مما أحب
وقاصر الهمة لا يبالي ... بجهلٍ فوق الجهل كالجهال

---

[١٠٦] شهاب الدين: أحمد بن رسلان المقدسي الرملي الشافعي المتوفى: سنة ٨٤٤ هـ له مؤلفات نافعة منها شرحه على صحيح البخاري في ثلاث مجلدات، وصفوة الزبد في الفقه الشافعي.

الشيخ احمد الحجازي الفشني رحمه الله[١٠٧]

قال في كتاب مواهب الصمد في حل الفاظ الزُّبد[١٠٨] على متن الزبد للشيخ احمد بن رسلان الشافعي تحت عنوان خاتمة في علم التصوف:

التصوف هو؛ العلم المصفي للقلوب، وهو كما قال الغزالي: تجريد القلب لله واحتقار ما سواه، فيرتفع بالمجاهدة عن أخلاقه الذميمة كالكبر والحسد والغضب وقلة الاحتمال، ولم يزل يميل للمعالي المرضية من الأخلاق الحميدة؛ كالتواضع والصبر وسلامة الباطن وحسن الخلق، يسهر في طلب تلك المعالي النفيسة طوال الليالي، فلعله ينال منها كما قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه:

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي
ومن رام العلا من غير كد أضاع العمر في طلب المحال

---

[١٠٧] احمد بن محمد الحجازي الفشني البدري الشريف أعلم أهل زمانه حجة في علوم الشريعة والحقيقة، له ما يقارب الخمسين مصنفاً توفي سنة ١٠٧١ هـ ودفن بالمدينة المنورة بجانب سيدتنا حليمة السعدية رضي الله عنهما.

[١٠٨] ص (١٦٢).

الشيخ العطار رحمه الله[١١٠]

ثم راجع أيضاً إن شئت ما ذكره الشيخ العطار في حاشيته على جمع الجوامع تدرك كيف كان أدبهم في سلوك سبيل الإنصاف مع رجال التصوف، قال رحمه الله: ثم هو أي علم التصوف قسمان؛ قسم يرجع الى تهذيب الأخلاق والتأدب بجميل الآداب كقوت القلوب وإحياء الغزالي، ومؤلفات سيدي عبد الوهاب الشعراني وغيره، فهذا واضحٌ جليٌ يدركه كل من له أدنى ممارسة للعلوم، وقسم مرجع أربابه فيه إلى المكاشفات والأذواق وما يقع لهم من التجليات كمؤلفات سيدي الشيخ محي الدين[١١١] بن العربي والجيلي[١١٢] وغيرهما ممن نحا نحوهما، فهذا من الغوامض التي لا يفهمها إلا من ذاق مذاقهم، وقد لا تفي عبارتهم بشرح المعاني التي أرادوها، بل ربما صدمت بحسب ظواهرها الدلائل العقلية، فالأولى عدم الخوض فيها ويسلّم لأربابها حالهم.

ثم قال بعد كلام: وفي النصيحة الزروقية ما نصه: وأما الفقراء فيسلّم لهم في كل ما لا يقتضي العلم إنكاره وما وجب إنكاره أنكر

---

[١١٠] حسن بن محمد العطار الشافعي شيخ الجامع الأزهر ابو السعادات توفي سنة ١٢٥٠ هـ له حاشية على الجواهر المنظمات في عقود المقاولات للسجاعي. حاشية على لامية الفعال لابن مالك. حاشية على جمع الجوامع في مجلدين. حاشية على السمرقندية.

[١١١] الشيخ الأكبر لسان الصوفية محمد بن علي الحاتمي شهير بابن عربي صاحب التصانيف التي تزيد على سبعمائة منها فصوص الحكمْ والفتوحات المكيةْ وغيرها له كلام دقيق في التصوف لا يفهمه إلا من ذاق طعم شرابهم دفين دمشق وقبر في حي سمي باسمه (محي الدين) توفي سنة ٦٣٨ هـ

[١١٢] عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي من كبار الصوفية له كلام غامض في التصوف، له كتاب الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، توفي سنة ٨٠٥ هـ

عليهم مع اعتقاد كمالهم[١١٣].

---

[١١٣] لمزيد الفائدة اذكر النص الكامل للشيخ زروق رحمه، قال في النصيحة الكافية (١ / ١٩) الفصل الثالث، التسليم للفقراء:

وأما الفقراء فيسلم لهم في كل شيء لا يقتضي العلم إنكاره، وما وجب إنكاره أنكر عليهم، مع اعتقاد كمالهم، إذ لا يبعد أن يكون للولي الزلة والزلات، إذ الأولياء محفوظون، والحفظ يجوز مع الوقوع في المعصية، إلا أنه لا يجوز مع الإصرار عليها، وقد سئل الجنيد رحمه الله تعالى: أيزني العارف؟ فقال: وكان أمر الله قدراً مقدورا، وقال ابن عطاء الله: ليت شعري لو قيل له: أتتعلق همة العارف بغير الله؟ لقال: لا، ولا يُنكّر على الفقراء، إلا محرما مجمعا على تحريمه، ولا يسلم لهم إلا فيما له صورة يباح بها من الأفعال، وقد قال بعض العلماء: ما زال يختلج في نظري أن المجذوب فاقد لعقل التكليف، فكيف تثبت له الولاية حتى فتح الله بأن العقل إن فقد بحقيقة إلهية فله حكم تلك الحقيقة وحرمتها، وإذا فقد بالخيالات الوهمية فله حكمها، وإن كان التكليف ساقطا في الجميع، لفوات عقل المعاش الذي يميز خير الشرين وشر الخيرين. وأنشد بعضهم:

سَبَتدوا لَكَ الأَسرارُ بَعدَ إكتِتامِها ... كَأَنَّ الَّذيب قَد صانها عَنكِ يُخبَرُ
فَسَلِّم لَهُم فالقَومُ أَهلُ عِنايةٍ ... وَجامَلَهُم فالوَصفُ لا يَتَحَقَّرُ
فَإِن كُنتَ في أَذيالِهِم مُتَمَسِكاً ... فَإِنَّكَ طولَ الدَهرِ لا تَتَغَيرِ

وقال ﷺ: (إن لله عباداً من نظر في أحدهم نظرة سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا) وفي حديث: (الذاكرون هم القوم لا يشقى بهم جليسهم). وما أحسن قول القائل مستغيثا بهم:

يا عِبادَ الإِلَهِ إِنَّ عُبيداً ... لاذَ مِن أَجلِكُم بِرُكنٍ قَوي
فاقبَلوهُ بِفَضلِكُم وَارحَموهُ ... وَاشفَعوا فيهِ لِلإِلَهِ العَلي

اللهم إنا نتوسل إليك بحبهم فإنهم أحبوك وما أحبوك حتى أحببتهم، فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك، ونحن لم نصل إلى حبهم فيك، إلا بحظنا منك، فتمم لنا ذلك مع العافية الشاملة الكاملة، حتى نلقاك يا أرحم الراحمين.

الشيخ عبد الهادي بن رضوان[١١٤]

قلت: ونظير هاته التفصيلات ما جاء في كتاب {سعود المطالع} للشيخ عبد الهادي بن رضوان قال بعد كلام: ما يتعلق بالصوفية وأحوالهم، والحق أن الكلام معهم فيه تفصيل، فإن كلامهم في أربعة مواضع؛

أحدها: الكلام على المجاهدات وما يحصل من الأذواق ومحاسبة النفس وغير ذلك مما سلف.

وثانيها: الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب كالصفات الربانية والملائكة وحقائق كل موجود غائب أو شاهد.

وثالثها: التصرفات في العوالم بأنواع الكرامات.

ورابعها: ألفاظ موهمة صدرت من الكثير من ائمة القوم يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات، فأما الكلام في المجاهدات وما يحصل من الأذواق فأمره لا مدفع فيه لأحد، وأذواقهم فيه حجة، والتحقق بها هم عين السعادة، وأما الكلام في كرامات القوم وأخبارهم بالمغيبات فصحيح غير منكر، وإن مال بعض العلماء إلى إنكاره، وما احتج به أبو إسحاق الإسفراييني على إنكار كراماتهم لالتباسها بالمعجزات، فقد فرّق المحققون بينهما بالتحدي، ثم إن وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير

---

[١١٤] عبد الهادي بن رضوان بن محمد نجا الابياري.عالم، أديب، مشارك في أنواع من العلوم.ولد في أبيار من أعمال العزبية بمصر السفلى، وتعلم بالأزهر، وتوفي بالقاهرة في ١٨ ذي القعدة. من مؤلفاته الكثيرة: المواكب العلية في توضيح الكواكب الدرية في نظم الضوابط العلمية، دورق الأنداد في أسماء الأضداد، الوسائل الأدبية في الرسائل الأحدية، القصر المبني على حواشي المغني في النحو، وباب الفتوح لمعرفة أحوال الروح.

مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية، فإنها صفة نفسها التصديق، فلو وقعت مع الكاذب لتبدلت صفة نفسها وهو محال، هذا مع أن الوجود شاهدٌ بوقوع الكثير منها، فإنكارها نوعُ مكابرةٍ وقد وقع للصحابة وأكابر السلف كثير من ذلك.

وأما الكلام في الكشف وإعطاء حقائق العلويات فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه، لما أنه وجدانيٌ عندهم، وفاقد الوجدان بمعزل عن أذواقهم، واللغات لا تعطي دلالة على مرامهم لما سبق، فينبغي أن لا يُتعرض لكلامهم في ذلك، ونتركه فيما تركناه من المتشابه، ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرِمْ بها سعادةً، وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع، فالإنصاف في شأن القوم اعتقاد أنهم على غيبة من الحس، والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه، وصاحب الغيب غير مخاطَب والمجبور معذور، فمن عُلم منهم فضلُه واقتدارُه حمل كلامه على القصد الجميل، كما وقع لأبي يزيد، إلى أن قال: قال العلامة ابن حجر في تحفته[١١٥] من كتاب الردة: ولا أثر لسبق اللسان، وحكاية كفر أو شطح ولي في غيبة، أو تأويله بما هو مصطلح عليه بينهم وإن جهله غيرهم، إذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة عند أهله، فلا يعترض عليهم بمخالفة اصطلاح غيرهم، كما حققه أئمة الكلام وغيرهم، ومن ثم زلّ كثير في التهور على محققي الصوفية بما هم بريئون منه.

---

[١١٥] كتاب تحفة المحتاج في شرح المنهاج تأليف شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٤هـ وهو شرح متن منهاج الطالبين للنووي (المتوفى ٦٧٦ هـ) انظر النص في (٣٨/ ٢٠٨).

الإمام السنوسي رحمه الله[116]

فتأما ـ يرحمك الله ـ هاته الجمل الصادرة من هذا الإمام ثم تأمل ما ذكره الإمام السنوسي صاحب العقائد في كتابه {نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير[117]} كيف كان يستنكر أحوال من يبسط لسانه في الصوفية من غير علم، قال بعد كلام: إني رأيت الهمم قاصرة عن الله وعن طريق الوصول إليه متقاصرة ورأيت شعباً وقواطع عن الله تعالى، وأكثرها الذين يدعون علم الظاهر، إذ هم في حجاب عن الله، أخذوا بظاهر الشرع وتركوا ما كانت عليه بواطن أصحاب رسول الله ﷺ واتخذوا الظاهر عمادا، والإنكار في الباطن وسادا، والتمشدق[118] والتمخرق مهادا، ورفضوا الحقيقة وأسبابها، وحجبوا بالغفلة وفتحوا أبوابها، إذا ذكروا بالحق أنفوا، وإذا قدروا على من ذاكرهم عنّفوا، يتكلمون بالشقائق ويستظهرون بالبوارق، فيغتر بهم الجاهل فيمتثل لهم كل مفتون ذاهل، وهكذا كان رحمه الله يكرر التحذير من أن يبسط الإنسان لسانه فيما ليس له به علم من أحوال الصوفية لأن مراميهم أوسع دائرة من دوائر غيرهم.

---

(116) الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي نسبة إلى بني سنوس قبيلة معروفة بالمغرب ينتهي نسبها إلى الحسين بن علي، كان ممن أظهر الله به الدين وأسس أصوله وتبحر في العلوم كلها وبلغ الغاية القصوى، له تآليف كثيرة تزيد على ٤٥٠ مؤلفاً، كان بداية تاليفه وسنه ١٩ سنة، ولما رآه أستاذه أمره بإخفائه حتى لا تأخذه العين، توفي سنة ٨٩٥هـ وقبره بتلمسان يزار تفوح منه رائحة المسك رحمه الله تعالى.

(117) انظر مقدمة الكتاب ص ١ مخطوط.

(118) التمشدق من شدق هو لغو الكلام من غير فائدة أوعلى سبيل الاستهزاء، والتمخرق من خرق وهو ضرب من الكذب.

الإمام الفيروزآبادي رحمه الله[١١٩]

قال رحمه الله: لا يجوز لأحد أن ينكر على القوم (يعني الصوفية) ببادي الرأى لعلو مرتبتهم في الفهم والكشف، وقال: ولم يبلغنا عن أحدهم أنه أمر بشئ يهدم الدين، ولا نهى أحداً عن الوضوء ولا عن الصلاة، ولا عن غيرها من فروض الإسلام ومستحباته، وإنما يتكلمون بكلام يدق عن الأفهام إلى أن قال: ولكن ما كلّ أحد يتربص إذا سمع كلاماً لم يفهمه يبادر إلى الإنكار على صاحبه "وخلق الإنسان عجولا" نقله في النصرة النبوية.

عبد القادر بن يوسف الفاسي رحمه الله[١٢٠]

تصدر من السادات المتصوفة يستعصى فهمها على العموم فقال: بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله الجواب والله الموفق للصواب: أما أمثال هاته العبارات فمعهودة من كلام أهل الصدق مع الله، الذين طهرت أسرارهم وتكاملت أنوارهم، وحرست بواطنهم من الأغيار فلم تتشبث بها صور الآثار، وكانت محلاً ومظهراً لتنزيلات

---

(١١٩) محمد بن يعقوب الشيرازي ١٣٢٩-١٤٢٥ م ولد بكازرون بجوار شيراز ومات بزبيد، طلب العلم ببلدته وواسط وبغداد ودمشق والقدس واشتغل بالتدريس بها، كان كثير التنقل تولى القضاء باليمن له كتاب القاموس المحيط في اللغة والصلاة والبشر في الصلاة على خير البشر وغيرها.

(١٢٠) من علماء المغرب الذين يشار إليهم بغزارة العلم، مفسر فقيه صوفي ولد بفاس له عدة تصانيف منها: النور المبين والنوازل والأجوبة الكبرى "ولد سنة ١٥٩٨ وتوفي سنة ١٦٨٠م رحمه الله.

الأقدار، ومعلوم عندهم ما يريدون بتلك العبارات، ولكل أهل فن اصطلاحات تدور بينهم فيها الفاظ وكلمات، يعرفها أهلها ويجهلها غيرهم ممن لا خبرة له بها، الى ما جلبه من الادلة في الموضوع والشاهد عندنا في التنصيص على شديد احترازهم وسلامة طويتهم نحو السادات الصوفية رضى الله عنهم، وما كان ذلك منهم إلا لتوفر معلوماتهم في الكتاب والسنة، وعلمهم بأن للقوم سنداً يتصل بصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام.

العلاّمة محمد بيرم الخامس[121] رحمه الله

قال العلامة الشيخ محمد بيرم الخامس مفتي الديار التونسية رحمه الله:

ان هذا الطريق يعني الصوفية له سند متصل بصاحب[122] الشرع عليه الصلاة والسلام فهذا لا شك أنه من أصول قواعد ديننا

---

(121) محمد بيرم الخامس بن مصطفى بن محمد الثالث من بني بيرم، عالم رحالة مؤرخ من علماء تونس، ولد بها وولي بعض المناصب، وسافر إلى أوروبا، ولما استولى الفرنسيس على تونس (سنة ١٢٩٨هـ) هجر بلاده وأخذ يجاهد فيهم بقلمه، فمكث في الأستانة مدة، وانتقل إلى مصر (سنة ١٣٠٢هـ) فانشأ جريدة (الأعلام) يومية، ثم اسبوعية استمرت نحو اربعة أعوام، واحتجبت بتوليه منصب القضاء في محكمة مصر الابتدائية الأهلية (سنة ١٣٠٦) وتوفي بحلوان، ودفن بالقاهرة، أشهر آثاره كتاب رحلته (صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار- ط) خمسة أجزاء، و(تحفة الخواص في حل صيد بندق الرصاص- ط)، و(التحقيق في مسألة الرقيق- ط).

(122) الاتصال بالنبي ﷺ أقسام: منه ما يكون بالنسب الحسي الجسمي بحيث يكون من أبنائه (أي من ابناء الحسن أو الحسين) رضي الله عنهما، أو النسبة الدينية (أي أن يكون مسلماً) ينتسب إلى دين النبي وشرعه، والقسم الثالث: أن يكون منتسباً لأحد الأشياخ الذين أخذوا العلم عن أشياخهم المنتهية أنسابهم في تلقي العلم إلى أحد الصحابة رضوان الله عليهم، وبالتالي ينتهي النسب العلمي إلى رسول الله ﷺ.

المتين، وقد نص العلماء في دواوين علم الحديث وعلم الأصول: أن السند من خصائص هاته الأمة الشريفة المباركة والأصل في ذلك ما قدمناه من أن التشريع خاص بالرسول عليه الصلاة والسلام الى آخر ما استطرده من كون الطعن في السند المتواتر هو طعن في الدين نقله في النصرة النبوية.

وقوله: أن هذا الطريق (يعني طريق الصوفية) له سند متصل بصاحب الشرع عليه الصلاة والسلام ' أي أن الأشياخ الوارثين لهذه الطريق هم ممن تحقق انتسابهم للنبي عليه الصلاة والسلام، إما اتصالاً روحياً أو حسياً أو علمياً، وهذه الأنساب الثلاثة متحققة بأشياخ الطريقة الشاذلية، وهي الطريق التي شرفنا الله تعالى بالانتساب إليها، وكما حققناه من أنساب هؤلاء الأشياخ يرجع نسبهم الحسي إلى الحسن أو الحسين إما من جهة الأب أو من جهة الأم أو كليهما معاً، وهم متصلون روحياً ودينياً بالنبي ﷺ ولله الحمد والمنة، فهم موصولون ومعروفة أنسابهم.

والسند هو سلسلة الرجال الذين يؤخذ عنهم أي علم من علوم الشريعة المطهرة كالحديث وعلم القراءات والتصوف، فإن راوي الحديث مثلاً يرويه عن شيخه المجاز من شيخ تقدمه وهكذا إلى سيدنا رسول الله ﷺ الذي يعتبر أصلاً في كافة العلوم التي بلغنا إياها عن الله تعالى، وأقوى الإسناد مرتبة ما يسمى بالمتواتر، وهو ما يرويه الجمع الذي يؤمن تواطؤهم على الكذب (أي كلهم عدول وثقات) عن جمع مثلم من أول السند إلى منتهاه، وحكم المتواتر كحكم القرآن يكفر منكره. ومعنى قوله طعن في الدين: أي أن الطعن فيمن صحت نسبته إلى رسول الله ﷺ أو كانت نسبته متواترة، فقد جاء في الحديث الصحيح : ثنتان في أمتي هم فيهما كفر، الطعن في الأنساب والنياحة على الميت، فالطعن في النسب كفر على لسان رسول الله ﷺ وشيء آخر: أن نسب الطريق الصوفي وصل إلينا بطريق التواتر، إذ لم يزل مقرراً ومعترفاً به من جميع الأمة على امتداد عصورها، فالذي أنكر هذا المذهب أو طعن فيه فقد طعن بهذه الأمة، ومن هنا قال سيدي محمد الهاشمي وكما نقله عن علماء سوريا: إن الذي يقول بأن التصوف دسيسة يهودية وأمشاج مجوسية جاهل بحقيقة التصوف وبحقيقة الصوفية، بل جاهل بحقيقة الدين بل هو كافرٌ بإجماع، لتنقيصه علماً من علوم الشريعة وجعله دسيسة يهودية، لأن هذا العلم وهو علم التربية والسلوك وصل إلينا من طريق التواتر عن صاحب الرسالة. انظر هذه الفتوى في كتابه مفتاح الجنة ص ٢٤٣.

الشيخ محمد عليش رحمه الله[١٢٣]

وقال الشيخ محمد عليش رحمه الله في فتاويه بعد تنصيصه على وجوب احترام مذهب التصوف ورجاله: قال شيخ مشايخنا بعد كلام: مراد أهل الطريقة مجاهدة النفس وإلزامها بالشريعة والسنة المحمدية في الباطن والظاهر، ولذلك لما سئل الإمام مالك عن شيء من علم الباطن قال للسائل: اعمل بعلم الظاهر يورثك الله علم الباطن، ولكن مستند القوم أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر.

الإمام الشبرخيتي المالكي رحمه الله[١٢٤]

إن هؤلاء السادات الصوفية ذكرهم مشهور بحضرهم فيه العلماء والفقهاء قرناً بعد قرن من قديم الزمان إلى الان، فهم على حال محمود وطريق بالخير معهود، ومن آذاهم فهو مستحق لما في الحديث القدسي من الوعيد {من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب} ومن لم يكن منهم ولياً فهو في حمى الأولياء بحبه لهم ومشيه على طريقهم.

---

[١٢٣] تلقى علومه في الأزهر، ثم اشتغل بالتدريس، كان ممن درّس الشيخ السنوسي ورأى ما عليه من استقلال في الفكر والنزوع إلى الاجتهاد، فأفتى بمخالفته للشرع، لكنه رجع عن فتواه هذه عندما رأى خلاف ذلك.

[١٢٤] برهان الدين إبراهيم بن عطية من أفاضل المالكية بمصر توفي غريقاً في النيل من كتبه شرح مختصر خليل في الفقه.توفي سنة ١١٠٦ هـ.

ابن البنا السرقسطي رحمه الله[١٢٥]

ونظير هذا ما أثبته العلامة بن يوسف التجيبي المعروف بابن البنا السرقسطي في نظمه المسمى بالمباحث الأصلية حيث يقول:

فقادة الصوفي أهل الصفة ... في زمن الرسول فاعلم وصفه
وهم ضيوف الله والإسلام ... وجلساء سيد الأنام
كانوا على التجريد عاملين ... وعن سوى الرحمن معرضين
تخلقوا بخلق النبي ... يدعون بالغداة والعشي
قد فهموا مقتضيات الشرع ... فصيّروا الفرق لعين الجمع
قد خرجوا لله عما اكتسبوا ... فكل صوفي إليهم يُنسَبُ
إذاً فشأن القوم ليس محدثا ... بل كان أحوى فوجدناه غثّا
فاسلك طريق القوم تلق يمنه ... إذِ الكتابُ قيدهُ والسنّه
حجةُ من يرجحُ الصوفيه ... على سواهم حجةٌ قويّه
هم أتبَعُ الناسِ لخير الناس ... من سائر الأنام والأناس

---

(١٢٥) الفقيه الصالح الولي أبو العباس احمد بن محمد بن يوسف التجيبي معرف بابن البنّا السرقسطي نسبة إلى سرقسطة، كان أصل نسبه منها ثم استقر بفاس، لم يكن مشهوراً بين العلماء مع ما له في العلم من قدم راسخ الذي دلّ عليه كتابه المباحث الأصلية والذي يُعتبر من عجائب مدينة فاس قال الشيخ زروق: لم أقف على تاريخ وفاته غير أن الظن أنه قريب العهد وكانت وفاة الشيخ زروق سنة ٨٩٩هـ.

الإمام الشعراني رضي الله عنه

قال الإمام الشعرائي في طبقاته الكبرى: لا يشرف على ذوق أن علم التصوف تفرعٌ من عين الشريعة إلا مَن تبحر في علم الشريعة حتى بلغ إلى الغاية، ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيها أعطاه الله هناك قوة الاستنباط نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء، فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى نظير ما فعله المجتهدون.

وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئاً لم تصرح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولي لله تعالى حكماً في الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه، كما صرح بذلك اليافعي[١٢٦] وغيره، وإيضاح ذلك أنهم كلهم عدول في الشرع اختارهم الله عز وجل لدينه، فمن دقق النظر عَلم أنه لا يخرج شيءٌ من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة وهي وصلتهم الى الله عز وجل في كل لحظة؟! ولكن أصل استغراب من لا له إلمامٌ بأهل الطريق أن علم التصوف من عين الشريعة كونه لم يتبحر في علم الشريعة، ولذا قال الجنيد رحمه الله تعالى: "علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة" رداً على من توهم خروجه عنهما في ذلك الزمان أو غيره، وقد أجمع القوم على أنه لا يصلح للتصدر في طريق الله عز وجل إلا من تبحر في علم الشريعة، وعلم منطوقها وخاصها وعامها وناسخها، وتبحر في لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك، فكل صوفي فقيه ولا عكس، وبالجملة فما أنكر

---

[١٢٦] عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني الشاذلي عالم فقيه له تصانيف مفيدة منها نشر المحاسن الغالية، وروض الرياحين توفي سنة ٧٦٨ هـ وانظ نشر المحاسن الغالية ص٦٣ جواب السؤال التاسع.

أحوال الصوفية إلا من جهلها.

قلت: ومن توفرت فيه الشروط التي ذكرها حضرة الكاتب أو البعض منها، يستطيع استرجاع ما قد يشتبه أمره من كلام المتصوفة إلى نصوص الشريعة، والى ذلك يشير الإمام المقري رضي الله عنه بقوله:

قوم من الصوفية الأعلام وموهم المحذور من كلام
يرجع بالتأويل للمنصوص جريا على عرفهم المخصوص

الشيخ بدر الدين الزركشي رحمه الله[١٢٧]

قال الزركشي: لا تجوز فتوى شخص في القوم إلا بعد تحقيقه لاصطلاحاتهم، ومعرفته بحقائق ألفاظهم، كما لا تُسمَع فتوى الأصولي والنحوي في الفقه تقليداً له إلا بعد غوصه في حقائق الكتاب والسنة، ومعرفته بأصول الفقه لعدم إحاطته وإتقانه لذلك العلم، إذ علم النحو والأصول إنما هما آلة لتحقيق الفقه، لا أنهما عينه فإن فعلا فقد ضلا وأضلا، وذلك من لا معرفة له باصطلاح القوم الخ.

---

(١٢٧) أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله التركي المصري الزركشي المنهاجي كان أبوه بهادر مملوكا لبعض الاكابر، وتعلم ابنه محمد في صغره صنعة الزركش، والزركش كلمة معربة وهي التطريز والتوشيح، ثم حفظ المنهاج في الفقه فقيل له المنهاجي، رحل إلى حلب إلى الشيخ شهاب الدين الادرعي وتخرج بمغلطاي في الحديث وسمع بدمشق وغيرها وأخذ عن الأسنوي والبلقيني وألف تصانيف كثيرة في عدة فنون، ولما ولي قضاء دمشق استعار من سراج الدين البلقيني نسخة من الروضة مجلدا بعد مجلد فعلق ما في الهوامش من الفوائد فهو أول من جمع حواشي الروضة للبلقيني مات بالقاهرة ودفن بالقرافة الصغرى سنة ٧٩٤هـ.

إمام الحرمين رحمه الله[١٢٨]

وكان إمام الحرمين يقول: لو قيل لنا فصّلوا لنا ما يقتضي الكفر ويؤدي الى التضليل من عبارات القوم لقلنا: هذا طمعٌ في غير مطمع، فإنه أمر بعيد المدرك وعر المسلك، يُمَد من تيار بحور التوحيد، ومن لم يحط علماً بنهاية الحقائق لم يحصل من الفكر إلا ما يضره، فيكون كالباحث على حتفه بظلفه، أو كمتلقي النار عن نفسه بأنفه، إذ ربما أراد تكفير غيره فيقع سهمه في نحره.

الإمام النووي رحمه الله[١٢٩]

وفي الجيش الكفيل عن النووي أنه قال: يحرم على كل عاقل أن يسيء ظنه بأولياء الله تعالى، بل يجب تأويل أقوالهم وأفعالهم ما لم يلحق بهم أو يشرب من مشاربهم.

وقال في فرائد الفوائد: قال ابن حجر: والصواب للمعترض أن يقول في عبارته: هذه العبارات تحتمل وجوهاً ويثبتها، ثم يقول: إن

---

[١٢٨] أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني نسبة إلى جوين في نيسابور كان ابوه من العلماء الكبار ولقب بإمام الحرمين لأنه جاور بمكة أربع سنين توفي سنة ٤٧٨ هـ.

[١٢٩] الإمام محي الدين يحي بن شرف النووي نسبة إلى نوى إحدى قرى حوران، عاش يتيماً كان محباً للعلم من صغره تلقى العلوم الشرعية على أيدي علماء الشام، ومكث فيها ستين لا يضع جنبه على الأرض لاشتغاله بالعلم كان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً، عدّه بعض العلماء بمرتبة الإمام الشافعي لكنه لم يدع للإجتهاد ومن ثم أصبح مرجّحاً في المذهب، له مؤلفات جمّة منها : شرح صحيح مسلم، الروضة وشرح المهذب في الفقه، وغيرها توفي في بلده نوى سنة ٦٧٦ هـ ولم يتزوج لاشتغاله بالعلم رحمه الله.

أراد كذا فهو كذا، ولا يقول من أول وهلة هذا كفر وهذا جهل، وخروج عن دائرة النصيحة التي يزعم أنه أرادها، إذ أنه لا يجوز الإنكار عليهم إلا بعد معرفة مدلول كلامهم، ثم معرفة اصطلاحهم، فإن اللفظ المصطلح عليه حقيقة عند أهله فيما اصطلحوا عليه، ثم تطبيق ذلك الاصطلاح على ذلك المدلول، وننظر هل يطابق أم لا، وبحمد الله المنكرون عليهم كلهم جاهلون بذلك إذ ليس أحد منهم أتقن علم المكاشفة ولا شم لها رائحة، ولا أحد منهم ملك زمانه حتى أحاط باصطلاحهم.

وفي الرسالة الخروبية: يجب على الفقيه أن يرفق بنفسه وأن يعلم مقامه في الدين، فلا يمد يده الفارغة الى ما فوق طوره من المقامات العرفانية والأحوال الربانية حتى يذوق مذاقات رجال الغيب المخلصين الأخيار.

العلاّمة المسنوي رحمه الله [١٣٠]

قال العلامة المسنوي: وقد تكلم أبو عبد الله القرشي بما أبهر عقول الحاضرين: فقال بعضهم: من أين لك هذا يا أبا عبد الله ؟ فقال لهم: من الجهة التي اسدبرتموها، ذكره ابن خلكان.

فتأمل يرحمك الله ما كان يُنقل عن علماء السنّة خلفاً عن سلف على اختلاف مراتبهم، ثم انظر كيف تظافرت نقولهم واتحدت على وجوب احترام مذهب التصوف ورجاله، على أني لا أنكر أن يوجد بين علماء الأمة من كان شديد الوطأة على المتصوفة كابن الحاج صاحب

---

[١٣٠] محمد بن احمد بن السناوي أو المسنوي أبو عبد الله.

المدخل، وابن العربي المعافري، وشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيميه، وتلميذه بن القيم، ولكن شدتهم لم تكن تتجاوز حد الانتقاد على معاصريهم من بعض الأفراد الذين لم تتوفر أهليتهم في نظرهم، ويشهد لذلك ما ذكره ابن الحاج في الجزء الثاني من مدخله بعد ما انتقد ما ظهر له انتقاده من أعمال بعض المتصوفة قال: {ولا يظن ظان أن ما تقدم ذكره فيه إنكار لأخذ العهد من أهله لأهله بشرطه المعتبر عندهم، اذ أنه درج عليه السلف الصالح نفعنا الله بهم، ولا ننكر الانتماء الى المشائخ بشروطه[١٣١]}.

فتأمر قوله يرحمك الله إذ عليه درج السلف الصالح، ثم ذكر في الجزء نفسه ما هو أبلغ من هذا فقال في ترجمة فصل التصوف ما لفظه: اعلم أن طريق القوم نظيفة وكل شيء يدنس النظيف[١٣٢].

ابن العربي المعافري رحمه الله [١٣٣]

ومن ذلك ما ذكره ابن العربي المعافري في كتابه {سراج المريدين}: ولقد رأيت في الطائفة (يعني الصوفية) أعياناً أجلة علماً وخشية، وأولياء ذوي كرامات كثيرة يفتخر بها على سائر الملل، وإن كان منهم الغث والسمين والصالح والطالح، نقله في حجة المنذرين.

---

[١٣١] المدخل (٣/ ٣٣٩).

[١٣٢] المدخل (٣/ ٣١٩).

[١٣٣] أبو بكر بن العربي المعافري المالكي صاحب العواصم من القواصم وليس هو ابن عربي الحاتمي الصوفي.

وقد كان ينتمي رحمه الله إلى عدة مشايخ من رجال التصوف، منهم الإمام الغزالي الطوسي وأبو منصور الشيرازي، وكان يستعظم أحوالهم ويعتبر أقوالهم، ومن ذلك واقعته مع أبي حامد الغزالي رضي الله عنه قال: لقيت أبا حامد وهو يطوف وعليه مرقعة فقلت: يا شيخُ، العلم والتدريس أولى لك من هذا، إذ بك يُقتدى وبحكمك إلى معالم المعارف يُهتدى، فقال: هيهات! لمّا طلع قمر السعادة في فلك الإرادة، أشرقت شموس الوصول على مصابيح الأصول، فتبين الحق لأرباب الألباب وذوي البصائر، وكلّ لما طبع عليه راجع وصائر وأنشد:

تركت هوى ليلى ولبنى بمعزل وصرت إلى مصحوب أول منزل
ونادتنيَ الأكوانُ مهلاً فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل
فعرسّتُ في دار الندى بعزيمةٍ وقلوب ذوي التعريف عنها بمعزل
غزلتُ لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد لغزليَ نسّاجا فكسّرتُ مغزلي

وهكذا كان يستفيد (أعني ابن العربي) من شيخه أبي منصور قال: سألت شيخنا أبا منصور الشيرازي الصوفي عن قوله تعالى ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾، البقرة، ما بينوا؟ قال: أظهروا أفعالهم للناس بالصلاح والطاعة.

والملخص من هذا أنه ما كان يرى رجال التصوف بالعين التي رأيتموهم بها أنتم أيها الأخ، وهذا شأن علماء الملة فيما يرجع للتصوف وأهله جزاهم الله عن المسلمين خيرا.

ابن قيّمة الجوزية[١٣٤]

أما ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ فقد يُـنقل عنه أكثر بكثير مما ينقل عن غيره من جهة ما يرجع لاحترام مذهب التصوف ورجاله، ولو لم يوجد عنه إلا هاته الفقرة الآتية لكانت كافية في الموضوع، قال في كتابه شرح منازل السائرين: الصوفية ثلاثة أقسام: صوفية الأرزاق، وصوفية الرسوم، وصوفية الحقائق، وبدع الفريقين المقلدين يعرفها كل من له إلمام بالسنة والفقه، وإنما الصوفية صوفية الحقائق الذين خضعت لهم رؤوس الفقهاء والمتكلمين، فهم في الحقيقة علماء حكماء رؤوس[١٣٥].

فتأمل قوله يرحمك الله: فهم في الحقيقة علماء خضعت لهم رؤوس الفقهاء والمتكلمين، أليست هي قولة شافية وصراحة كافية في إثبات شرف القوم على غيرهم من الفقهاء؟! خصوصاً وقد قالها ابن القيم الذي لا يفوتكم ما له من حدّة الانتقاد، والذي ترجون أن يكون لكم أكبر صاعقة على المتصوفة، لولا أن النتيجة جاءت عن خلاف ما في الآمال، وكان يجمل بنا الاقتصار على ما قدمناه من النقل عن هذا الإمام لولا ما في علمي من أنكم تتشوفون كما يتشوف غيركم إلى ما ينقل عنه بزيادة بسط في الموضوع.

---

[١٣٤] تلميذ ابن تيمية المخلص سجن معه في سجن القلعة حتى مات ثم أخرج من السجن له كلام في التجسيم وسم الأشاعرة بأنهم مخانيث له كلام لا يليق بسوقي فضلاً عن عالم.

[١٣٥] هذه العبارة حذفها محقق الكتاب (حامد الفقي) كما هي عادته في مسخ الكتب وعدم مراعاة الأمانة العلمية.

ولهذا ظهر لي أن أقول لكم أن حضرة ابن القيم زيادة على كونه يحترم مذهب القوم ويجله، فإنه خاض في معانيه وتفنن في معارفه، وشارك في غوامضه، ومن أراد الوقوف على ذلك بنفسه فما عليه إلا أن يتصفح شرحه المسمى بمدارج السالكين على منازل السائرين للإمام الهروي الحنبلي في غوامض التصوف، فإنه أودع فيه من الحقائق الاختصاصية والمعارف اللدنية ما يثبت له حق المشاركة في الفن، ومن ذلك ما ذكره في معنى الفناء عند القوم رضي الله عنهم قال: ليس مرادهم (يعني الصوفية) فناء وجود ما سوى الله في الخارج، بل فناؤه عن شهودهم وحسهم، فحقيقة غيبة أحدهم عن سوى مشهوده بل غيبته أيضا عن شهوده ونفسه، لأنه يغيب بمعبوده عن عبادته، وبمذكوره عن ذكره، وبموجوده عن وجوده، وبمحبوبه عن حبه، وبمشهوده عن شهوده، وقد يسمّى هذا سكراً واصطلاماً ومحواً وجمعاً، وقد يفرقون بين معاني هذه الأسماء، وقد يغلب شهود القلب بمحبوبه ومذكوره حتى يغيب به ويفني به، فيظن أنه اتحد به وامتزج، بل يظن أنه نفسه، كما يحكى: أن رجلا ألقى نفسه بالماء، فالقى المحب نفسه وراءه فقال له: ما الذي أوقعك في الماء؟ فقال: غبت بك عني فظننت أنك أني، وهذا إذا عاد اليه عقله يعلم أنه كان غالطاً في ذلك، وأن الحقائق مشيدة في ذاتها، فالرب رب والعبد عبد، والخالق بائن عن المخلوقات، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، ولكن في حال السكر والمحو والاصطلام والفناء، قد يغيب عن هذا التمييز، ففي هذه الحال قد يقول صاحبها ما يحكى عن أبى يزيد انه قال: سبحاني أو ما في الجبّة الا الله ونحو ذلك الخ.

قلت: ولا شك أن هاته المخارج لا تتسع لها إلا صدور من تشبعت قلوبهم من حسن الظن برجال التصوف، بعد ما سبروا حسن مقاصدهم وسلامة عقائدهم، والذي نراه أبلغ في التماس المخارج مما سبق من حضرة ابن القيم رحمه الله هو؛ تأويله الأبيات الآتيه للإمام الهروي في معنى التوحيد عنده وفيه يقول:

ما وحّد اللهَ من واحد إذ كل من وحّده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده ونعت من ينعته لاحد

فقال في معنى هاته الأبيات: أنه ما وحد اللهَ عز وجل واحدٌ توحيدَه الخاص الذي تفنى فيه الرسوم، ويضمحل فيه كل حادث، ويتلاشى فيه كل مكون، فإنه لا يتصور منه التوحيد إلا ببقاء الرسم، وهو الموحد وتوحيده القائم به، فإذا وحده شهد فعله الحادث واسمه الحادث، وذلك جحودٌ لحقيقة التوحيد الذي تفنى فيه الرسوم وتتلاشى فيه الأكوان، فلذلك قال: إذ كل من وحده جاحد، هذا أحسن ما يحمل عليه، وهكذا كان شأنه وشأن من هو على شاكلته فيما يصدر عن القوم من الكلمات التي يستعصى فهمها على الأكثر من ذوي الإدراكات المستعدة، ولهذا قال رحمه الله في الجزء الثاني من المنازل صحيفة ٦٥: وهذه الشطحات (يعني الصادرة من الصوفية) أوجبت فتنة على طائفتين من الناس:

أحدهما: حُجبت عن محاسن الطائفة ولطف نفوسهم وصدق معاملتهم فأهدروها لأجل هذه الشطحات، وأنكروها غاية الإنكار،

وأساؤا الظن بها مطلقاً، وهذا عدوان وإسراف، فلو كان من أخطأ أو غلط تُرك جملة وأُهدرت محاسنه لفسدت العلوم والصناعات والحكم، وتعطلت معاملتها.

والثانية: حُجبوا بما رأوه من محاسن القوم، وصفاء قلوبهم، وصحة عزائمهم وحسن معاملتهم عن عيوب شطحاتهم ونقصانها، فسَحبوا عليها ذيل المحاسن، وأجروا عليها حكم القبول والانتصار، وهؤلاء مقتدون مُفرِطون.

الثالثة: وهم أهل العدل والإنصاف، وهم الذين أعطوا كل ذي حق حقه، وأنزلوا كل ذي منزلة منزلته، فلم يحكموا على الصحيح بحكم المعلول، ولا على المعلول السقيم بحكم الصحيح.

وما كان بودي أن نبعث لك أيها الأخ على مطالعة هاته النقول، ولانبعث غيرك لولا ما فاجأتمونا به من نقولكم المتضمنة كون الجنيد وعصابته كانوا أحط درجة من الخوارج في نظر كثير من الأئمة، وذلك هو الأمر الذي بعثنا على الاستغراب، ولربما يبعث الغير على تصديقكم مهما كان خالي الذهن مما ينقل عن الأئمة، على أن ابن القيم رحمه الله ينقل عن الجنيد وعصابته خلاف ما حكيتموه أنتم، قال في الجزء الثالث من شرح المنازل صحيفة ٧٦: "رحمة الله على أبي القاسم الجنيد ما أتبعه لسنة الرسول، وما أقفاه لطريقه وطريق أصحابه.

ولاشك أنكم تعتبرون هاته النقول عن ابن القيم من الغرابة بمكان، ولكن الأغرب من ذلك أن الكثير من أبناء العصر يعتقدون في الإمام ابن تيمية أنه على أبلغ ما يكون في تخطئة القوم وتسفيه أحكامهم، وهذا الزعم الفاسد هو الذي دفعهم الى المشي في الأرض

مرحا، حتى إذا أوقفت أحدهم على ما صح من النقول عن الإمام المذكور، أو عثر هو بنفسه على شيء من ذلك مما يخالف ظنه وزعمه على خط مستقيم رجع مبهوتاً خجلاً من سوء ظنه وفهمه، وكان حينئذ مضطراً لأحد أمرين:

۞ إما الرجوع عما كان يعتقده.

۞ وإما ظنه بأن النقل قد اختلف عن الإمام المذكور.

وهاك ما يدل على حسن ظن الإمام المومى إليه في القوم رحمه الله في الموضوع، وأني أرجوك أيها الأخ أن تعطي هاته النقول حقها من الاهتمام، رجاء أن تكون هي الباعث على تحويل معتقداتكم في رجال التصوف، على أن الرجوع إلى الحق أولى من التمادي في الباطل، وهذا مقرر عند العقلاء بإجماع فأقول:

ابن تيمية[١٣٦]

إن ابن تيمية رحمه الله ما كان من عادته أن يجر ذيل الإنكار على مذهب التصوف برمته، ولا عُرف بنظير ما تظاهرتم به أنتم ومن

---

[١٣٦] احمد بن عبد الحليم بن تيمية ولد بحران عام ٦٦١هـ له التصانيف الكثيرة المشهورة، خالف أهل السنة والجماعة بست وستين مسألة، منها تسعة عشر في العقيدة، منها قوله: بقدم العالم النوعي، والحد والجهة لله تعالى، وأنه مستقر على العرش بذاته، وغيرها من المسائل التي كفّره بها كثير من العلماء، ومنها قوله بتحريم زيارة النبي ﷺ وحرمة قصر الصلاة لمن سافر لها، لما منحى الفلاسفة فوقع بكثير من الأخطاء، اشتهر عنه النصب والعداء لآل بيت النبوة، فقد أحصيت له سبعا وتسعين مسألة نال فيها من آل البيت خاصة السيدة فاطمة وسيدنا علي رضي الله عنهما. ولما تكلم بحق سيدنا علي والزهراء، رماه بعض العلماء بالنفاق لقوله عليه الصلاة والسلام لعلي: لا يبغضك إلا منافق، له جرأة على تضليل وتبديع من خالفه.

تقاسمكم في غلطكم، إنما ينتقد بعض كلمات على جماعة مخصوصين، ومع ذلك تجده يلتمس ما يستطاع من الأعذار لرجال التصوف، وهكذا تجده يحرص جهده في طريق حمل ما يصدر عن القوم من الألفاظ المبهمة والمتشابهة على ما ينبغي حمله عليه، وإليكم ما كتبه في كتابه المسمى {بالجواب الصحيح في الرد على من بدل دين المسيح} بعد تمهيده لما يصدر عن الصوفية من الشطحات او الألفاظ والفتاوي الموهمة للحلول والاتحاد قال رحمه الله:

وهذا يكون إما لضعف العقل أو قوة سلطان المحبة والمعرفة، فيغيب الإنسان بمعبوده عن عبادته، وبمحبوبه عن محبته، وبمشهوده عن مشاهدته، وبمعروفه عن معرفته، فيفني من لم يكن عن شهود العبد لا أنه بنفسه يُعدم، ويبقى من لم يزل في شهوده، ومن هذا المقام ما يحكى عن أبي يزيد البسطامي من قوله: (سبحاني أو ما في الجبة إلا الله) وفي هذا تُذكر حكاية وهي: أن شخصاً كان يحب آخر، فألقى المحبوب نفسه في الماء، فألقى المحب نفسه خلفه فقال له: أنا وقعت فلم وقعتَ أنت؟ فقال: غبت بك عني فظننت أنك أني، فهذا العبد المحب لما استولى على قلبه سلطان المحبة صار قلبه مستغرقاً في محبوبه لا يشهد قلبه غير ما في قلبه، وغاب عن شهود نفسه وأفعاله، فظن أنه نفس المحبوب، إلى أن قال: ومن تصور له هذا الأمر تبين له أن لفظ الحلول قد يعبر به عن معنى صحيح وقد يعبر به عن معنى فاسد[١٣٧]

---

[١٣٧] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح دار العاصمة/ الرياض ط١/ ١٤١٤تحقيق: د.علي حسن ناصر، د.عبد العزيز إبراهيم العسكر، د. حمدان محمد، عدد الأجزاء: ٦ (انظر النص (٣/ ٣٣٧).

وقال في معنى الاتحاد الذي قد يؤخذ من كلام الصوفية بعد كلام وتمهيد: إنما العقلاء تتوجه قلوبهم إلى المقصود المراد دون الوسائل ويعبرون بعبارات تدل على ذلك لظهور مرادهم كما يقول لمن يعرف علم غيره ولمن يأمر بأمره ويخبر بخبره: هذا فلان، أي المطلوب هو مع هذا فيعبرون عن أحدهما بلفظ الآخر كما يقال: عكرمة هو ابن عباس وأبو يوسف هو أبو حنيفة، وهذا هو الاتحاد الذي يشير له القوم، ومن هذا الباب ما يذكر عن المسيح عليه السلام أنه قال: أنا وأبي واحد، من رآني فقد رأى أبي، وقوله تعالى فيما حكاه عنه رسول الله ﷺ (عبدي مرضت فلم تعدني، عبدي جعت فلم تطعني) ويشبهه قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ الفتح، فينبغي أن يعرف هذا الكلام فإنه تنحل به إشكالات كثيرة، فإذا كان مثل هذا موجوداً في كلام الله ورسوله وكلام المخلوقين في عامة الطوائف مع ظهور المعنى ومعرفة المتكلم، والمخاطب أنه ليس المراد أن ذات أحدهما اتحدت بذات الآخر، بل أبلغ من ذلك يطلق لفظ الحلول والاتحاد، ويراد به معنى صحيحا، وأطال النفس في ذلك كثيرا، وهذا شأنه في التماس المخارج للسادات الصوفية، وكثيراً ما يشاركهم في أذواقهم ومشاربهم العذبة، قال رحمه الله في الجزء الأول من رسالته الكبرى في صحيفة ٥١: وأما حجة أهل الذوق والوجد والمكاشفة والمخاطبة، فإن أهل الحق من هؤلاء لهم الهامات صحيحة مطابقة كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: قد كان في الأمم محدَّثون فإن يكن في الأمة أحد فعمرْ وكان عمر يقول: اقتربوا من أفواه المطيعين فإنها تجلى لهم أمور صادقة الخ.

قلت: ولا شك أنك ترى هذا عجباً من ابن تيمية، ولكن أعجب منه تقريره لمجالس الذكر المعهودة عند الصوفية، واعتباره لها من السنة بمكان، ومن ذلك ما جاء في المجلد الأول في فتاويه صحفيه[١٨٥] قال: {مسألة[١٣٨]} في رجل ينكر على أهل الذكر يقول لهم: هذا الذكر بدعة وهم يفتتحون بالقرآن ويختتمون بالقرآن، ثم يدعون للمسلمين الأحياء والأموات، ويجتمعون للتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والحوقلة ويصلون على النبي ﷺ.

{الجواب} الاستماع لذكر الله والاستماع لكتابه والدعاء عمل صالح، وهو من أفضل القربات والعبادات في الأوقات، ففي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: إن لله ملائكة سياحين في الأرض، فإذا مروا يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم وذكر الحديث، وفيه وجدناهم يسبحونك ويحمدونك، و أطال النفس، إلي أن قال: وما يحصل عند السماع والذكر المشروع من وجل القلب ودمع العين واقشعرار الأجسام، فهذا أفضل الأحوال التي نطق بها الكتاب والسنة، وأما الاضطراب الشديد والغشي والموت والصياحات، فهذا إن كان صاحبه مغلوباً لم يُلم عليه، كما قد كان في التابعين ومَن بعدَهم، فإن منشأه قوة الوارد على القلب مع ضعف القلب، والقوة والتمكن أفضل كما هو حال النبي ﷺ والصحابة، وأما قسوةً وجفاءً فهو مذمومٌ لا خير فيه[١٣٩].

---

[١٣٨] وهي المسألة (١٧٢) الجزء الأول صحيفة: ٢٢٠، طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان : ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

[١٣٩] ذكر ابن تيمية أن عدم الحركة في الذكر والسماع من صفات اليهود حيث قال: أن ذلك من القسوة، وهذه القسوة هي التي وصف الله بها بني إسرائيل بقوله: ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ' وإنما الحال الصحيح أن يكون اللسان والجسم رطباً من

قلت: لا شيء أبلغ من هذا التلميح بل التصريح من جناب الشيخ، وقد لاح لي أنك عندما تصل إلى هذه النقول الصحيحة وتتأملها بإنصاف ترجع عن سوء ظنك بالقوم رضي الله عنهم، سيما عندما تتأمل هذا النقل الأخير عن شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، لأني أراك في الغالب ممن يجل ويحترم نظريتهما واختياراتهما بما رأيت من احترامهما عند أبناء العصر الحاضر، وها هو قد استبان لك ما قد كنت تجهله في الغالب عنهما في شأن التصوف وأهله، ولم يبق لك إلا أن تقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ الأعراف، وإني على ثقة من كون الرجوع عندكم إلى الحق أولي من التمادي في الباطل حسبما قدمناه، لأنه لم يبق بأيديكم ما يعتمد عليه من النقول إلا ما قد أوردتموه من كتاب تلبيس إبليس، وقد كنا عرّفناكم بقيمة هذا الكتاب فيما قبل، وعلى كل حال فإنها لم تبلغ مبلغ ما قد عرفتموه عن الأئمة وكتبهم المجمع على صحتها، وما حوته من النقول من عهد الأئمة الأربعة إلى ما يقرب من عصرنا هذا، وهو وإن كان يعتبر كافياً ولو عند غير المنصف ظهر لي أن أزيد كم نافلةً مما

ذكر الله فاللسان يذكر والجسم يتمايل طرباً بذكر الله ليوافق الجسم القلب، وهذا هو حال الصحابة فقد أخرج أبو نعيم في الحلية ١/ ٧٦ وابن كثير في البداية والنهاية ٦/٨ عن أبي أراكة قوله: صليت مع علي رضي الله عنه الفجر فلما انفتل عن يمينه مكث وكان عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين، ثم قلب يده فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد فلم أر اليوم أحداً يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفراً شعثاً غبرا، بين أعينهم مثل ركب المعزى (أي من طول السجود) قد باتوا لله سجداً وقياما، يتلون كتاب الله يتراوحون بين جباههم وأقدامهم (أي يصلّون) فإذا أصبحوا مادوا (أي تحركوا في ذكرهم) كما يميد الشجر في يوم الريح وهملت والله أعينهم حتى تبل ثيابهم.

يُنقَل عن نقّاد المتأخرين، وممن اشتهر بالذكر في الخافقين خصوصاً بين أبناء العصر الآخر، كجناب الشيخ محمد عبده رحمه الله، وها أنا الآن أتكلم فيما يخص جنابه لا مِن ناحية كونه ممن يجل مذهب التصوف ويحترم رجاله، بل من ناحية كونه كان صوفياً بأتم معنى الكلمة، ولك أن تقول كان من المتعمقين في الحقائق العرفانية والغوص النهائي، والقدم الراسخ في القول بوحدة الوجود[١٤٠].

---

(١٤٠) وحدة الوجود نظرية قال بها علماء الصوفية، وقد جهل حقيقتها كثير من العلماء مما حدا بهم إلى تكفير من قال بها، ظناً منهم أنها تخالف الشرع المحمدي، ومفهوم العلماء المنكرين لهذه النظرية: أن الله تعالى هو عين مخلوقاته وبهذا القول يصح أن نقول أن هذا القلم الذي اكتب به هو الله، وأن الأشخاص هم عين الخالق وهكذا، وقد استشهد المنكرون بكلام الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي وابن الفارض وابن سبعين وغيرهم، وفي ظني أنه لا يقول بهذا مسلم فضلاً عن كونه ولياً أجمعت الأمة على ولايته، إن القائلين بهذه النظرية صنفان من الناس هما:

* الفلاسفة ومن حذا حذوهم من هذه الأمة الذين شذوا عن مذهب أهل السنة والجماعة وخلاصة قولهم أن الله خلق الخلق من عين ذاته باعتبار أن ذات الله يدخلها التجزئة، وبهذا يعتبرون أن الله جسم يلزمه ما يلزم الأجسام المخلوقة، وقد انقسم القائلون بهذا القول الى ثلاثة أقسام:

٠١ القائلون بوحدة الوجود (أي أن الله عين مخلوقاته) ٠٢ القائلون بالحلول ٠٣ القائلون بالاتحاد .
فالقسم الأول: عندهم أن الحجر والشجر وسائر المخلوقات هي عين ذات الله باعتبار أنها أجزاء من ذاته، وأما القسم الثاني؛ قالوا: إن ذات الله تعالى حلت ببعض مخلوقاته، كما قال النصارى بأن روح الله حلت في عيسى، فصارت عنده صفة إحياء الميت، وشفاء المرضى من الأمراض المزمنة، وهذا -بزعمهم- لا يكون إلا لله، والقسم الثالث: قالوا: إن روح الله اتحدت ببعض مخلوقاته، فصارتا روحا واحدة، وهذه كلها مذاهب فاسدة لا تمت إلى الإسلام بصلة. أما أهل السنة والجماعة يقولون: ما قاله الشيخ عبد الغني النابلسي في كتاب إيضاح المقصود من وحدة الوجود ص٦ وما بعدها: اعلم أن هذه المسألة وهي مسألة وحدة الوجود قد كثر العلماء فيها الكلام قديماً وحديثاً، وردّها قوم قاصرون غافلون محجوبون، وقبلها قوم آخرون عارفون محققون، ومن ردها لعدم فهم معناها عند القائلين بها وفهم منها المعنى الفاسد، فلا التفات لرده كائناً من كان لصده عن الحق.
إن جميع الموجودات كلها على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها موجودة من العدم بوجود الله تعالى لا بنفسها، محفوظة عليها الوجود في كل لمحة بوجود الله تعالى لا بنفسها،

وإذا كانت كذلك فوجودها الذي هي موجودة به في كل لمحة هو وجود الله لا وجود آخر غيره، فهي -أي العوالم- من جهة نفسها معدومة لأنه لا قيام لها بنفسها، وأما من جهة وجود الله تعالى فهي موجودة بوجود الله، فوجود الله ووجودها الذي هي موجودة به واحد وهو وجود الله، وليس المراد بوجودها الذي هو وجود الله تعالى هو عين صورها وذواتها، بل المراد ما به ذواتها وصورها قائمة به، وما ذاك إلا وجود الله، وكون المراد بالوجود ما به كل موجود موجود في القديم والحادث أقرب إلى التحقيق، فإنه لا غنى للموجود الممكن عن الوجود القديم، فوجوده هو وجوده وذات الموجود الممكن وصورته غير الموجد القديم، فهما اثنان، والوجود الذي هما موجودان به وجود واحد، هو للقديم بالذات وللحادث بالغير، فالقديم موجود بوجودٍ هو عين ذات القديم وليس الحادث هو عين ذات القديم، ولا القديم هو عين ذات الحادث، بل كل واحد منهما مباين للآخر في ذاته وصفاته وإن اجتمعا في الظهور.

وقد قال بوحدة الوجود على المعنى الذي قال به الفلاسفة جماعة من الغافلين الزنادقة انتسبوا للتصوف بقصد إخفاء زندقتهم ويقولون بإسقاط التكاليف الشرعية وإباحة المحرمات فقد أشار الشيخ عبدالكريم الجيلي رحمه الله وهو من زعماء الصوفية القائلين بوحدة الوجود في كتابه شرح الخلوة إلى هذا النوع من الزنادقة بقوله: "يا أخي رحمك الله قد سافرت إلى أقصى البلاد وعاشرت أصناف العباد فما رأت عيني ولا سمعت أذني ولا أقبح ولا أبعد عن جناب الله تعالى من طائفة تدعي أنها من كمّل الصوفية وتنسب نفسها إلى الكمّل وتظهر بصورتهم ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر ولا تتقيد بالتكاليف الشرعية وتقرر أحوال الرسل وما جاءوا بوجه لا يرتضيه مَن في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فكيف من وصل إلى مراتب أهل الكشف والعيان ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم في بلاد أذربيجان وشيروان وجيلان وخرار لعن الله جميعهم.

فالله الله يا أخي لا تسكن في قرية فيها واحد من هذه الطائفة لقوله تعالى "واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة" وإن تيسر لك أن لا تراهم ولا تجاورهم، فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم، فإن لم تفعل فما نصحت نفسك والسلام.

قلت: إن أول من عبر عن هذه النظرية هو سيدنا محمد ﷺ حيث قال: إن أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ... ألا كل شيء ما خلا الله باطل .. مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٢٧٢) فعقيدة الصوفية في وحدة الوجود التي تكلم بها الناس هو ما حواه هذا الحديث من معنى، ولا يقولون بشيء خارج عنه، وقد سبق الكلام عن ابن تيمية في هذه النظرية فقال:

وهذا يكون إما لضعف العقل أو قوة سلطان المحبة والمعرفة، فيغيب الانسان بمعبوده عن عبادته، وبمحبوبه عن محبته، وبمشهوده عن مشاهدته، وبمعروفه عن معرفته، فيفني من لم يكن عن شهود العبد لا أنه بنفسه يُعدم، ويبقى من لم يزل في شهوده، ومن هذا المقام ما يحكى عن أبي يزيد البسطامي من قوله: (سبحاني، أو مافي الجبه الا الله) وفي هذا تُذكر حكاية وهي: أن شخصاً كان يحب آخر، فألقى المحبوب نفسه في الماء، فألقى المحب نفسه خلفه فقال له: أنا

على طريقه ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه.

وقبل التنصيص على ذلك أقدم لكم كيف كانت علاقته برجال التصوف من أول مرة.

الشيخ محمد عبده رحمه الله[141]

قال الشيخ محمد رشيد رضا وهو من أخص أتباع الأستاذ محمد عبده في الجزء العاشر من المجلد الثامن من المنار الصادر في ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ: قال الشيخ محمد عبده حاكياً عن نفسه: إن أول

وقعت فلم وقعتَ أنت؟ فقال: غبت بك عني فظننت أنك أني، فهذا العبد المحب لما استولى على قلبه سلطان المحبة صار قلبه مستغرقاً في محبوبه لا يشهد قلبه غير ما في قلبه، وغاب عن شهود نفسه وأفعاله، فظن أنه نفس المحبوب، إلى أن قال: ومن تصور له هذا الأمر تبين له أن لفظ الحلول قد يعبر به عن معنى صحيح وقد يعبر به عن معنى فاسد.

وقال في معنى الاتحاد الذي قد يؤخذ من كلام الصوفية بعد كلام وتمهيد: إنما العقلاء تتوجه قلوبهم إلى المقصود المراد دون الوسائل ويعبرون بعبارات تدل على ذلك لظهور مرادهم كما يقول لمن يعرف علم غيره ولمن يأمر بأمره ويخبر بخبره: هذا فلان، أي المطلوب هو مع هذا فيعبرون عن أحدهما بلفظ الآخر كما يقال: عكرمة هو ابن عباس وأبو يوسف هو أبو حنيفة، وهذا هو الاتحاد الذي يشير له القوم، ومن هذا الباب ما يذكر عن المسيح عليه السلام أنه قال: أنا وأبي واحد، من رآني فقد رأى أبي، وقوله تعالى فيما حكاه عنه رسول الله ﷺ (عبدي مرضت فلم تعدني، عبدي جعت فلم تطعمني) ويشبهه قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنما يُبَايِعُونَ اللَّهَ} (الفتح: ١٠) فينبغي أن يعرف هذا الكلام فإنه تنحل به إشكالات كثيرة، فإذا كان مثل هذا موجوداً في كلام الله ورسوله وكلام المخلوقين في عامة الطوائف مع ظهور المعنى ومعرفة المتكلم، والمخاطب أنه ليس المراد أن ذات أحدهما اتحدت بذات الآخر، بل أبلغ من ذلك يطلق لفظ الحلول والاتحاد، ويراد به معنى صحيحا؟ اهـ ولكن أقول ما قاله الشاعر:

وعين الرضى عن كل عيبٍ كليلةٌ ولكن عين السخط تبدي المساويا

(١٤١) من زعماء حركة الإصلاح الديني في مصر في القرن التاسع عشر أخذ عن الشيخ جمال الدين الأفغاني كان له نشاطات كثيرة مثل انشاء الصحف والتأليف والتدريس.

من استلقاني لطريق القوم هو؛ أن الشيخ درويش (وكان من أقاربه) دفع اليّ كتاباً فيه بعض رسائل تشتمل على شيء من أخلاق القوم ومعارفهم لنقرأها عليه، فدفعته له بعنف، لأني كنت لا أريد القراءة لما تلبسّتُ به من حب الملاهي ورميتُه له، ثم عاودني به وهكذا كان يكرر عليّ الطلب الى أن طاوعته لذلك، ولما أمعنت النظر في الكتاب أخذ بمجامعي الى أن صرت لا أملّ من قراءته، وكان يفسر لي من معارف الصوفية وكثيراً من كلامهم في أدب النفس وترويضها على مكارم الأخلاق، وتطهيرها من دنس الرذائل وتزهيدها في الباطن من مظاهر هذه الحياة الدنيا، ولم يأت عليّ اليوم الخامس إلا وقد صار أبغض شيء إليّ ما كنت أحبه من لعب ولهو وزهو، وعاد أحب شيء إليّ ما كنت أبغضه من مطالعة كتب القوم، وكرهت صور أولئك الشبان الذين كانوا يدعوني الى ما كنت أحب ويزهدونني في عشرة الشيخ، ثم قال بعد ذلك: سألتُ الشيخ: ما هي طريقتكم؟ فقال: طريقتنا الإسلام فقلت: أو ليس كل الناس مسلمين؟ فقال: أو ما رأيتهم يتنازعون على التافه من الأمور؟ أو ما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين بسببٍ أو بغير سبب؟ فكانت هذه الكلمات كأنها ناراً أحرقت ما كان عندي قبل ذلك من المتاع القديم، متاع تلك الدعاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة، متاع الغرور بأننا مسلمون ناجون، وإنا كنا في غمرة ساهين، سألتُه ما وِردُكم الذي يُتلى في الخلوات عقب الصلوات؟ فقال: لا ورد لنا إلا القرآن، نقرأ مع كل صلاة أربعة أرباع مع الفهم والتدبر، فقلت: أنّى لي أن أفهم القرآن ولم أتعلم شيئاً؟ قال: أقرأ معك، ويكفيك أن تفهم الجملة وببركتها يفيض عليك التفصيل، فإذا خلوتَ فاذكر الله على طريقةٍ بيّنها لي، وأخذت

أعمل ما قال لي من اليوم الثامن، فلم تمض عليّ مدة أيام إلا وقد رأيتُني أطير بنفسي في عالم آخر غير الذي كنت أعهده، واتسع عندي ما كنت أعهده، واتسع عندي ما كان ضيقا، وصغر عندي ما كان متسعا، وعظم عندي أمر العرفان والنزوع بالنفس إلى جانب القدس، وتفرقت عني جميع الهموم، ولم يبق لي إلا همّ واحدٌ وهو؛ أن أكون كامل المعرفة، كامل آداب النفس، ولم أجد من يرشدني إلى ما وجهت إليه نفسي إلا ذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد إلى إطلاق التوحيد، هذا هو الأثر الذي وجدته في نفسي من صحبة أحد أقاربي وهو الشيخ درويش خضر من أهالي مديرية (البحيرة)، وهو مفتاح سعادتي إن كان لي سعادة في هذه الحياة الدنيا، وهو الذي كشف لي ما كان غائباً عني مما أودع في فطرتي... الخ.

قلت: وفي ظني أن هذا النقل كافٍ في صحة ما أثبتناه من كون الأستاذ المذكور كان صوفياً حقيقياً، أو تقول كان صوفياً بكل معنى الكلمة: أما معلوماته في مشرب القوم الصوفية فهي تبرهن بنفسها على أن له قدماً راسخاً في معلوماتهم رضي الله عنهم، وإن شئت قلت: كان رحمه الله من المتغالين في إثبات وحدة الوجود على ما يشبه مشرب ابن العربي الحاتمي حسبما قدمناه، وإليك ما جاء عنه في الجزء الثاني من رسالته المسماة {بالواردات} قال ما نصه بعد كلام:

ولنرجع لتحقيق الحق فنقول: أنت تعلم أنه لما لم يكن وجود إلا لذاته[١٤٢] فحقيقتة الحقائق وذاته ذات الذوات، وجميع ما تتوهمه إنما هو من الاعتبار لتلك الذات فلا بد أن تقول: أن علمه عين ذاته[١٤٣] وهو عين علمه بذاته، وهو عالم بجميع شؤونه وأطواره، وأن جميع ما تشرف بالبروز فإنما هو تجلّي ما في العلم، ولكن لضيق ظرف الخارج عن أن يسع المراتب غير المتناهية التي يقتضيها حسبما لكل شيء في ذاته حصل الترتيب في التجليات[١٤٤] فكما أن ذاته واحدة بالذات،

---

[١٤٢] الوجود وجودان: وجود واجب لذاته ووجود جائز لذاته، فالوجود الواجب لذاته (وأعني بالواجب أنه لا يقبل العدم) هو وجود الله تعالى، حيث كان بلا بداية ولا موجد له ولا يفتقر لغيره، وأما الوجود الجائز فهو وجود غير الله من الممكنات، فهو جائز وأعني بالجائز أنه يصح عدمه ووجوده، فمن كان وجوده واجباً فحقيقته وذاته الذوات، أي لاوجود لهذه الذوات المخلوقة ابتداءً بالذرة وانتهاء بالعرش إلا بوجود الله تعالى إذ هي مفتقرة إليه بالوجود، فلولا الله تعالى أوجدها بقدرته لم توجد، ولولا مدد الله تعالى لها بالبقاء لم تبق، فهذا معنى كلامه رحمه الله، وليس ذلك أن ذات الله هي عين ذوات الخلق كما بيناه قبل صفحات عند كلامنا على وحدة الوجود.

[١٤٣] في التحقيق أن الصفة ليست عين الموصوف، فالعلم صفة واجبة لله تعالى، فالعلم ليس هو الله تعالى، وإنما العلم صفة قائمة بالذات، ولشدة التلازم بينهما إذ محال أن يقوم العلم بنفسه، أو توجد ذات الإله بغير علم قال بعضهم أو توهم أن الصفة عين الموصوف، أو أنه عين علمه وعلمه عين ذاته، لأن الصفة دالة على الموصوف لا عين الذات، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ فقوله تعالى: (إلا هو) دل على الذات لا على الصفات، وقوله الحي القيوم دل على صفات قائمة بالذات، والله أعلم.

[١٤٤] قوله وأن جميع ما تشرف بالبروز فإنما هو تجلي ما في العلم، وهو أن الله تعالى يتصف بصفة العلم، ومن صفات العلم القِدم وأنه لم يسبقه جهل وأنه متسع ليسع كل الواجبات والجائزات والمستحيلات، فكل هذه المخلوقات التي نراها والتي لا نراها إنما ظهرت بقدرة الله حيث قال لها: كن فكانت، وان القدرة أبرزت ما خصصته الإرادة على وفق ما سبق في العلم القديم، ولكن لضيق الخارج أي ضيق هذا الكون بالنسبة لعلم الله تعالى المطلق لم يسع كل ما في علم

والكثرة إنما وقعت في عالم التجليات، فهكذا علمه بالكل واحدٌ بالذات، وكثرته في عالم التجليات، فما برز في الوجود إلا ما كمن في العلم الذاتي ولا فصّل إلا ما أجمل فيه[١٤٥] فهو العالم بكل شيء لا يعزب عنه مثقال ذرة فدقق النظر وإياك أن تحجبك الكثرة عن ذات الوحدة، فإن البحر لو علم بذاته فليس يحتاج الى علم آخر يعلم به أمواجه، وهذا قد يوافق وجه قول من يقول: أن العلم قديم ومتعلقه حادث، ولكن قد ضل سواء السبيل فوقع في تيه الأباطيل، وأيضاً يقرب مما يقال: أن للأشياء وجوداً بحسب ذاته ووجوداً في ذات العلة، فتفطن وطبّق إن كنتَ من أهل النظر.

الله، لأن الكون محدود، وكيف يسع المحدود الضيق الكبير الواسع المطلق، فلذلك ظهر هذا الترتيب في التجليات، أي ظهرت هذه المخلوقات على وفق ما نراه، فلو قدّر الله تعالى أن يخلق البشر مثلاً وهو نوع من هذه المخلوقات على هذه الأرض دفعة واحدة من عهد آدم إلى قيام الساعة فهل تتسع لهم؟ وهكذا قل في جميع تجليات أسماء الله تعالى، وهذا من تجليات العلم القديم الإلهي (ومعنى التجلي هو الظهور).

[١٤٥] والمعنى الإجمالي والتقريبي لهذه العبارة أن الله تعالى واحدٌ بذاته (أي لا يقبل التعدد وأن ذاته لا تقبل التجزئة كما هو شأن الحوادث) وأن ما ظهر في عالم التكوين إنما هو في الحقيقة فيض تجليات أسمائه وصفاته، وأنه تعالى واحد في ذاته وأسمائه وصفاته، لكن لتعلق هذه الأسماء بالمخلوقات حصل التعدد في المخلوقات لا في الصفات، فالصفة واحدة وإنما التعدد في ما نتج عنها، ومثال ذلك البحر، فالبحر واحد وهو واسع وكبير، ويصدر عن هذا البحر أمواج متلاحقة جاءت من البحر ولا قيام لها إلا فيه، فالأمواج متعددة والأصل واحد، فإياك أن تحجبك كثرة الأمواج عن وحدة البحر، فكذلك أيها العبد إياك أن تحجبك هذه المكونات الكثيرة المتابعة في الوجود عن وحدة من أوجدها، وإياك أن تغفل بالصنعة عن الصانع، فالوجود صنعة، والله تعالى هو الصانع.

من هنا تعدد فهم الناس لمعنى وحدة الوجود إذ تضيق العبارة أحياناً عن سعة المعنى، فكل ما حاولت إظهارها خفيت، فلا سبيل لذلك إلا الذوق.

وقال في ثبوت الواجب[146] بعد كلام: فإذاً حدوث شيء من العدم الصرف محال، وهذا حكمٌ بديهي قد نبهناك عليه[147] فإذاً جميع ما صدق عليه اسم الممكن محتاجٌ الى علة ليست تلك العلة مباينة له بالمرة، وتلك العلة تنتهي الى مرجع خارج عن ماهية الإمكان، وهو الواجب الحقيقي الذي هو وجود لذاته، وكل مقيد فهو محتاج إليه وهو منتهى التقيدات ومرجعها (إليه يرجع الأمر كله) مع كون المعلول ليس مبايناً لعلته، كذلك هو ليس عين العلة ولكن طور العلة من أطوارها وشأن من شؤونها ولا وجود له الا وجودها فإذا ليس في الوجود الحقيقي الذاتي إلا ذات مطلقة واحدة لا تعدد فيها إلا بتعدد اعتباراتها، ولا تقييد فيها بوجه من الوجوه، وهو واجب الوجود فافهم ليس في الإمكان أوسع من هذا البيان، وتوضيح الواضح مشكل، فالحق بين يديك ظاهر فلا

---

(146) الحكم العقلي ينحصر في ثلاثة: الواجب، والجائز، والمستحيل، فالواجب: هو ما لا يصح في العقل عدمه، والمستحيل: ما لا يصح في العقل وجوده، فالذي يكون عدمه مستحيلا يكون وجوده واجباً وهو الله تعالى وحده، والجائز؛ ما يصح وجوده وعدمه، وهي الحوادث (المخلوقات) فكل ما سوى الله مخلوق، له بداية وله نهاية، وقد تكون له بداية، ولكن لا نهاية له كالجنة وأهلها، والنار وأهلها، وأما المستحيل؛ فهو ما لا يتصور في العقل وجوده، أي أن وجوده مستحيل، وهو الشريك لله، فالشريك يستحيل وجوده، وكل ما في هذا المعنى؛

(147) وهذه النظرية هي التي حدت بابن تيمية أن يقول بتسلسل الحوادث، وأنه لم يزل مع الله مخلوق، والمعنى (والله أعلم) أن الله جلت قدرته لا يخلق شيئا من العدم الصرف، لأن العدم الصرف لا وجود له في علم الله، فالله تعالى لا يخلق إلا ما سبق في علمه، فكل ما أراد الله خلقه يكون مكنوزا في علمه، والإرادة تخصصه، أي أن ماهية هذا الشيء الذي اندرج في العلم القديم من حيث نوعه ووقت بروزه ومكانه وغير ذلك من لوازمه إنما هو من تخصيص الإرادة له، فإذا جاء وقت بروزه أوجدته القدرة، فالإرادة تخصص، والقدرة توجد وفق ما سبق في العلم، فكل ما برز الى عالم التكوين، أو يبرز الآن أو سيبرز مستقبلا كله مندرج في العلم القديم، وعدمه لا يكون صرفا لأنه موجود في علم الله، وإنما العدم لذاته أن تكون بارزة لحيز الوجود.

تشغل نفسك بأباطيل التسلسل[148] فإنها تحتاج الى أوهام ملء الأكوان، ثم قال: تقريب، لا تستبعد أن المعلول شأن من شؤون علته، فإنك لست

---

[148] قوله: لا تشغل نفسك بأباطيل التسلسل... (فالتسلسل) يعني أن هذا الكون مستمر بحكم التوالد الذي لا أول له ولا آخرية، وقد حكم العقل على بطلانه بداهة، ومعنى ذلك: افرض أن المخلوقات ناتجة عن بعضها البعض كالولد ناتج عن أبيه والأب ناتج عن أب تقدمه وهكذا إلى ما لا نهاية بحيث يكون كل واحد علة لما بعده، وكل واحد معلولاً لما قبله، فهذا الفرض باطل بحكم العقل باستحالته، لأن سلسلة المخلوقات الممكنة مهما طالت فإن استمرار طولها لا يخرجها عن كونها ممكنة الوجود، والممكنات التي نتج بعضها عن بعض لا تأثير ذاتي في واحدة منها مهما طالت، ولا واحدة من سلسلة هذه الحلقات أعطت نفسها ولا غيرها الحياة ولا نفت عن نفسها ولا عن غيرها العدم، فلما رأينا بالعين المحسوسة وأدرك العقل أن هذا الكائن أوجد بعد أن لم يكن، ثم راح بعد وجوده تيقن أن ثمة مصدر ذاتي وهبها الحياة والقدرة على الحركة والتطور، وهذا المصدر هو الله تعالى، فإشغال العقل بهذا التسلسل يحتاج الى ملئ الكون من الأوهام.

شيء أخر وهو؛ أن العبد قد انتهى من هذا التسلسل، وأيقن بأن الله تعالى هو الموجد لهذه المكونات، وصار مسلماً عقيدة، فالتسلسل عنده يكون بتعلق النفس بالأسباب، فأنت إذا زرعت شجرة مثمرة في حديقة منزلك، تقوم بالاعتناء بها فتسقيها الماء وتقلم سعفها وتمدها بالسماد اللازم، وهكذا حتى إذا أزهرت تفاءلت بالثمر الكثير الطيب، فقد تثمر الشجرة وتأكل منها وقد لا تثمر، فبالنظر الى السبب تقول: إن اعتناءك بها هو الذي أطعمك الثمر، وأما إذا غبت عن السبب ونظرت المسبب وهو الخالق لها أيقنت أن هذا السبب لا علاقة له بإيجاد الثمر لا من قريب ولا من بعيد، وأدركت بالفطرة قول الله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ فالمسلم يقوم بالأسباب مع اعتقاده أنه لا تأثير لها، ولا يقف عندها، وإنما هو من الحكمة التي أمرنا بها الله تعالى، فاليد تزرع والقلب متعلق بالله وأنه هو المعطي الرازق، وهذا المقام هو الذي أراده المصطفى ﷺ (تعليمه للصحابة) وهو نقلهم من رؤية السبب إلى رؤية المسبب، وذلك عندما أمرهم بعدم تأبير النخل، فبقيت قلوب الصحابة متعلقة ومشرأبة للسبب وهو التأبير وتساءلوا: كيف يكون ثمر بدون تلقيح ؟!! وهو كقولك: كيف يكون ولد بدون أب؟ ولكنهم لو نظروا قدرة الله تعالى التي أوجدت آدم وحواء من غير أبوين، وأوجدت عيسى من غير أب لما أنكروا على النبي ﷺ في ذلك أو استغربوه، فلما كانت رؤية السبب لم تزل موجودة في قلوبهم، مختلجة في ضمائرهم، مشرأبة لها أعناقهم، لم تات النتيجة على حسب ما أراده النبي ﷺ لهم، فأقرهم على الإقامة في الأسباب، ولكن العين التي نظر منها النبي ﷺ هي

تغفل عن كون البيت شأناً لأجزائها واعتباراً من اعتباراتها، والشجرة طورٌ من أطوار الحبة وشأن من شؤونها، والأمواج طور من أطوار البحر، وشأن من شؤونه، وهكذا جميع الأمور، ثم قال: والعجب للمتكلمين والحكماء المقلدين لما عجزوا عن الارتقاء إلى درجة الكمال، كيف اتخذوا العدم سلماً لتطلع الحقيقة، ويزعمون أن هذا تنزيهٌ لحضرته، ولكن نحن نقول: فليس وجود إلا وجوده، وليس وصف إلا وصفه، فهو الموجود وغيره العدم.

قال الأمراء الأولون رضي الله عنهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي: ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله أو بعده أو فيه، كل واحد من هذه الأقوال ينسب لواحد منهم، ولا يقعنّ في وهمك أن هذا قولٌ بالحلول، فالحلول إنما يكون بين وجودين، أحدهما حالّ في الآخر ونحن لا نقول: لا وجود إلا وجوده.

وهذا ما يحسن نقله من جهة إثبات ما أردنا إثباته في الموضوع، وفي ظني أنه لا شي أبين من هذا في كون حضرة المشار إليه كان صوفياً بكل معنى الكلمة، وأما ما يرجع لأفراد المتصوفة في نظر هذا الإمام يتضح لكم بما ذكره في شرحه على مقامات بديع الزمان الهمذاني عند قول المصنف: فلما تجلينا وأخبرنا بحالنا، أسفرت القصة عن

أن هذه الثمرة المسماة بالتمرة التي نتجت عن التأبير وهو التلقيح إنما هي مخلوقة لله، وأنه هو الذي أعطاها هذا الطعم الحلو وهذه القيمة الغذائية العالية، لأن التربة لا تملك أن تجعل التمر حلواً أولذيذ الطعم، فقد يتعدد الطعم واللون والحجم وغير ذلك مع اتحاد التربة، فمن وهبها ذلك؟!! وهكذا قل في جميع الأسباب، فالصوفي هو الذي ينظر قدرة الله في السبب وقبل السبب وبعده وفيه، ومن هنا جاء قول بعض الصحابة: ما رأيت شيئا إلا رأيت الله قبله أو بعده أو عند أو فيه، فهذا ما أراده الشيخ محمد عبده من قوله هذا والله أعلم.

أصل كوفي ومذهب صوفي، قال الأستاذ محمد عبده رحمه الله: والصوفي نسبة الى الصوفية، وهم طائفة من المسلمين همهم من العمل إصلاح القلوب وتصفية السرائر والاستقبال بالأرواح وجهة الحق الأعلى جل شأنه، حتى تأخذهم الجذبات لله عمن سواه، وتفنى ذواتهم في ذاته وصفاتهم في صفاته، والعارفون منهم البالغون إلى الغاية من سيرهم في أعلى مرتبة من الكمال البشري بعد النبوة، وقد تقدم لنا هذا النقل في صدر الكتاب.

العلاّمة محمد رشيد رضا

ثم انظر إن شئت ما ذكره تلميذه العلامة رشيد رضا في الجزء الثاني عشر من المجلد الثاني من المنار تاريخ ١٦ جمادي الثانية سنة ١٣٢٣ قال لي يعني (الشيخ محمد عبده) مرة أخرى: إن بقاء الأزهر متداعياً على حاله في هذا العصر محال، فهو إما أن يعمروا ما يتم خرابه، وإني أبذل الجهد المستطاع في عمرانه، فإذا دفعتني الصوارف إلى اليأس من إصلاحه فإني لا آيس من الإصلاح الإسلامي، بل أترك الحكومة وأختار أفراداً من المستعدين فأربيهم على طريقة التصوف التي رُبيتُ عليها ليكونوا خلفاء لي في خدمة الإسلام.

ولا شك أن بهذا النقل تتجلى لك نفسية الشيخ محمد عبده في أجلى مظاهرها من جهة علاقته بالتصوف، وبالجملة إن رغبتهم في الفن هي التي جمعتهم بالسيد جمال الدين الأفغاني رحمه الله، وهي التي أحدثت تلك الرغبة بينهما في أول الصحبة.

ويشهد لهذا ما ذكره العلامة رشيد رضا في بعض أجزاء المنار من المجلد الثامن قال: وأما ملاقاته (يعني الشيخ محمد عبده) لجمال الدين الأفغاني، أن أحد المجاورين برواق الشام قال له: أنه جاء مصرَ عالم أفغانيٌ عظيمٌ، وهو يقيم في خان الخليلي فسُرّ به، وأخبر الشيخ حسناً ودعاه إلى زيارته معه، فألفياه يتعشى فدعاهما إلى الأكل معه فاعتذرا، فطفق يسألهما عن بعض آيات القرآن وما قاله المفسرون والصوفية فيها، ثم يفسرها لهم، فكان هذا مما زادنا به عجبا وشغفاً وحباً، لأن التصوف والتفسير هما قرة عينه، أو قال: مفتاح سعادته الخ.

قلت: إن هاته التعاليم التي أخذت مأخذها من نفس الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الأفغاني، والتي هي نفس التعاليم التي ثبّتت جذور أصولها في صميم علماء السنة خلفاً عن سلف حسبما تقدم لكم نقله، هي التي تبقي راسخة في قلوب الأشحة على دينهم، مادام للدين جناب يُحترم بين أبناء المسلمين، وهي التي نرى خاصة الكتّاب المعتدلين محتفظين بها إلى الآن، وما كان احتفاظهم بها إلا احتفاظاً بجوهر الدين من أن يلحقة ما يذهب بصبغته أو يمس بجوهره، على أن التصوف عند من حقق مبادئه هو منتزع الجوهر من خصال الدين الحميدة، وممثل للطائفة الروحية، وعلى هذا التعريف تنطبق سائر التعاريف في القديم والحادث، وقد حصل الاكتفاء والحمد لله بما سبق نقله.

ومهما بلغ الأمر من جهة الاكتفاء، لا يمنعنا من استطراد ما يعتبر ذيلاً لكلام الشيخ محمد عبده من أقوال خاصة تلامذته، وأقوال غيرهم ممن اشتهروا بسعة الاطلاع وسيلان الأقلام في عصرنا هذا، ومن أولئك

جناب العلامة رشيد رضى قال في جزء من فتاوى المنار طبع باستقلاله بعد سرد جملة كافية فيما يرجع لكلام بعض الأئمة في معنى التصوف ومكارم خصاله قال: وإنا قد ذكرنا في تاريخ الأستاذ الإمام عين ما ذكره هؤلاء المحققون في بيان حقيقة الصوفية، وزدنا عليهم مسائل مهمة استنبطناها من كتبهم ومن كتب التاريخ، جعلناها في ورقتين مثل المنار، ملخصها؛ أن الصوفية طائفة انقطعت إلى الزهد في الدنيا، والعمل للآخرة برياضة النفس وتربية الإرادة، والأخذ بالعزائم، ومحاسبة النفس، وحسن النية، والمبالغة في العبادة، وغايتهم الوصول إلى تجريد التوحيد، وكمال المعرفة بالله، ثم ادعى حالهم من ليس منهم غشاً وتلبيساً، ولبس لباسهم مع تناقض حاله لحالهم دعوى وتقليداً، وأن رياضة النفس وتزكيتها تثمر للصادق فيها علماً وعرفاناً، سنن الله في الأرواح وأسرار قواها، وأحوالاً وأذواقاً غريبة غير مألوفة ولا معروفة لغير أهلها، منها التأثير بقوة الإرادة في أمور الكون كشفاء مريض، وتنفير من الشر، وجذب إلى الخير، ويسمونه التأثير بالإرادة والهمة، ومنها الغوص على دقائق أسرار الشريعة وحِكَمها، وصفات النفس البشرية وقواها وعللها، ومنها غير ذلك إلى مالا حاجة إلى ذكره هنا.

وقال في صحيفة (٣٩) بعد كلام: لأن أصل طريقهم (يعني الصوفية) تزكيةٌ بالعلم والعمل الشرعيين، مع الصدق والإخلاص، والأخذ بالعزائم ومحاسبة النفس حتى على الخواطر، ومن المأثور المشهور عن أئمة الصوفية قولهم: "التصوف أخلاق فمن زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف" الخ.

قلت: وفي ظني أنه لاشيء أبين من هذا فيما نريد إثباته، وزاد على ذلك حضرة الكاتب ما أثبته للصوفية من تأثير الإرادة وغيرها من الخوارق التي تعتبر عند البعض من أهل العصر الحاضر من الخرافات، ولا مستند لهم في ذلك إلا سوء الظن، وعدم اعتبارهم ما للروح من الكمالات والخصائص الذاتية.

وهذا من حضرة الكاتب أبلغ ما يعتبر في الصراحة، وأوضح ما يتأتى في التعريف.

محمد فريد وجدي رحمه الله[١٤٩]

وقال جناب الفاضل الاجتماعي السيد محمد فريد وجدي في الموضوع:

التصوف: هو مذهبٌ الغرض منه تصفية القلب من غير الله، والصعود بالروح إلى المكانة الرفيعة بإخلاص العبودية لله، والتجرد عما سواه... الخ نقله عنه صاحب الإرشاد إلى سبيل الرشاد[١٥٠].

---

[١٤٩] مفكر مصري ولد سنة ١٨٧٨م اشتغل بالصحافة فأصدر جريدة الدستور اليومية عام ١٩٠٧م اقترن اسمه بعملين جليلين هما "دائرة معارف القرن العشرين" وتقع في عشرين مجلداً و "تفسيره للقرآن العظيم" حرر مجلة نور الإسلام عام ١٩٣٣م وسميت فيما بعد بمجلة الأزهر، توفي سنة ١٩٥٤م رحمه الله.

[١٥٠] زيادة على ما نقله المؤلف رحمه الله عن السيد فريد وجدي عثرنا على بعض كتابات له ما يثبت أنه أنه كان صوفياً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، حيث شاركهم في شعورهم الوجداني، ودخوله إلى ما يسمى بعالم المعاني، فقد نشر في مجلة الحياة تحت عنوان "الوجدانيات" قال بعد كلام معبرا عن نفسه: فأردت يوماً وقد أجهدتني الأعمال أن أسرح في عالم الخيال، رجاء راحةٍ من كدّ الأشغال، واصطياد شاردة أسير بها الأمثال، وأجعلها حكمة في أفواه الرجال، فسددت نوافذ الحس الخمس وقطعت علائق الفكر من عوالم الحس، ثم دخلت إلى ذاتي فسلمت عليها، وقد طال عنها غيابي، وغلظ دونها حجابي، فأطالت عتابي

العلامة مصطفى صادق الرافعي رحمه الله[١٥١]

وقد ذكر العلاّمة الشيخ مصطفى صادق الرافعي كلاماً في كتابه {إعجاز القرآن} يثبت ما له من كبير احترام لرجال التصوف قال: ولبعض المحققين من مشايخ الصوفية دقائق التعبير لم تتفق لغيرهم لسمو أرواحهم ونور بواطنهم.

الإمام السلطان الحنفي رحمه الله[١٥٢]

وهو صاحب المقام المشهور في القاهرة، سمعه يوماً شيخ الإسلام البلقيني يفسر آية فقال: طالعت أربعين تفسيراً فما وجدت فيها شيئاً من تلك الدقائق.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وأخشنت خطابي، وكادت أن تجعل الهجر عقابي، لولا أن أعطيتها من العهود والأقسام بأن لا يقطعني عنها عالم الأجسام، ولو فدحتني النوائب العظام والأمور الجسام، ثم أذنت لي فدخلت إلى عالمها الواسع ومجالها الشاسع، فوجدت فضاء لا يشبه الفضاء، وجواً لا كالأجواء، فما هي إلا معاني تتعرف إلى معاني، ولطائف تتلطف عن الأذهان ولا يكاد يدركها إلا الوجدان...الخ ومن هنا اعتبر التصوف علما يبحث فيما وراء طور العقل، لأن العقل لا متعلق له إلا بالحسيات المشاهدة بالعين، وثم وراء العقل علوم واسعة قد لا يستطيع اللسان التعبير عنها، ولا العقل إدراكها، وما نسبة ما يحصله العقل من العلم إلى هذه العلوم إلا كما يعلمه الطفل الى ما يعلمه الكبير.

[١٥١] كاتب مصري كبير من أعيان كتّاب القرن العشرين، تصدى بكتاباته للغزو الفكري والثقافي الأوروبي لمصر، كما تصدى بقلمه لأعوان المستشرقين من كتّاب العرب معاول الهدم لبناء الإسلام، له كتب جمّة منها: فجر الإسلام، ضحى الإسلام، من وحي القلم وغيرها، رحمه الله.

[١٥٢] هو الفقيه العلاّمة الكمال بن الهمام صاحب كتاب الدر المختار في الفقه الحنفي رحمه الله.

الشيخ عبد المجيد الشرنوبي رحمه الله[١٥٣]

قال العلاّمة عبد المجيد الشرنوبي في شرحه لتائية السلوك: إعلم أن طريق الصوفية هي طريق الأبرار، ولم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، فإنه لما فشا الاقبال على الدنيا اختُص المقبلون على العبادة باسم الصوفية، فلما كُتبت العلوم ودوّنت، وألّف الفقهاء الفقه وأصوله والتوحيد والتفسير وغير ذلك كتب رجالٌ من أهل هذه الطائفة في طريقهم، فمنهم من كتب في أحكام الورع ومحاسبة النفس في الأخذ والترك، ومنهم من كتب في آداب الطريق، ومنهم من جمع بين ذلك كله.

وهنا يجمل بنا الاقتصار في النقل عن هؤلاء المشاهير من كتّاب العصر الحاضر زيادة على ما قدمناه من علماء بقية العصور، لأن فيه الكفاية وجرياً على قولهم: {يكفي من الغل ما أحاط بالعنق} وإلا فالواقع يترجم على أن سائر مَن عاصر هؤلاء المشار إليهم من علماء طبقاتهم مطبقون على احترامهم لمذهب التصوف ورجاله، وكثيراً ما كانت تتظافر فتاواهم، وتتحد في الحكم بالزيغ على من استنقص مذهب التصوف، أو تظاهر بالإذاية لأهله، ولو تتبعنا ذلك لطال بنا الحديث.

---

[١٥٣] أبو محمد عبد المجيد الشرنوبي الأزهري العلاّمة المحقق العمدة صاحب التآليف، أخذ عن جملة من علماء الأزهر، ولد في شرنوب التابعة لمركز دمنهور بمديرية البحيرة بمصر، وعيّن بدار الكتب الأزهرية، له مؤلفات منها ما كان شرحاً على متن، ومنها ما كان اختصاراً لمؤلف، توفي سنة ١٣٤٨ هـ رحمه الله.

وقد نص على ذلك كثير من المؤلفين، ومن جملتهم صاحب: النصرة النبوية[١٥٤] فقد جمع في كتابه جُملاً كافية ونقولاً كثيرة من ذلك النوع، تختص بعلماء مصر ونواحيها، وكذلك علماء تونس، لم يشتهر عنهم إلا الذب عن مذهب التصوف بكل ما في استطاعتهم كبيرهم وصغيرهم، ويكفينا دليلاً على ذلك ما كتبوه في هذا العصر الأخير من تقريظاتهم لكتاب {السيف الرباني} لخير المتأخرين المكي بن عزوز[١٥٥] رحمه الله، وفيه الذي كان ينافح عن الإمام الجيلاني، رداً على من كان يحاول تنقيصه من جهة النسب والمشرب، وقد توافر عدد الكتّاب في ذلك إلى ما يزيد عن الأربعين عالماً ممن يُرجع إليهم في المعضلات من علماء تونس جزاهم الله خيرا[١٥٦].

العلاّمة النسيب محمد الأخضر

ومن أولئك الأجلة العلاّمة النسيب الشيخ محمد الأخضر نجل سيدي الحسين التونسي منشأً، المصريّ مهجراً، فإنه ذيّل الكتاب بقصيدة عصماء ومما قاله في معرضها:

---

[١٥٤] هو الشيخ مصطفى إسماعيل حبش المدني/ مطبعة العامرية بالقاهرة/ ١٣١٦هـ.

[١٥٥] محمد المكي بن مصطفى بن عزوز، أصل عائلته من قرية تسمى البرج بواحة العرق الشمالي من الصحراء الكبرى، عائلته مشهورة بالورع والصلاح والتدين، ولد سنة ١٢٧٠ هـ تعلم في جامعة الزيتونة، ودرس العلم على علماء تونس، فكان معدوداً في النوابغ، كان ذا موهبة فذّة وذكاء نادر، لذا نشأ نشأة العلماء، فرحل إلى الجزائر ليلتقي بعلمائه فعاد مصبوغاً بصبغة التصوف، توفي سنة ١٣٣٤هـ مخلّفاً مجموعة نفيسة من التآليف والرسائل رحمه الله تعالى.

[١٥٦] إن أردت المزيد فعليك بكتاب الحلل السندسية في الأخبار التونسية لأبي عبد الله محمد الأندلسي الشهير بالسراج الوزير رحمه الله.

أيا حبذا التأليف عقداً مرصّعاً تهلل من حلْيِ الجواهر والدرر
أيا حبذا سيفاً يزينُ نجادَه طرازٌ لعمري ما بدا سالف العصر
أيا حبذا روضاً غدا اليوم مثمرا عرائس أفكارٍ تبدت عن الخدر
ألا فارتشف كأس المدامة واقتطف من أزهاره زهر الرُّبا طيّب النشر
هو الرشد لا تجنح لقول معنّف عليه انثنى خبث اللآمة بالشر
فتعساً له هلاً وقى دينه ويكى عليه كمبكى أخت صخر على صخر[١٥٧]
يحاول أن يُطفي سنا الشمسِ بثسما نحاه لقد خابت مقاصد ذا الغمر

قلت: وهذا قليل من كثير مما يُنقل عن علماء تونس وعلماء مصر وغيرهما من مدن الإسلام، أما ما يخص المغرب الأقصى فإنه قلّ أن يوجد فيه من يخطر بباله أو يختلج بضميره وجود من ينتقد مذهب التصوف أو ينتقص أهله، ولو بقليل من اللفظ ما دام يحشر نفسه في دائرة أهل السنة.

على أني لا أنكر أيها الأخ وجود من يستحق الإنكار عليه من المتداخلين بين أفراد الصوفية، وما أكثر عددهم !! ولو أنكم اقتصرتم على تلك الطبقة لكنتم ارتكبتم السلامة وأحسنتم لأنفسكم، ولنا أيضاً

---

(١٥٧) أخت صخر هي تماضر بنت عمرو بن الحارث السلمية شاعرة بني سُلَيم المعروفة بالخنساء أشهر شواعر العرب على الإطلاق من نجد، وفدت على النبي ﷺ مع قومها، فكان النبي يستنشدها ويقول: هيه يا خنساء، أكثر شعرها كان في المراثي، رثت أخويها (صخر ومعاوية) ويكتهم عاما أو يزيد، استشهد لها أربعة من الولد في القادسية فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم في سبيله، لها ديوان شعر عاشت في الإسلام عشرين سنة.
ومقصود الشاعر من هذا؛ أنه ينبغي لهذا الشقي الذي أنكر على الأولياء والذاكرين وأنكر نسب الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه المتصل بسيدنا الحسن بن علي أن يبكي على نفسه أكثر من بكاء الخنساء على أخويها، وهلا وقى نفسه من هذه البليات التي تؤدي به في الآخرة إلى النار وربما تخلده فيها، لأن الطعن في الأنساب من الكبائر قال عليه الصلاة والسلام (اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت) رواه مسلم.

بوجه خاص، إنـما الذي أساءنا منكم هو استرذالكم مذهب القوم من أصله، والقول بتنقيص رجاله بدون استثناء، وذلك هو الذي دفعنا إلى استجلاب هاته النقول عن أئمة الدين، والخاصة العليا من الموحدين، على نيّة تقديمها بين أيديكم كشفيعٍ أو شاهدِ عدلٍ يقوم عندكم مقام الـحُجة الصريحة فـي تبرير ساحة الصوفـية مما تُوهم إلصاقه بهم، وعلى الأقل من ذلك تبعثكم هاته النقول على أن تنظروا إخوانكم الصوفـية من أفراد عامة المؤمنين الذين يـجب علينا وعليكم احترام كل فرد منهم على حدته، قال عليه الصلاة والسلام: (من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله فـي ذمته[١٥٨]) رواه البخاري وغيره، رضي الله عنهم.

وهذا آخر ما نستلفتكم إليه مما يـجب علينا وعليكم العمل به[١٥٩] راجياً من الله أن ينفعني وإياكم بخصال الدين التي من أهمها حسن الظن بالله وبالمسلمين.

---

[١٥٨] رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه (١/ ١٥٣).

[١٥٩] ومما يـجب على جماعة المسلمين أن يعملوه والذي أشار إليه المؤلف رحمه الله: هو الوقوف صفاً واحداً متراصاً ضد الغزو الصهيوني والصليبي، وخاصة الفكري منه، لأنه من أخطر أنواع الغزو، حيث يترك المسلم أجوف لا خير فيه، بل قد يصل به الأمر إلى أن يصبح معول هدم بيد الكفار ليهدموا فيه صرح الإسلام الشامخ، وهذا ما نراه اليوم من الفئة المسماة بالسلفية أو الوهابية، حيث فرّغ منهم الفكر والتفكير، وأصبح غاية ما يعرفونه من الدين: إفعل أو لا تفعل، وقد وصل بهم الأمر إلى طرح الجانب الفكري والتربوي في الإسلام، فأنكروا كل شيءٍ فيه، واعتبروه دخيلاً على الإسلام، فراحوا يحاربون الأولياء والعلماء، وأخذوا يفكون عُرى الإسلام عروة عروة، باسم الرجوع إلى سيرة السلف، وهذا من أخطر المعاول التي رمي بها الإسلام، وخاصة أنه جاء ممن ينطق بلساننا ومن أبناء جلدتنا، بل إنهم أشغلوا الأمة بالمتشابه من النصوص، كمسألة الاستواء والنزول، وتجسيم الله تعالى، وأنه بصورة الإنسان، وأن لله جوارح وأعضاء كاليدين والرجلين والجنب والعين وغيرها، فتركوا ما لابد منه من الأمور

الفقهية التي ترتبت عليها صحة العبادة وأخذوا بهذه المتشابهات، وكفّروا كل من لم يعتقد عقيدتهم ومن أهم الأدلة التي تدعم صحة ما نقوله:

٠١ أنهم تركوا صنوف المنكرات في الأسواق وغيرها من الأماكن العامة وأخذوا يحاربون بكل جهدهم أموراً فرعية من جزئيات هذا الدين كسنة الجمعة القبلية، واتخاذ السبحة، والاجتماع في ذكرى مولد النبي ﷺ والتسبيح بعد الصلاة...لكنا نراهم يقيمون الاحتفالات الكبيرة تعظيما لرؤسائهم، فيقيمون احتفالا في يوم ميلاد زعيمهم محمد عبد الوهاب في الرياض، ويستمر مدة أسبوع، ينشرون فيه كتبه، ويقيمون الخطب الرنانة في مدحه، كما يقيمون الاحتفالات الكبيرة في عمان في ذكرى الألباني، وينفقون الأموال الطائلة في ذلك.

٠٢ إنكارهم التوسل بالنبي ﷺ والأولياء والاستغاثة بهم، وعكس ذلك إصدارهم الفتاوى بجواز التوسل والاستغاثة بالكفار والصليبيين لضرب المسلمين، كما فعلوه مع العراق .

٠٣ إنكارهم على بعض شيوخ التصوف بعدم التعرض للجهاد في مؤلفاتهم كالغزالي في الإحياء، ولكنهم يصدرون الفتاوى بحرمة التعرض لليهود من قِبل الفلسطينيين، وحرمة مكوث أهل فلسطين في بلادهم تحت سيطرة اليهود، وإنما يجب تخلية فلسطين لليهود ومن ثم تنظيم الصفوف وبعدها يعودون فاتحين، وهذه الفتوى صدرت عن كبراء علمائهم الملقب بمحدث الديار الشامية، ووافقه عليها أتباعه، وهذه الفتوى هي عين ما أفتى به غلام ميرزا قادياني في باكستان أثناء الاستعمار البريطاني لها.

٠٤ قولهم بعدم تعظيم النبي ﷺ والأولياء والأشراف من آل البيت، وأن ذلك مما يفضي إلى الشرك، ولكنا نرى منهم عكس ذلك، فهم يسبغون أفخم الألقاب على علمائهم المتقدمين منهم والمعاصرين، فيقولون عن ابن تيمية مثلا :(شيخ الاسلام، علم الإسلام الخالد،) وعن غيره: (محدث الديار الشامية) وعن محمد عبد الوهاب: (المجدد) حتى وصل بهم التعصب للتطاول على مقام النبوة، فقد قال لي واحد منهم: إن شيخ الإسلام ربما يكون أفضل من (٠٠٠) ﷺ وذلك بعد أن سمع على قناة المستقلة مناظرة بين الشيخ حسن السقاف وبعض علمائهم، وسمع تكفير السقاف لابن تيمية، فاستخفه الشيطان، وفاه الشقي بما يخرجه من الملة، نسأل الله السلامة في الدين والدنيا، كما نرى منهم تعظيماً للكفار والصليبيين، والذي تجلى باحترامهم لهم بدعوتهم لهم الى بيوتهم، وعمل الحفلات الكبيرة استقبالا لهم، وتسمية أولادهم بأسماء رؤسائهم، والدعاء لهم في المساجد، وأن ينصرهم على المسلمين كما حصل في الكويت مؤخراً .

٠٥ نبزهم الصوفية وعلمائهم بأقذع الألقاب، وكما رأينا خلال هذا الكتاب، وهو سبب تأليفه، ويروجون للغير أن الصوفية قابعون في الزوايا ولا يعرفون الجهاد، ومن ثم يقولون عن شيخهم ابن تيمية أنه مجاهد كبير، وهو الذي قاد المعركة ضد التتار، والتحقيق أن الصوفية هم

الذين ما خلت منهم معركة في غابر عصور الإسلام، ومن الأمثلة على ذلك:

- اشتراك شيخ الطريقة أبي الحسن الشاذلي في معركة المنصورة ضد الصليبيين، رغم ذهاب بصره، جاء في طبقات الشاذلية (للدكدكجي) وشذرات الذهب (٥/ ٢٧٩) في كلامه على وفيات سنة (٦٥٦)هـ: (وفيها الشاذلي أبو الحسن المغربي الزاهد، حجة الصوفية، شيخ الطريقة الشاذلية، كان ضريرا، اشتغل بالعلوم الشرعية، قدم اسكندرية من المغرب، وصار يلازم ثغرها من الفجر الى المساء) .
- كما جاء عن خليفته أبي العباس المرسي أنه كان من المشتركين في هذه المعركة، انظر النجوم الزاهرة (٧/ ٣٧١).
- ومنهم الإمام القشيري: يقول ابن خلّكان في ترجمة الإمام القشيري ٣/ ٣٩٤: كانت له في الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء.
- ومنهم الإمام العز بن عبد السلام تلميذ أبي الحسن الشاذلي قام بدور كبير في التحضير لمعركة عين جالوت ضد التتار، وشارك في الاجتماعات مع السلطان والقادة وحثهم على ملاقاة التتار، وكرامته مشهورة، جاء في طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب السبكي: (٨/ ١٠٩): وكانت الفرنجة قبل ذلك وصلوا إلى المنصورة في المراكب، واستظهروا على المسلمين، وكان الشيخ (العز) مع العسكر، وقَويت الرّيح، فلما رأى الشيخ حال المسلمين، نادى بأعلى صوته مشيرا بيده إلى الريح: يا ريحُ خذيهم، عدة مرارٍ، فعادت الريح على مراكب الفرنج فكسّرتها، وكان الفتح، وغرِق أكثر الفرنج، وصرخ من بين يدي المسلمين صارخ: الحمد لله الذي أرانا في أمة محمد رجلا سخّر له الريح.
- أما عبد الله بن المبارك؛ فيذكر لنا البغدادي في تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٧): خرج ابن المبارك من بغداد يريد المصيصة، فصحبه الصوفية فقال لهم: أنتم لكم أنفس تحتشمون ان يُنفَق عليكم، يا غلام هات الطست، فألقى على الطست منديلا ثم قال: يلقى كل رجل منكم تحت المنديل ما معه، قال: فجعل الرجل يلقى عشرة دراهم، والرجل يلقى عشرين، فانفق عليهم إلى المصيصة، فلما بلغ المصيصة قال: هذه بلاد نفير، فنقسم ما بقي، فجعل يعطى الرجل عشرين دينارا، فيقول: يا أبا عبد الرحمن إنما أعطيت عشرين درهما!! فيقول: وما تنكر أن يبارك الله للغازي في نفقته.
- انظر ما كتبه فارس البيان الأمير شكيب أرسلان على هامش كتاب حاضر العالم الإسلامي عن دور الطرق الصوفية في الجهاد ضد الاستعمار في إفريقيا، وخص بالذكر منها الطرق التالية: الشاذلية القادرية والسنوسية والرفاعية، وكيف تصدوا للغزو الفكري في قلب إفريقيا، حتى اعترف الغرب صراحة أن هذه الطرق قد وقفت سداً

منيعاً ضد تنفيذ مخططاتهم في القارة السوداء، والأمثلة على ذلك كثيرة، لكنا لم نجد ولو سلفياً أو وهابياً واحداً خاض غمار معركة ضد الكفار، ودعوى السلفية أن شيخهم ابن تيمية قاد المعركة ضد التتار لهو محض كذب وتدليس، لأن ابن تيمية ولد سنة ٦٦١هـ ومعركة عين جالوت كانت سنة ٦٥٨هـ أي أن المعركة وقعت قبل مولده بثلاث سنوات، أما ما جاء عن وقعة {شقحب} ودور ابن تيمية فيها، فالمغول حينذاك كانوا مسلمين، يروي لنا الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٤/٢٣) حول هذه الواقعة فيقول: وقد تكلم الناس في كيفية قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو، فإنهم يظهرون الاسلام وليسوا بغاة على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه فقال الشيخ تقي الدين: (أي ابن تيمية) هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على علي ومعاوية، ورأوا أنهم أحق بالامر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين، ويعيبون على المسلمين ما هم متلبسون به من المعاصي والظلم.

فالداعي لهذه المعركة هي ظروف سياسية بحتة لا دينية، ألا وهو التنازع على السلطة، وأما المغول فعابوا على المسلمين انتشار الظلم والمعاصي بينهم، وخروجهم عن كثير من تعاليم الإسلام، ولما كان ابن تيمية من علماء السلاطين أفتى بقتال المغول المسلمين مدعياً أنهم من جنس الخوارج، لا أنهم خوارج، وهكذا سار خلَفه من بعده بهذه الفتوى، حيث أعطوا الفتوى لسلاطينهم بضرورة الاستعانة بالصليبيين ضد المسلمين في العراق لأن الحاكم بعثي.

والمحقق في التاريخ الذي لا يقبل النقد أن هذه الفئة المسماة بالوهابية إنما سلت سيفها في وجه المسلمين في الجزيرة العربية، فقتلت منهم في المساجد وخارج المساجد ٢,٥ (مليونين ونصف) حتى قضى عليها محمد علي باشا رحمه الله وقد شردوا مليونين من الجزيرة إلى البلدان المجاورة، وقد وصلت طلائع جندهم إلى مشارف البلقاء من أرض الأردن وقام شيخ قبائل الحويطات وغيرها عودة أبو تايه بالقضاء عليهم فيما يُعرف بحرب (الأخوين) هذه هي صفحات جهادهم قتل الأنفس الزكية المسلمة الآمنة داخل المساجد وخارجها، ولم يراعوا في مسلم إلاً ولا ذمة، ثم يقولون أنهم مجاهدون، وأن الصوفية عكس ذلك، ويرمونهم بما لا يقبله مسلم.

٠٦ عملهم الدءوب على طمس التراث الإسلامي وخاصة الروحي منه، وهو المعروف بالتصوف، فقاموا بحملة واسعة النطاق على حيازة كتب التصوف القديمة، والكتب التي تعرضت لمدحه، وإتلافها وإعادة طباعتها بأفخر الطبعات بعد حذف كل ما له علاقة بالتصوف أو الأولياء أو آل البيت أو زيارة النبي (أو الصلاة عليه بعد الأذان).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم من أخيكم راقم الحروف، المكنّي نفسه بالناصر معروف.

---

٠٧ انشغالهم بتكفير الأشاعرة من المسلمين الذين ملأوا الدنيا من شرقها إلى غربها، وتحريمهم الصلاة خلفهم وأكل ذبائحهم، واستعاضوا عن ذلك بموالاة الكفار من أهل الكتاب، ويقولون إن عقيدتهم في التوراة والإنجيل لم تحرف، وأنه يجوز لنا أن نستدل بما جاء في هذين الكتابين على صحة العقيدة، مستندين بذلك إلى القول بأن شرع من قبلنا شرع لنا.

(٨) عملهم في الليل والنهار على طمس معالم النبوة في بلاد الحرمين، فقد طمسوا آثاره عليه الصلاة والسلام في مكة والمدينة، ومنها؛ بيته الذي ولد فيه، حيث هدموه وتركوه مكبا للنفايات، حتى قام أحد المحسنين ببناء مكتبة مكانه، ومنها؛ مقام السيدة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها في مقبرة الحجون، فقد هدموا القبة التي كانت عليه، ثم بعد سنوات هدموه كاملاً، والآن بنوا مكانه دورة للمياة، كما أزالوا دار الأرقم بن أبي الأرقم بجانب الصفا، وأما في المدينة المنورة فقد أزالوا كل أثر تاريخي يعود للنبي ﷺ أو لأصحابه، منها؛ قبور الصحابة في البقيع، ومنها؛ الآبار التي كان يشرب منها عليه الصلاة والسلام، والمساجد التي بنيت على آثاره كمسجد الجمعة، والإجابة، والفضيخ، والفسح، وبني أنيف، وغيرها، كما أزالوا قبر السيدة آمنة بنت وهب في منطقة الأبواء، كما هدموا مسجد العريش في بدر، ومنعوا زيارة شهداء بدر مطلقا حيث أغلقوا الطريق المؤدي إليهم، بينما تجد آثار يهود في المدينة على حالها، وبجانبها لائحة كتب عليها: احذر منطقة أثرية، ومثل ذلك آثار يهود في خيبر.

قائمة المراجع

١. الشيخ احمد العلوي تصوفه وحياته، دكتور مارتن لنجز.
٢. الدر الفريد بإحياء طريقة الجنيد، للشيخ محمد سعيد الكردي.
٣. حلية الأولياء، أبو نعيم الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ).
٤. سير أعلام النبلاء، للذهبي.
٥. طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة.
٦. طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي.
٧. مبين المسارب، للبوني.
٨. الفهرست، لابن النديم.
٩. كشف الظنون، للحاج خليفة.
١٠. صحيح البخاري.
١١. العبر في خبر من عبر، للذهبي.
١٢. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب.
١٣. المعجب في تلخيص أخبار المغرب، للمراكشي.
١٤. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن المقري التلمساني.
١٥. عجائب الآثار، للجبرتي.
١٦. حسن المحاضرة فى أخبار ملوك مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي.
١٧. مروج الذهب، للمسعودي.
١٨. تاريخ ابن خلدون.

١٩. البداية والنهاية، لابن كثي.
٢٠. المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود الزمخشري.
٢١. لسان العرب، لابن منظور.
٢٢. تاج العروس، للزبيدي.
٢٣. المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار.
٢٤. إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة.
٢٥. الفتوحات المكية، ابن عربي الحاتمي.
٢٦. الرسالة القشيرية، عبد الكريم القشيري.
٢٧. النصيحة الكافية، الشيخ زروق.
٢٨. صحيح مسلم.
٢٩. اللمع، للطوسي.
٣٠. قواعد التصوف، للشيخ زروق.
٣١. المفاخر العلية في المآثر الشاذلية، ابن عباد الشافعي المصري، بتحقيقنا.
٣٢. شرح جوهرة التوحيد، للشيخ ابراهيم الباجوري
٣٣. الطبقات الكبرى، للشعراني.
٣٤. الموافقات، للشاطب.
٣٥. الديباج المذهب، لابن فرحون.
٣٦. المستدرك، للحاكم.
٣٧. صحيح ابن حبان.
٣٨. الدر المختار، للفقيه الحصفكي.

٣٩. اليواقيت والجواهر، للشعراني.
٤٠. جذوة الأنوار، للكنتي.
٤١. طبقات الأولياء، للمناوي.
٤٢. السنن الكبرى، للبيهقي.
٤٣. مدارج السالكين، لابن القيم.
٤٤. مواقع النجوم، الشيخ محي الدين بن عربي.
٤٥. التنزلات الموصلية، الشيخ محي الدين بن عربي.
٤٦. الاعتصام، للشاطبي.
٤٧. التعريفات، للجرجاني.
٤٨. سعود المطالع، عبد القادر الأبيري.
٤٩. هدية العارفين، للباباني.
٥٠. تاريخ ولاة مصر، للكندي.
٥١. طبقات الشافعية الكبرى، الشيخ عبدالوهاب السبكي.
٥٢. النور المبين على المرشد المعين، محمد بن يوسف الكافي.
٥٣. تحفة الإخوان، للدردير.
٥٤. مناهج الأدلة في عقائد الملّة، ابن رشد.
٥٥. إرشاد القاصد الى أسنى المقاصد، محمد بن ابراهيم الأنصاري.
٥٦. مواهب الصمد في حل ألفاظ الزبد/ الشيخ احمد الحجازي الفشني.
٥٧. تحفة المحتاج في شرح المنهاج/ ابن حجر الهيتمي.
٥٨. الوصايا/ للشيخ محي الدين بن عربي.
٥٩. الأنوار القدسية في بيان أدب العبودية/ للشعراني.
٦٠. سراج المريدين/ ابن عربي المعافري.

٦١. الجواب الصحيح في الرد على من بدل دين المسيح/ ابن تيمية.
٦٢. مجموع فتاوى ابن تيمية.
٦٣. إيضاح المقصود من وحدة الوجود/ الشيخ عبد الغني النابلسي.
٦٤. مفتاح الجنة شرح عقيدة أهل السنة/ الشيخ محمد بن الهاشمي.
٦٥. النصرة النبوية / الشيخ مصطفى حبش.
٦٦. السيف الرباني/ للمكي بن عزوز.
٦٧. مسند الإمام احمد.
٦٨. سنن الترمذي.
٦٩. المعجم الكبيروالأوسط/ للطبراني.
٧٠. سنن أبي داود.
٧١. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة/ النجم الغزي.
٧٢. سنن ابن ماجه.
٧٣. الفردوس بمأثور الخطاب/ للديلمي.
٧٤. مصنف ابن أبي شيبة.
٧٥. مصنف عبد الرزاق الصنعاني.
٧٦. عوارف المعارف/ للسهروردي.
٧٧. مسند البزار.
٧٨. صحيح ابن خزيمة.
٧٩. شعب الإيمان للبيهقي.
٨٠. الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي.
٨١. مجمع الزوائد/ للهيثمي.
٨٢. موارد الظمآن/ للهيثمي.

٨٣. الأحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين/ للضياء المقدسي.
٨٤. الزهد/ لهناد.
٨٥. مسند الطيالسي.
٨٦. تاريخ بغداد/ للخطيب البغدادي.
٨٧. المجروحين/ لابن حبان.
٨٨. أنوار السرائر/ للشريشي.
٨٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود/ للعظيم آبادي.
٩٠. المنحة في السبحة/ للسيوطي.
٩١. تاريخ دمشق/ لابن عساكر.
٩٢. نتيجة الفكر في الجهر بالذكر/ للسيوطي.
٩٣. شرح منتهى الإرادات/ للبهوتي.
٩٤. كشف الخفا ومزيل الإلباس/ للعجلوني.
٩٥. تنزيه الشريعة المرفوعة/ لابن عراق.
٩٦. السنن الصغرى/ للبيهقي.
٩٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري/ لابن حجر العسقلاني.
٩٨. عمدة الأحكام في مصالح الأنام/ للعز بن عبد السلام.
٩٩. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه/ للبوصيري.
١٠٠. الجامع الصغير/ للسيوطي.
١٠١. المجتبى/ للنسائي.
١٠٢. التدوين في أخبار قزوين/ للرافعي.
١٠٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز / الفيروز آبادي.
١٠٤. محاسبة النفس/ لابن أبي الدنيا.

١٠٥. مشكل الآثار/ للطحاوي.
١٠٦. شرح السنة/ للبغوي.
١٠٧. روح المعاني/ للألوسي.
١٠٨. ديوان الغوث أبي مدين.
١٠٩. الفواكه الدواني/ للنفراوي.
١١٠. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب/ للونشريسي.
١١١. ميزان الاعتدال/ للذهبي.
١١٢. لسان الميزان/ لابن حجر.
١١٣. الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث/ إبراهيم العجمي الحلبي الطرابلسي.
١١٤. المصنوع/ ملا على القاري.
١١٥. حياة الحيوان/ للدميري.
١١٦. الضعفاء الكبير/ للعقيلي.
١١٧. البحر المحيط/ لأبي حيان.
١١٨. موضع أوهام الجمع والتفريق/ للخطيب البغدادي.
١١٩. عيون الأخبار/ لابن قتيبة الدينوري.
١٢٠. مختصر تاريخ دمشق/ محمد بن مكرم المصري.
١٢١. شرح مسلم/ للنووي.
١٢٢. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي/ للمباركفوري.
١٢٣. إحياء علوم الدين/ للغزالي.
١٢٤. سنن الدارقطني.

١٢٥. مسند الشهاب/ للقضاعي.
١٢٦. فيض القدير/ للمناوي.
١٢٧. المسند المستخرج على صحيح مسلم/ لأبي نعيم.
١٢٨. نوادر الأصول/ للحكيم الترمذي.
١٢٩. التمهيد/ لابن عبد البر.
١٣٠. أصول الدين/ للبغدادي.
١٣١. البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار/ لأحمد العنسي الصنعاني.
١٣٢. إفاضة العوائد تعليق على درر الفوائد، محمد رضا الكلهايكاني.
١٣٣. الإمام جعفر الصادق، عبد الحليم الجندي.
١٣٤. تذكرة الحفاظ للذهبي.
١٣٥. المنقذ من الضلال/ الغزالي.
١٣٦. نيل الأوطار/ للشوكاني.
١٣٧. تاريخ جرجان/ للجرجاني.
١٣٨. وفيات الأعيان/ ابن خلكان.
١٣٩. نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير/ للسنوسي (مخطوط).
١٤٠. مصباح الزجاجة/ للكناني.